أحمد بيضون

الفَسْبَكات

الدفتر الثاني



شرق الكتاب

الفَسْبَكات

الدفتر الثاني

أحمد بيضون

أحمد بيضون

الفَسْبَكات

الدفتر الثاني

شرق الكتاب

من قَبيل التحيّة
لذكرى بشير هلال
فقيدِنا في ما وراءَ الافتراض،
وأوّلِ صاحبٍ لنا يصُحُّ، مع ذلك، أن ندعوه فقيدَ الفيسبوك.

«يا زمانْ!
يا عِشْبْ داشِرْ فوقْ هالحيطان!
ضوّيْت وَرْد الليل عَكْتابي...»

طلال حيدر

«الجنون نادرٌ في الأفراد،
وأمّا في الجماعات وفي الأحزاب،
في الأُمَم وفي الأزمنة،
فالجنون هو القاعدة.»

فريدريش نيتشه

ما الخاطرة؟
(تصدير)

لا أرى هذا الكتاب – أو الدفتر – محتاجًا إلى تصدير ولا إلى تذييل. لا أجد كبير شيء أضيفه إلى ما صدّرتُ وذيّلت به «دفتر الفسبكة». فهذا الدفتر الثاني يتابع ما باشره الأوّل الذي صدر عن الدار نفسها في الخريف من سنة ٢٠١٣. وهذا مع العلم أن الجديد يختلف عن سابقه بهموم تشغل نصوصه، استُجدّت أو تحوّلت. وهو يختلف عنه أيضًا – إن جاز لي أن أدلي بهذا التخمين – بمزيد من الدُرْبة في هذا الفنّ الذي يستغرق مضمونَها وهو فنّ الخاطرة. وقد كنت عرضت في تقديمي الدفتر السابق ما وجدت الفيسبوك يمثّله لشاغلي صفحاته، على العموم، ولي شخصيًا، على الخصوص. عرضت لمعنى التواصل في هذه الشبكة المهولة ولأنواع الكلام الذي يُتداول ولما أتيت به من تلك الأنواع على حائطي ثم جعلته مادّةً للكتاب. فلا حاجةَ بي للعودة إلى شيء من هذا كلّه. في تذييل الكتاب، أوضحت ما سمّاه عنوانه «سيرة البال والخاطر» عارضًا مسوّغات لعزوفي، في ما خلا «النُتَف» والفِلذ، عن اجتراح

سيرة لي أشعر أنني أضعتُ ما يسعني أن أسمّيه مادّتها الداخلية أو بطانتها الذاتية، وهذا فضلاً عمّا ذهب به النسيان من وقائع ماديّةٍ أو موضوعية كان لروايتها أن تستوي - لولا النسيان - أبعاضًا من تلك السيرة المرجوّة... ليس عليّ إذن أن أعود اليوم إلى شيء من هذا كلّه أيضًا.

مع ذلك استحسنتُ أن أجعل لهذا الكتاب الجديد ذيلاً يقابل ذيل سابقه. فأدرجتُ في آخره مقالةً قصيرة تحصي منافذَ لشعوري بحلول الشيخوخة مبتغية أن تترسّم نشوءَ ماهيّةٍ ذاتيّة لهذه الأخيرة في خبرتي المتنامية بها. غادرتُ إذن حديث السيرة بما هي استعادة ميؤوسٌ من تحصيلها في حالتي لمجرى العمر بوقائعه وبحصاده المتّصل من تحسّس الحوادث والأشياء وبقِسْطه من دقيق هذه وتلك ومن جليلها وبسعيه إلى التجسّد في أفعال وانفعالات وفي نواتج للأعمال على أنواعها. وعكفتُ ههنا على استنطاقٍ متعجّل لحالٍ جارية ما يزال العهد بها قريبًا وما تزال صوَرُها أو وجوهُ حصولها جاريةَ التشكّل أو آخذةً في التكوّن. وهو تشكّلٌ أو تكوّن يأتي، ما دامت الشيخوخة هي مداره، في صور التناقص والتعذّر والوداع...

أترك حديث الفيسبوك إذن، بما هو صلةُ وصلٍ ووسطٌ له أوصافه بعد أن أخذتُ بنصيب من هذا الحديث في تصدير الكتاب السابق ثمّ عدتُ، بشيءٍ من التوسّع، في مناسبةٍ أخرى عرَضَت، إلى ما يعنيني من الجانب اللغوي للفسبكة أي إلى حال العربية معها ووقعها على العربية*...

---

* أحمد بيضون: «العربية مفسبكةً: عاميّات يكتب بها وفصحى حوارية؟»، ورقة قدّمت في ندوة «العربية وشبكات التواصل الاجتماعي» التي انعقدت في جمعية «أشكال ألوان» البيروتية في أواخر شباط ٢٠١٥، وتنشر قريبًا مع سائر أوراق الندوة في كتاب يصدر عن الجمعية.

أترك هذا كلّه في التصدير وأُبعِد إلى التذييل حديث الشيخوخة بعد أن جعلته بديلًا من حديث السيرة... فما الذي يتبقّى مسوّغًا أو مادّةً لكلام مفيد أصدّر به هذا الكتاب الجديد؟

أظنّ حديث «الخاطرة» أوجَهَ ما يتبقّى. فإن هذا الكتاب وسابقه كتابا خواطر فوقَ أيّ شيءٍ آخر. فما تُراها تكون الخاطرة؟ تحيل الخاطرة على الفور، في ما أقدّر، إلى الوسط الذي تنشأ فيه وتكون مادّته العامّة أكثر سيولةً من الخاطرة وأقلّ تبلّرًا. تحيل إلى «تيّار الشعور» الذي ندين لهنري برغسون بأوثق وصفٍ له ولا يضطرّنا شيءٌ إلى موافقة صاحبه في حسبانه (الذي تهزّه بشدّةٍ الفرويدية، وقد وافق نشوؤها تكوّنَ البرغسونية) مادّة الحياة النفسية كلّها وصورتها معًا.

تبدو الخاطرة استيقافًا او استبطاءً – بالأحرى – لتيّار الشعور هذا وكأنّما عمدت الذات إلى حصاةٍ تلجم بها شيئًا من سيلانه او إلى حبلٍ تعقل به جدولًا دقيقًا من جداوله وتيّاراته. وقد تكون الحصاة أو الحبل كلمةً أو عبارةً استفزّها شعورٌ ما أحدثه، بدوره، الاطّلاع على كلام أو صورٍ أو أصوات حملها إلى دائرة الانتباه تصفّح الفيسبوك... مثلًا. ويتمثّل تكوّن الخاطرة في الانتقال، عبر تركيز الشعور على غرض يمنحه عمل التركيز حضورًا متكاثر الأوصاف، من غلبة التعاقب التي يفرضها ما يتّسم به تيّار الشعور من سيولة أصلية إلى تغليب التزامن الذي تمليه مهمّة تشكيل الخاطرة في بنيةٍ والوصول بها، عبر عمل الكتابة (ما دامت الكتابة هي ما يعنينا هنا)، إلى صورة مستقرّة. عمل التشكيل هذا، ومنه عمل الكتابة، يقتضي عكوفًا للذات على لحظة من تيّار الشعور وسعيًا قصديًّا إلى القبض على ناصيتها ومن ثمّ إلى بنائها أو إلى البناء عليها. على أن تغليب التزامن في هذا السعي يحصل هو نفسه، في الزمن،

أي في التعاقب بين عناصر الخاطرة وهي تتشكّل: في استبدال كلمة أوعبارة بكلمة أو عبارة، في إحلال صيغة محلّ صيغة، في الشطب هنا وفي الاستكمال هناك، إلخ. فإن عمارة الخاطرة تحصل على غير تصميم إلا ما كان ترسيمات عامّة أرستها عاداتٌ بعضها مكتسب من جماعةٍ ما وبعضها خاصّ بصاحبه.

ولا ريب أن خواطر تضيع قبل أن تباشر الخروج من البيضة، ولعلّي أشرتُ إلى هذا في موضعٍ ما من باطن هذا الكتاب. وقد تكفي غمضةُ عين لتضيع الخاطرة وإنْ كانت أصابعك على ملامس الحاسوب وحائطك الفسبوكي على شاشتك. وقد تضيع الخاطرة بعد أن تكون قد اتّخَذَت – في الخاطر – صورةً تامّة أو قريبة من التمام واستعيدت – في الخاطر – مرارًا ولكنك أهملتَ تدوينَها لسببٍ من الأسباب... ويحصل عادةً أن تظهر خواطر أخرى سريعة العبور أو إرهاصاتٌ بخواطر في تيّار الشعور فيما أنت مهتمّ بالوصول بالخاطرة التي استوقفتك أو استوقفتها إلى حال التمام. ومعظم هذا العابر المواكب يضمحلّ في التيّار ويضيع في تلافيف من الذاكرة يصبح الوصول إليها ضعيف الاحتمال.

هذا وليس لزامًا أن يكون تعاقُب الخواطر واشيًا بخريطة لتيّار الشعور. فإن الخواطرَ لحظاتُ كبحٍ للتيّار وجنوح إلى السيطرة عليه ولا يساير تعاقبها جريانه الحرّ. وإنّما يصحّ، على الأرجح، أن يُعتبر هذا التعاقب مستجيبًا لهموم لها حظّ من الثبات وأن يعدّ دالًّا على الشخصية بما هي هيكلٌ حيّ لا مجرىً وعلى وجهها الناظر إلى المجتمع أو إلى موائل لانتماء الشخص إليه وعنايته به وإلى أدواره فيه.

تلك كانت حال الخواطر التي هي مادّة هذا الكتاب في تشكّلها واحدةً بعد واحدة. وذاك هو حالُ تعاقبها بما هو نامّ بثوابت عارضةٍ

أو مستقرّة في شخص صاحبها وهمومه. ولم يكن لما نسمّيه العفوية من نصيبٍ في الصيغة الأخيرة التي اتّخذتها الواحدة من هذه الخواطر. فإن العفوية، بمعناها التامّ، تتراجع بعد ورود الخاطرة الأوّل أو الإرهاص بها. هي تتراجع ما إن يبدأ عمل الكتابة وإن بقي همّ الإشعار بالعفوية (أو استيحاء حضورها في منطلق الخاطرة) ماثلًا في بعض أوصاف الأسلوب. هي إذن – على ما في العبارة من مفارقة – عفوية معمولة أو هي عفوية منظورٌ فيها، على الأقلّ.

وأما تعاقب الخواطر فهو، وإن امتثل لثوابت الكاتب وهمومه الغالبة، يبقى موحيًا للقارئ بتنقّل سائب تحمله عليه القراءة وهو وجه رئيس من وجوه المتعة التي يطمح إلى إتاحتها هذا النوع الأدبي. المتعة في جهة القارئ والفتنة في جهة النصوص. وإذا جازت العودة، من هذا الباب، إلى مقارنة ما يضمّه هذا الدفتر من خواطر، لجهة أغراضها أو مداراتها، بما ضمّه الدفتر السابق، فقد يصحّ القول أن منسوب السياسة قد ارتفع قليلًا بين سائر المدارات وأن التشاؤم قد استقرّ في المزاج. وهذان أمران لا تخفى الدواعي إليهما في الراهن من أحوالنا. غير أنهما لم يلجما قليلًا ولا كثيرًا جنوح هذه الخواطر الجديدة، على غرار سابقتها، إلى الضحك حُلْوِه ومُرِّه.

هذا وقد سمّيتُ هذه النصوص الصغيرة «فَسْبَكات» معتبرًا المفرد من هذا الجمع مصدرًا واسمًا للواحد وللمرّة في آن. وكنت قد اقترحتُ في ما مضى كلمة «عَرْضحال» مقابلًا عربيًا (عثمانيًا بعض الشيء!) للعبارة الإنكليزية status update التي تسمّي النوع الكلامي الغالب على النشاط الفسبوكي. وعلى هذا النوع نفسه من أنواع الكلام (وهو الخاطرة في قالبها الفسبوكي المميّز) أطلق هنا اسم «الفسبكة» من قبيل التغليب او تسمية الكلّ باسم الجزء...

وذاك أن هذا ليس إلّا جزءًا ممّا يأتيه الفسابكة على حوائطهم. وهو جزء شهدَت مكانتُه بعضَ التراجع، سنةً بعد سنة، إذ راحت الأشرطة والصور تستأثر بجلّ اهتمام المتصفّحين وعناية المفسبكين. ثم إن الكلام نفسه يذهب، على حوائط الفيسبوك، مذاهب شتّى تبتعد به قليلًا أو كثيرًا عمّا تصحّ تسميته الخاطرة... أو العرضحال أيضًا. وقد أشرت إلى هذا أيضًا في تصديري الكتاب السابق إذ شدّدت على ما يعرضه الكلام الفسبوكي من صنوف الهذر ومن المجاملات المعلومة النمط...



وعلى غرار ما فعلتُ في الكتاب السابق اكتفيتُ ههنا مما نشرته على حائطي بما يندرج في فئة الخواطر مستبعدًا الصور والأشرطة ومستبعدًا، بطبيعة الحال، ما كنت أستعيده عن جدران آخرين. استبعدتُ من الكتاب أيضًا مقالاتي التي كانت تظهر في هذه المطبوعة أو تلك فأعيدُ نشرها على جداري الفسبوكي. وأما خواطري فأبقيتها على حالها تقريبًا... أضفتُ بين معقوفتين، في حالات قليلة، توضيحًا لتلميحٍ ابتعدَت مناسبته وأصبح مستبعدًا أن يدرك القارئ مرماه بلا معونةٍ مناسبة. استثنيتُ أيضًا عرضحالات نادرة لي وتعليقات نشرتُها على حائطي أوعلى حوائط أخرى وجدت أن طابعها السجالي قد أصبح مانعًا من فهمها ههنا لتعذّر الوصول إلى الكلام الذي كُتِبَت لتساجله. هذا فضلًا عن أن هذا التعذّر لا يخلو من غَبْن غير سائغ للطرف المتغيب. صحّحتُ أخيرًا أخطاءً ماديّة أو بيانية وقعتُ عليها وجاءت نادرةً أيضًا لما أوليه من عناية ثابتة لصياغة الخاطرة وإخراجها في حُلّتها المهيّأة للنشر.

بقي أن أشكر القرّاء والنقّاد الذين حملني عطفُهم على إعادة الكَرّة وأن أثني أيضًا على دار شرق الكتاب التي استقبلت هذا المشروع الجديد بالترحاب الذي خصّت به سابقه.



هذا كلّ شيء الآن أو ما أحسب أنه كلّ شيء!

بيروت في أوّل حزيران/يونيو ٢٠١٥.

٢٠١٣

١٢ كانون الأوّل

نراهم بيننا هنا وهناك، ساسةً فاتَهم قطارٌ ما أو مثقّفين نافدي الصبر، يعارضون تشكيلات الطوائف أو زعاماتها بما يشاكلها: أي باتّخاذ الطائفة موضوعًا لولائهم السياسي وباعتماد التعبئةِ الطائفية صيغةً لسعيهم الإصلاحي. هم يتذرّعون لذلك بما يعتبرونه «واقعية سياسية». وهم يعزّزون هذه «الواقعية»، أحيانًا، بإظهار تقوىً لا يبطنونها في الغالب، فضلًا عن ولاءٍ للطائفة يتكبّدون مشقّةً لاصطناعه.

قُصارى ما عند هؤلاء أن الآفة التي تأكل البلاد مردّها إلى شرّيرين هم الذين يمسكون اليوم بدفة كلّ من الطوائف. فينبغي أن يحلّ محلّ هؤلاء خيّرون اتّفق أنهم أصحاب هذه المعارضة التي نصف.

هؤلاء سيُعْييهم، إذا واتاهم الحظّ وحلّوا محلّ من يخاصمونهم، أن يعثروا على شيءٍ يختلفون به عن أولئك... باستثناءِ ما قد يفرضه اختلافُ الوقت والظروف فلا يكون لهم مسؤولية عنه، خيرًا كان أم شرًّا.

وسيُعيي العثورُ على فارقٍ يُعتدّ به بين السَلَف والخَلَف سائرَ اللبنانيين أيضًا.

١٣ كانون الأوّل

استعادت عزّة إيميلها المخطوف. عادَ في حالةٍ يُرثى لها. أُبيدت الرسائل كلها ولائحةُ العناوين. وظَهَر ما تبقى بحروفٍ كيرِلّسيّة (روسية) بدلًا من اللاتينية.

قالوا: فَتّش عن بوتين! ولكن ما لَه ولعزّة؟

١٣ كانون الأوّل

يتنحّى الطاغية عندما تبلغ همجيّتُه سقفًا حدّده لنفسه أو حدّده له القابضون على ناصية مصيره. لم يحدّد بشّار الأسد سقفًا لنفسه من هذا القبيل ولا حدّده له حلفاؤه ولا خصومه «الكبار». بقيَت همجيّتُه بلا سقفٍ وهي ماضيةٌ في سبيلها لا تُلْوي على شيء.

ولا يعني هذا أن الأسد سيتمكّن من حُكْم سورية مجدّدًا. معناه أنه حصَلَ، بفعل «صموده» الإجرامي ودعْمِ حلفائه في وجْهِ ما كان ثورةً شعبية نادرة المثال، على «أعداءٍ» في سورية يساوونه أو يفوقونه في الهمجيّة. ومعناه، على الأخصّ، أنه سـ«يصمد» ومعه «أعداؤه» هؤلاء بينما يتواصل تدميرُ سورية دولةً ووطنًا ومجتمعًا.

إلى الدمار والتمزّق والحرب الهمجيّة المفتوحة يذهب نظامُ الأسد ومعه حلفاؤه وخصومه الصاعدون بسورية. لا إلى الديمقراطية والحرية ولا إلى الصمود «الممانع».

ولا تُبَرّأ من هذا المصير قياداتٌ سياسية وعسكرية للثورة السورية قلّما ابتُلِيَت ثورةٌ بمن يجاريها في التفاهة. ولكن قد تشْفع لهؤلاء خِفّةُ وزنهم عندما يراد تقديرُ دورهم في الكارثة الجارية.

وأما ما يدعى «المجتمع الدولي» فيزداد - حتى إشعارٍ آخر - ميلاً إلى استثمار الخراب السوري في الدورة الجديدة من التجاذب الجاري بين أطرافه. وهو يزداد، بالتالي، إلى أن يتّضح مصير هذه الدورة، بُعْدًا عن التوجّه الجادّ نحو وقْفِ هذا الخراب ومعالجة أسبابه.

١٨ كانون الأوّل

في العقود الأخيرة، ازداد انتشارُ صورة إيرانية الأصل للإمام علي بن أبي طالب في الوسط الشيعي اللبناني. وفي تخميني أن الظاهرةَ نفسها تعاظمَت في أوساط الشيعة العرب الأخرى أيضًا ولكن لا دليل عندي على ذلك. وقد شاهدتُ مؤخّرًا صورةً لمتجرٍ في سوقٍ من أسواق دمشق القديمة تُعْرض فيه هذه الصورة.

والواقع أنها صُوَرٌ عدّة تختلف الواحدة عن الأخريات بالخلفية أو بزاويةِ ظهور الوجه أو بدرجةِ ظهور الشَيْب في اللحية أو بظهور الحَسَنَيْن وهما طفلان مع والدهما أو بظهور ذي الفقار على ركبتي الإمام أو بتفاصيلَ أخرى. ولكن الملامح الأساسية للوجه واحدة. وهي ملامح قفقاسية، ليس فيها شيءٌ عربيّ أو ساميّ. وهي تجعل الإمام بيّنَ الوَسامة، شبيهًا، إلى هذه الدرجة أو تلك، بهذا أو ذاك من نجوم الشاشة الغربيين. وأكثرُ من تخطر لي صورتُه، حين أنظر إلى هذه الصور (وقد أكون واهمًا) هو النجم الأميركي الراحل روك هدسون.

وأذكر، من أيام صباي، أن هذه الصورة كانت نادرة الظهور جدًّا في ديارنا الشيعية. وكان من البيوت التي كنت أشاهدها فيها بيتُ جدّتي لوالدتي وكانت... إيرانيةَ الأصل ويُحتمل أن تكون قد ورثَتْها عن والدها.

وأما الرأيُ السائد عندنا، في تلك الأيام، فكان أميَلَ إلى اعتبار تصوير النبي والأئمة مكروهًا إن لم يكن محرّمًا. وكان في هذا الموقف مظهرٌ من مظاهر القُرْب الكثيرة بين سنّة بلاد الشام وشيعتها.

وينمّ الانتشارُ الجديد لتصوير الإمام، فضلًا عن الأثر الإيراني، على حاجةٍ مستحدثة إلى تجسيم الرموز وشَخْصَنَتِها. ففي اعتماد الصورة (بنفوذها الغلّاب في أيّامنا، بخاصّة) تقديمٌ للإمام على الإمامة: أي للشخص على المعنى. فيما يشير مَنْعُ التجسيم أو التصوير إلى الموقف المعاكس.

ولهذا التقديم المستجدّ وظيفة جديدة هي تكثيف التعلّق الجماعي بشخصٍ حسّي. وهذا أقربُ إلى تشديد اللُحْمة العصبية في صفوف العوامّ وإلى اصطناع وَحْدةٍ انفعالية لا تخلو من شَبَهٍ بتلك التي تَحْصُل في ما باتَ يُسمّى في عصرنا «عبادة شخصيّةِ الزعيم».

وما من ريبٍ أن صيغة التجسيم هذه مظهرٌ من مظاهر الميل في الجماعة إلى تحريم الخلاف في صفوفها وإلى منع تعدّد الميول والآراء. وذاك أن المعنى المُدْرَجَ في الكلام هو ما يَسْتَدْرِج الخلاف ويَقْبله. وأما الشخص - القائد الذي يستوي وجهًا وجسدًا فلا يُقْبَل منه وله بما هو أقلُّ من الإجماع.

بقيَ أن نشير إلى أن كتبَ التاريخ الإسلامي التي رَوَت سيرةَ الإمام علي ونَقَلَت إلينا صفاتِه لم تُهمل أوصافَه الجسمانية بل فَصّلَتْها بعنايةٍ تامّة. وما جاء فيها، لهذه الجهة، ليس فيه أدنى شَبَهٍ بالصورة المنتشرة في أيامنا. هذا، مثلًا، ما يُثْبِتُه المؤلِّف المشهور أبو الفرج الأصفهاني في كتابه

«مَقاتل الطالبيين» وهو كتابٌ ينبُض بحبّ عميق لعليّ وذريّته: «وكان عليه السلام أسمرَ مربوعًا وهو إلى القِصَرِ أقربُ، عظيمُ البطن، دقيقُ الأصابع غليظُ الذراعين، حَمْشُ الساقين، في عينيهِ لِينٌ، عظيمُ اللحية، أصْلعُ، ناتئ الجبهة.»

وهذا وصفٌ يعود إلى بعضه عزّ الدين بن أبي الحديد شارحُ «نهج البلاغة» إذ يقول في العَيْنيّة التي مَدَح بها الإمام مخاطبًا مَثْواه:

فيكَ الإمامُ المُرْتَضى فيكَ الوَصيّ المُجْتَبى فيكَ البَطينُ الأنزعُ

و«البَطين» هو العظيمُ البطن و«الأنزعُ» من انكشف الشعر عن جانبي جبهته و«حَمْشُ الساقين» (في كلام الأصفهاني) دقيقُهما.

فتأمّل.

١٨ كانون الأوّل

من معلّقة فارس فرسان البكالوريا:

وَنَشْرَبُ إن وَرَدْنا الماءَ صَفْوًا ... وَيَشْرَبُ غيرُنا كَـدَرًا وطِينا

تضْرَبْ صحيحْ على هالصبح!
مَطْرحْ ما يِشْري يِهْري!
(تذكّرته بسبب أَزمة المياه الجارية في بيروت... الأزمة هي الجارية لا المياه).

٢٠ كانون الأوّل

في سياسة هذا العصر، يتظاهر كلّ من الطرفين الخصمين بالحِنْق عندما يتّهمه خصمه بخيانة مبدئه المعلَن شاهرًا في وجهه تراجعًا بدَرَ منه هنا أو

تغييرًا حصل في موقفه هناك. ليس هذا الحنقُ حنقَ المنزّه عن الكذب بل هو حنق من كُشف كذبه من جانب كذّابٍ يباريه.

بين حين وآخر، يضبط أحد الخصمين الآخر بالجُرْم المشهود: جرم الإعراض عن المبدإ المعلن وتفضيل منفعة ما على موقفٍ كان يقول إنه لا يرضى عنه بديلًا ويضحّي للبقاء عليه بالغالي والنفيس.

ولا يلبث الخصم الآخر أن يجد على خصمه مأخذًا من الطراز نفسه أو أن يلفّق مثل هذا المأخذ إذا لم يجد له سندًا في الحوادث الجارية... أو أن يسترجع من حوادث الماضي ما يسند المأخذ المذكور.

يَفْترض سلوكُ الخصمين هذا أن كلًا منهما يصدّق الصورة التي يعلنها لنفسه. هذا فيما يعلم كل منهما، في الواقع، أنه ينفق جهود سيزيف وأموال قارون وكنز عوليس من الحيل لتسويق الكذب الذي تنطوي عليه هذه الصورة. وهو يعلم حقّ العلم أيضًا أن خصمه يحاول الشيء نفسه لا أكثر ولا أقلّ.

تلك هي اللعبة. وهي قد تقتضي التضحيةَ ببَشَرٍ وعمرانٍ حتى يصبح الكذب أو يبقى قابلًا للتصديق. فإن إقامة الدليل، في ظرفٍ ما أو لمدّةٍ ما، على صدق الكِذْبة قد تصبح أمرًا باهظ الكُلْفة.

كلٌّ يخون كذبته أي لا يخون شيئًا في قرارة نفسه. وكلٌّ يَعْلم أن في أمره كذبًا معدًّا للخيانة أصلًا، كلّه أو بعضه، وأن أمر خصمه لا يختلف في هذا عن أمره. وليس السجال السياسي غير فنّ التظاهر كذبًا بأن الخصم وحده هو الكاذب.

في ذلك ما يحمل الواقفين على جلية الأمر على أقصى الضجر. فلا يبقى عرضةً للاستنفار غير جحافل الجاهلين. هذا لولا أن العارفين يتسلّون كثيرًا بما يظهر من انصياع الجاهلين إذ يجدون فيه دليلًا على اقتدارهم.

وقد لا يكون سهلًا أن يُعرف ما هو الأهمّ: قهرُ الخصم أم النجاح في تحصيل جماعة منقادة. فإن ذاك القهر قد لا يكون له غرض سوى هذا التحصيل.

هذا كلّه يفترض وجود «عقل فعّال» واحد لكلّ من الخصمين: وهذه فَرْضية بعيدة عن الواقع دائمًا: كثيرًا أو قليلًا. لذا كانت قُصارى كلامنا ههنا أن نشير إلى معالم لأنموذج مثالي لا أن نصف مساقًا حسيًا.

هذا كلّه أيضًا يصحّ بالأولوية على أنظمة الدول وقادتها، أي على أطرافٍ يتعلّق سلوكها بمصالح غلّابة. ولا يصحّ هذا بالضرورة على نُقّاد الدول من الأفراد أو الشراذم. فهؤلاء ليسوا طرفًا، بالمعنى الملحوظ هنا، وقد لا يكونون ملتحقين بطرف. لذا يبقى مأمولًا أن يحرز هذا أو ذاك منهم بعض النجاح في سعيه إلى التفلت من حبائل الكذب.

من موروث «النكتة» اللبنانية هذا الحوار:

– الأوّل: أمّي شاهدَتْ أمّك في الماخور!

– الثاني: وما الذي كانت أمّك تفعله هناك؟

هذه مناكفةٌ أكل الدهرُ عليها وهي لا تُلْقي ضوءاً على سلوكٍ مألوفٍ من الأمّهات. غير أنّها لا تخلو من الشبه بحوارٍ صريح بين دولتين.

٢٠ كانون الأوّل

لا يسع المتأملَ في الجدال الذي نشب في هذين اليومين حول فيروز ألّا يرى فيه تتمّةً لاضمحلال الحكومة وإغلاقِ مجلس النواب وتضعضع الإجماع حول الجيش واهتزاز الثقة بقوى الأمن، إلخ. وتقع المسؤوليةُ في ما جرى على زياد الرحباني.

كانت رعونةُ هذا الأخير ظريفةً حين كان موقعُه في السياسة يتراءى خلْفها من غير أن يكون موضوعًا لها. ثم أصبحَت هذه الرعونةُ ثِقَلَ ظلٍّ وتفاهةً حين تحوّلت إلى إعلانٍ مستمرّ لهذا الموقع. ولعل المعلِنَ ساورَه شعورٌ ما بالإفلاس فمدّ يده إلى صورة والدته لتجديد الإثارة. وكان معلومًا أن لفيروز، بدورها، موقعًا في السياسة يُمْكِنُ التكهن به، بلا صعوبة، ولكنها لا تعلنه لئلا يصبحَ زنزانةً لصورتها الفنية. وهو ما فعله عنها ابنها البارّ. وبفضله حصل لبنان على فيروزٍ ممدّدٍ لها أو على فيروزٍ لتصريف الأعمال.

ما الذي تبقّى؟

في كلّ حال، ليست فيروز محتاجة إلى إذن من أحد ليكون لها موقع في النزاع الداخلي. وهي حرّة في إعلانه أيضًا. ولكن هذا أو ما يشبهه لم يحصل من جانبها في خمسين سنة مضت. وهذا استنكاف لا بدّ أن له سببًا. تصريح زياد زجّ والدته في النزاع بين ٨ و١٤ آذار وفي الجدل بين مؤيدي القتال الحزب اللهي في سورية ومعارضيه. وهذا زجّ لا أعرف رأيَ فيروز فيه. ولكن أخمّن أن أية أغنية لفيروز لن تخرج منه سالمة.

٢٢ كانون الأوّل

اعتبَرَتْ الليبراليةُ المعاصرة (ومعها العَوْلَمةُ المسخَّرة لها) أن البديل من الدولة المتغوّلة التي أرْسَتها رأسماليات الدولة من «شيوعية» و«قومية» ينبغي أن يكون الدولةَ المكفوفةَ اليد عن الرعاية الاجتماعية والخاضعةَ لحيتان المال الجدُد أو المحالفة لهم عوض حماية المواطنين منهم. هكذا اتّجهت الليبرالية إلى تحقيق ما كانت الشيوعية تدّعي التوجه إلى تحقيقه من «حلّ» للدولة.

وما أثْمَرَه هذا العداءُ لـ«دولة الرعاية» حتى الآن ليس إلا ما نعاينه من انحلالِ المجتمعات نفسها في رِكابِ انحلالِ الدولة ومن سيادةِ منطق الهُويّات المتناحرة من دينيةٍ وإثنيةٍ والتوجّه نحو حربٍ أهلية عالمية. وهذا توجّهٌ لا تستطيع الدولُ الرأسمالية الكبرى التي قادت هذا التحوّل أن تنام مطمئنّةً إلى بقائها طويلًا بمَعْزِلٍ منه.

٢٢ كانون الأوّل

كانت سيمون دو بوفوار تسمّي تقويل الشخص المتقدّم في السنّ كلامًا غيرَ معهودٍ منه détournement de vieillard.

ومُقابلها التقريبي بالعربية «تغريرٌ بعجوز» بالمعنى الذي يقال فيه «تغريرٌ بقاصِر».

وهي قد اقترَحَت هذا الوصف، بعد رحيل جان بول سارتر، لحوارٍ أجراه مع هذا الأخير مساعدُه بني ليفي معتبرةً أن ليفي جرّ سارتر جرًّا إلى بعض ما قاله.

وكان سارتر (الذي رَحَل في سنّ الخامسة والسبعين) لا يزال، عند إجراء الحوار، في أوائل سبعيناته.

٢٦ كانون الأول

في مَعاجِمنا المعْتبَرة (أي، مَثَلًا، في «لِسان العرَب» وفي «القاموس المُحيط») أن اسمًا مشتركًا يُطْلَقُ على كلّ «عَقورٍ» (أي مُفْترِسٍ) من السِباع: وهو «الكَلْب». فالأُسود والنُمور والفُهود والذئاب وسائرُ أَشباهِها في الجَرْح والقَتْل كلّها كِلاب. وقد يقال في الكلام المرْسَل «كلابُ البَرّ» تمييزًا لها عن النابح الذي استأْنَسه البشر.

٢٦ كانون الأول

مباركٌ الآتي باسم الربّ مع أنه يبدو وكأنه وُلد في كوكبٍ آخر.

٢٦ كانون الأول

نوّهت في ما مضى بوجود عشراتٍ من الأحمدين البيضونين على الفيسبوك. وهو أمر يروق لي كثيرًا ويطيّب خاطري عندما أتذكّره.

ولكن بيني وبين أسميائي أولئك فوارق في الأذواق والأفكار وجُلّها من الأنواع الشائعة بين عموم البشر. لذا كان مستحسنًا الانتباه إلى الصورة الشخصية في «كتاب الوجوه» هذا لتستقيم نسبة كلّ أمرٍ إلى صاحبه.

٢٦ كانون الأول

الشيخ: ما اسمك يا بُنيّ؟

الصبيّ: عبد الله.

الشيخ: كلّنا عبادُ الله!

الصبيّ: وما اسمك أنت يا عَمّ؟

الشيخ: حمزة.

الصبيّ: كلّنا حماميز الله!

(من طرائف القدماء)

٢٦ كانون الأول

كان فوّاز طرابلسي يتَنَدّر بـ«دال النقطة»، أي «د.»، الذي يُبْتَلى به مَن يَتَدَكْتَرون وهو واحدٌ منهم.

في يومنا هذا، أصبحنا نعوذ بالله من «داء النقطة على السطر».

٢٦ كانون الأول

ليس لأَحَدٍ من الناس أن يَطْلُب من أحدٍ (ولا من الأقْرَبين) أن يَحْفَظ له قصّةَ حياته عن ظَهْرِ قلب. ولا هو نفْسُه يحفظُها كلّها أصلاً.

في زمن الفيسبوك، باتَ المُصابُ عظيمًا بمن يَخْتَرع لك، من بَناتِ مخيِّلته، قصةً لحياتك من بابها إلى محرابها، ثم تبْلُغ به الجرأةُ أنّه يَرْويها لك مباشرةً في بضعة أسطر.

٢٨ كانون الأول

كلّ عُنْفٍ يُقابل هذا العنفَ المنتشر، كلّ نُزوعٍ إلى مواجهته بمثله، يُسايره ويَسْتسلم له.

٢٨ كانون الأول

في البلاد سَفالةٌ منتشرة تتمثّل في التطوّع الواسع لتمويه الجريمة السياسية، كلّما وقَعَت جريمةٌ سياسية: لتزويرها، للعبَث الكلامي بمَسْرحِها، لنَشْرِ الإشارات المضللة على الطريق إلى مرتكبيها.

هذه السفالة عكْسُ التحفّظ في الاتّهام الذي هو أمْرٌ مستحسن. هي تَعْمِيةٌ تُشْرِك المُقْدِمين عليها في الجُرْم. وهم، في الأغلب، شُرَكاءُ «نَفْسيّون» فيه.

وهي تَنْشُر، بِسِعَة انتشارها، اليأسَ من أن يكونَ لنا بلادٌ مرّةً أخرى.

٢٩ كانون الأول

«كابري»، القطّةُ العجوزُ النازلةُ عنْدَنا ضيفةً مكرّمة لمدّة العطلة، أوصانا صاحباها سوسن وميشال أن نخاطبها بالفرنسية. وذلك أن ميشال سويسريٌ والفرنسية هي اللغةُ المعتَمَدة في بيته.

أحاولُ، قدْرَ استطاعتي، الانفرادَ بتَغْنيج القطّة ومَنْعَ عزّة من مُخاطَبتها. وذلك أن عزّة عَربو-أنجلوفونية، أساسًا، ومعرفتُها بالفرنسية متوسّطة، ويُخْشى أن تَنْقُل إلى القطّة أخطاءَ نُطْقٍ وصَرْفٍ ونَحْوٍ تُفسِد إتقانَ القطّة للُغة موليير.

٣٠ كانون الأول

إذا ما تأمّلْتَ الزمانَ وصَرْفَهُ   تيقّنْتَ أنّ الموتَ نوعٌ من القتْلِ

(المتنبّي).

يَرى اللهُ أنه لا بدّ من قَتْلِ البشر قَبْل أن يُصارَ إلى بَعْثِهم في آخِرِ الزمان.

مضت عقودٌ وحزبُ البعث يُشاطر اللهَ رأْيَه هذا مشاطرةً تامّة.

٣٠ كانون الأول

مضى دهرٌ كنّا نظنّ فيه أنّنا نأكل بَطّيخًا (بفَتْحِ الباء بَعْدَ فَتْحِ البَطّيخة).

إلى أن أفادَنا «القاموسُ المحيط» أنّنا نأكُل بِطّيخًا (بكَسْرِ الباء قبلَ كَسرِ البِطّيخة).

... باختصار: أكَلْنا هوا!

٣١ كانون الأول

بجُهدٍ جهيدٍ، نُطْلِق على أحزاننا ضحكةً بين حينٍ وحين.

هل في هذا ما يُعاب؟

٣١ كانون الأول

هل لي أن أقْتَرِحَ – بتهذيبٍ واحترامٍ – أن يُخْتَصرَ عَذابُ هذه الشعوب، الجاري منه والمُقْبل، إلى مبارزةٍ بالمسدّس تَجْري بين خادم الحرمين الشريفين والوليّ الفقيه المرشد الأعلى؟

في كلّ حال، لن يُصيبَ أيٌّ منهما الآخرَ، وذلك بسبب الخَلَلِ الشديد في جهازيهما العصبيّين. وإذا حصَلَت إصابةٌ – لا سمَحَ الله – فإنّ ما بقيَ من العُمْر ليس أكثرَ ممّا مضى. وسيكون للمُصاب الأجْرُ العظيم إذ يَفْتدي من سيَقْتُلُهم هذا الصِراعُ في طُولِ هذا الشرْقِ وعَرْضِه.

٣١ كانون الأول

عسى أن يأتيَ العامُ الجديد للسوريين بالخلاص من «البَثُوث» ومن «داحِش والنَصْراء» في آن واحد.

أقول هذا مع إدراكي أن الريح لا تبدو مؤاتيةً لسُفُن السوريّين في المدى المنظور.

٢٠١٤

١ كانون الثاني

ونحن نَسْتقبل العامَ الجديد، صفّقْنا مرّةً أخرى لمحاولة المُطْرب المحبوب تطويرَ الرياضيات:

كنّا ستّة على النبعة   أجا المحبوب صرنا سبعة!

١ كانون الثاني

في لُغَتنا، يوصَف الخطيبُ القديرُ بـ«اللَوْذَعي» ويوصَف أيضًا بـ«المِصْقَع».

نحن إذن بين لَذْعِ النار ولَسْع الصقيع أو لَسْعِ الصَقْع، ومعنى هذا الأخير «الضَرْب».

يوحي هذا أن الخطابةَ العربية تأنَفُ من الاعتدال فتَكْرَه أن يَأْتي الخطيبُ بالكلامِ المعتدِل الحرارة أو البرودة.

٢ كانون الثاني

قبل أن ينجلي الدخان عن موقع الجريمة [جريمة التفجير] في حارة حريك، بدأ المغرضون والتافهون من المعلّقين يوحّدون الجرائم ويدمجون المجرمين في مجرم واحد. هذا لا ينصف ضحايا اليوم والأمس ولا ينقذ ضحايا الغد. هذه جرائم متقابلة، تزعم كل منها الردّ على أخرى ويقتضي وقفُها تحركًا بالبلاد نحو تفاهم سياسي.

القول إن المجرم واحد معناه أننا لا نواجه المجرم بل نخترع طاحون هواء ونواجهه.

إن كان قد بقي بين السياسيين من تعني له أرواح البشر شيئًا ويقيم وزنًا لهذه البلاد فليفعل ما هو مناسب للتوجه نحو تسوية سياسية. هذا التوجّه هو ميزان الكلام: يفصل ما بين المستنكرين فعلًا والفاعلين أو الشركاء في الفعل.

٢ كانون الثاني

ظلْمٌ فظيعٌ أن يموتَ عابِرُ السبيل في معركةٍ لم يَستَشِرْه في خَوْضِها أحد!

٣ كانون الثاني

هل يُحْتَسَب «أَرْذَلُ العُمُر» المذكورُ في القرآن بعدد السنين أمْ بالحال التي نُضْطَرّ إلى مُعاناتها كبارًا وصغارًا؟

٤ كانون الثاني

لا أدري لماذا بدأت أشعر أننا مهجّرون إلى الفيسبوك أو لاجئون فيه.

٥ كانون الثاني

هل كان مصباح ديوجين يُضاءُ بالكاز أم بالبطّارية؟

كان الرجل يبحث عن «الإنسان».

أصبحنا، اليومَ، في ما دونَ ذلك: نَعْلم أن المصباحَ ضاعَ ولا بدّ لنا من العثور عليه أوّلًا.

٥ كانون الثاني

أحْلُمُ، بعد غيري، بيومٍ يقتنع فيه متناولو الكلام السياسي عندنا بأن انتقاد المقالة أو الكلمة أَلْيَقُ بكثير للمنتقد وأقوى لحجّته من اعتبار الإشارة إلى المطبوعة التي ينشر فيها المتكلم أو يعمل فيها شتيمةً صائبةً وحجّةً مفْحِمة.

ولحُلُمي هذا أسباب كثيرة. منها أن اعتبار العمل أو النشر في منبرٍ ما مصادرةً لرأي الكاتب يَقْطع، قبل أيّ دليل، باعتبار الكاتب مجرّد «صوتٍ لسيّده» الذي هو ناشر الجريدة أو ما جرى مجراها ومن وراءه. والواقع أن أصحاب المنابر أصبحوا في أيامنا أذكى بكثير من الذين يظنّون هذا الظن. فالذين يقيّدون كتّابهم، في ما يتعدّى مسائلَ معلومةً ومعلنة، والذين لا يقبلون تنوّع المواقع وتغايرها في صفوف مستكتَبيهم ويعجزون عن التسليم بحدٍّ معتبر من الحرية لهؤلاء، هم أغبى الناشرين وأبعدُهم عن النجاح وأقربُهم إلى تبديد المال الذي ينفقونه على المطبوعة هباءً. تلك قاعدة أذِنَت لكثيرٍ من الكتّاب بالتنقّل بين المنشورات الناجحة، بصرف النظر عن تباين أهوائها، مع البقاء هم هم.

فإنما يُفْلِح من بين أصحاب وسائل الإعلام من يجعل أصولَ المهنة ومعاييرَ الجودة حاجزًا بين مصالحه ومواقف أصحاب الرأي من بين

مستكتبيه. مثل هذا من يتمكن أن يفرض لمنبره قدْرًا من الصدقية. وهو يخدم، بهذا القدْر، في نهاية المطاف، ما يريد خدمته من مصالح.

ثم إن هذه البلاد لا توجد فيها صحافة مستقلة: لا التي تستكتبك أو تستهويك ولا التي يعمل فيها من تشتمه. وما من وسيلة إعلام لا تفوح منها رائحة النفط التي يجهد البعض في الإيحاء بانحصارها في البعض الآخر. وما من وسيلة إعلام بارزة بقيت بمنأىً عن انتماء مذهبيّ صارخ ولكنها تنسبه إلى غيرها حصرًا. ويرسم هذا الانتماءُ خطّ الفصل بين جماعات القرّاء أو المستمعين والمشاهدين متسلّحًا بالقدرة على إدراج ما هو معلوم من ارتهان وسيلة الإعلام في ما هو معلوم من ارتهان التمثيل السياسي للطائفة.

على هذا ليست الحرية التامّة (لا بالمعنى المطلق بل بالمعنى الذي يمكن اعتباره ممكن التحقّق لهذه العبارة) متاحةً، في إعلام هذه البلاد، لأحد. وهو ما لا يمنع أن تبقى بعض الصحف ووسائل الإعلام الأخرى أقدر من بعضها الآخر على قبول التنوّع في المواقع والتوسيع من هامش الحرية للكتّاب: تُوَسّعه إلى حدّ أن هذه الحرية تصبح بلا قيدٍ عمليًا في مجالات كثيرة ويقتصر تقييدها على صفّ محدود من الموضوعات. وهذه موضوعاتٌ يغلِب أن لا تُهِمّ سوى قلّةٍ من القرّاء اللبنانيين على التخصيص.

وعلى غرار القاعدة الجارية من عهد مديد، تنحو وسائل الإعلام الحزبية وتلك الملحقة بالأنظمة ذات التوتّر الأيدلوجي العالي إلى الضيق بتنوّع الاتجاهات وإلى الخروج عن المعايير المِهْنية المميزة للإعلام المعاصر متجاوزةً، من هذه الجهة، تلك التابعة لأنظمة ضئيلة المضمون الأيدلوجي أو تلك الحريصة، ولو في حدود، على توسيع موقعها من السوق.

وعلى هذا يخطئ من يتناول العاملين في ذاك الإعلام الذي يُعرف لأصحابه مصالحُ ويكاد لا يُعرف لهم ما تصحّ تسميته فكرًا لينعى عليهم وحدهم انقيادهم لتوجيه أصحابها في ما يكتبون. فالواقع أن ما يستهوي هذا الناعي من وسائل الإعلام هي المتميزة بشدّة الضبط والربط وهي الأَوْلى بأن يُنْعت أبرز العاملين فيها بالنقص من الحرية. أي أن منبع التهم، (أو معظمها، على الأصحّ) يبدو، عند إمعان النظر، أكثرَ استحقاقًا لها من مصبّها.

٥ كانون الثاني

آخر ما قاله طفلٌ سوريّ في الثالثة قبل أن يموت: «رحْ قول لألله كلّ شي».

٦ كانون الثاني

ألاحِظُ – بلا استغرابٍ – أن المُفْرِطَ في استعمال «لا النافية للجنْس» (وما كان بمثابَتِها) يُبْتَلى بالعُقْم.

٦ كانون الثاني

التكفير أصلٌ في التدين. والأديانُ التي فيها تصوّرٌ للكفر تكفيريةٌ في ما بينها. وإنما يكون الاختلاف في النتائج التي تُرى مترتّبةً على التكفير. حتى مذاهبُ الدين الواحد لا تأنف من التراشق بالتكفير، جَهْرًا أو هَمْسًا، ولكنه ليس عامًّا بينها.

بُذِلَت، على مَرّ القرون، جهودٌ لُمداراة هذا الواقع. والمُداراةُ في هذا الموضع رُكْنٌ من أركان نظام العالم. فمُرادها ألّا يكونَ التاريخُ مجزرةً دائمة.

على أن هذه الجهودَ ظرفيّةٌ أيضًا وقابلةٌ للانقلاب إلى عَكْسِها كلما لَزِمِ الأمر. ثمّة وحشٌ سُرْعانَ ما يُخرِج رأسه من رُكام الكلام ويوشك عُواؤه أن يطغى على كل صوتٍ للمُصالحة.

أقولُ هذا لا لتَسْفيه الفِكْر المُصالح بل للابتعاد خطوةً عن الأوقيانوس الذي نحن فيه: هذا الذي أمواجُه التَفاخُر بالبراءة من التكفير ومِلْحُه الكَذِب وليس فيه من الفِكْر إلّا لَوازمُ الخِداع.

٦ كانون الثاني

منذ وصولِ «الصورة الشخصية» إلى شَرْقنا هذا، يَظْهر «المُفَكّرون» (والشعراءُ أيضًا وأوّلُهم أميرُهم شوقي) في صورةٍ بعينها تحاكي تمثالًا مشهورًا لرودان ولا تلبثُ أن تصبحَ شِبْهَ رسمية.

في هذه الصورة، يُسْنِد «المفكّر» ذَقْنَه بقَبْضَةِ يدِه أو يسند خدّه براحة يده موحيًا للناظرين أن رأسَه يكاد يَنُوء بثِقْلِ الأفكار المَهُول، فلا بدّ من القَبْضَة أو الراحة لإعانة العُنُق على حَمْل هذا العِبْء.

آخِرُ العنقود من «مفكّرينا» شاهدْتُ له صورةً يُسْنِد فيها ذقْنَه بقَبْضَتَيْه معًا ويوحي أيضًا أن الطاولةَ التي تحتَ مِرْفَقَيْه متينةٌ جدًّا وأن خَوْفَنا من انهيارها خوفٌ غيرُ مشروع.

يا ربّ اسْتُرْ!

٨ كانون الثاني

لا يبدو فَرْضًا، في التَدَرُّب على «فُنون القتال»، أن يَتَدرّج المُقاتلُ الجهاديّ من الحِزام الأبيض إلى الحِزام الأسود. قد يَصِلُ مباشرةً إلى الحِزام الناسف.

٨ كانون الثاني

ظَهَر لي في المُعْجَم أمْرٌ لم يَخْطُر لِداعِشيٍّ بِبال. وهو أن السِكّين من السَكينة! فهي سُمّيَت سِكّينا لأنها «تُسكّن» الذبيحة: أيْ تَقْطَعُ حركتَها بالمَوْت.

أمرٌ آخر يُستَحبُّ التنبيهُ إليه: وهو أن السِكّين مذكّرةٌ ومؤنّثة. يَسَعُها، بالتالي، أن تَدّعي الذكورةَ أو الأنوثة بِحَسب الحاجة فتَدْخُلَ على الذبيحة من ذَكَرٍ أو أنثى دون احتياجٍ إلى مَحْرَم.

٩ كانون الثاني

كان أبو عثمان الجاحظ مُتَفَقّهًا في علوم الدين وفي غيرها، متكلّمًا منسوبًا إلى فِرْقة المُعْتَزِلة. وكان دَميمَ الخِلْقة تنفُر منه النساء. غير أنه لم يكن – على ما يَظْهَر – حافظًا فَرْجَه ولا لِسانَه. ويُحْكى أنه لَقِيَ جاريةً فائقةَ الجمال فسألها عن اسمها فقالت: «مَكّة». فقال: «الله أكبر! قَرُبَ الحَجّ! أتأذنينَ لي أن أُقَبّل الحَجَرَ الأسود؟» فما كان من الجارية إلا أن أجابته بالآية: «لَمْ تكونوا بالِغِيه إلّا بِشقّ الأنْفُس»!

١٠ كانون الثاني

خِلافًا للتوجّهين المتقابلين للكُلّانية (أي التوتاليتارية) والحُرّانية (أي الليبرالية)، لا يَسْتَقيمُ أمْرُ المجتمع بالاستحواذ عليه من جانب دولةٍ كليّةِ القدرة ولا بتَرْكِه فريسةً لانقساماته من جانب دولةٍ مغلوبةٍ، مجرّدةٍ من القدرة المُناسِبة على التدخّل في تَدْبير شُؤونه.

فإنما تَفْترض القدرةُ على ضَبْطِ المجتمع لنوازعِ الاستبداد في الدولة وقدرةُ الدولة على ضَبْطِ نَوازعِ الاحتراب والتمزّق في المجتمع أن يكونَ

كلٌّ منهما متوفّرًا على إمكاناتٍ ومؤسّسات تُتيحُ له القيامَ بمهامّه في الجهة المقابلة. أي أن أفْضَلَ الأنظمة هو ما نراه مُنْشئًا، في عددٍ من الدول، لموازينَ قريبةٍ إلى الاعتدال ومرعيّةٍ بالنظام والقانون بين قُوى المجتمع وقُوى الدولة.

ولا يُقْصد بالقُوى، من جِهةِ الدولة، قُوى القَمْع وحْدَها وإنما يُقْصَد، قبْلَ ذلك، حضورُ الدولة الإيجابي في المجتمع بما تؤدّيه من وظائفِ الحماية والرعاية ومن قِسْطٍ يتعيّن عليها في الخدمة والإنماء وفي تقريب الفئات الضعيفة من الحصول على الضروريات.

فإن الولاءَ للدولة لا يمكن أن يُكْسب أو يُحْفظ بالعَلَم والنشيد وحْدَهما ولا بالقوّة وحْدَها سواءٌ أكانت متّجهةً إلى الداخل أم إلى الخارج. ولا بدّ، في الجهة المقابلة، أن تتيح الحرياتُ السياسية والحقوقُ المدنية تكوينَ قوىً في المجتمع يَرْفع التنافس بينها سَويّة الأداء في كلّ حقلٍ وتَحْمل نوعيةُ مُنْتَجاتها على الضغط لتحسينِ ما يقدّمه قطاع الدولة في كل ميدان.

هذا وليس صحيحًا أن أسباب التماسك موجودةٌ من تلْقاءِ نفْسها، في بعض المجتمعات (بِحُكْم التجانس القومي أو الديني، مثلًا) ومفقودةٌ في مجتمعاتٍ أخرى (بحُكْم «التعدّد» على أنواعه). فنحن نعاين، في حاضر عالمنا وفي ماضيه، ما يَدْحَض هذا التصوّر. إذ تتشكّل تحت أعْيُننا دواعٍ للتنازع، في بعض المجتمعات، لم تكن مرئية... فيما تحفظ مجتمعاتٌ أخرى قَدْرًا من الاستقرار لآمادٍ طويلة على الرغم من كثرة الصُدوع والخصوصيات فيها.

لا رَيْب، من بَعْدُ، أن اعتدالَ الموازين هذا بين الدولة والمجتمع ليس أمرًا يُعْطى بمجرّدِ طَلَبِه ولا هو أمرٌ يَبْرُز كاملَ الأوصاف إذا تحقّق ولا هو حالةٌ تُصْبِحُ ثابتةً بمجرّدِ تحصيلها. وإنما نَرى في مِثالِه مُرْشِدًا لِسَعْيٍ

سياسيّ يَبْتَغي تحصيلَ المُمْكِن منه حيثُ لا يوجَد أو حِفْظَ المُتَحَصِّل منه وتحسينَه حيثُ يوجَد.

(تَتِمّةٌ لخاطرةٍ نُشِرَتْ هنا قَبْلَ أيّام...)

١١ كانون الثاني

في الحرْبِ، يُوجَد على الدَوامِ شيءٌ من الـ«أودِيبِ المعكوس»: مُتَقدّمون في السِنّ، بعضُهم يَصُحّ فيه القولُ «إنّه على حافّةِ قبره»، يُرْسِلون إلى الموت مَنْ هم في سِنّ أولادِهم.

١٢ كانون الثاني

أنا – مَثَلًا – من أبناءِ الصفّ الواحد.

ولكنْ لا أعرفُ أيَّ صفٍّ هو.

أعرف أن الصفوف الواحدة قلّما تنجح في رَدْعِ أبنائها عن التقاتل.

لِذا بدأتُ أتمنّى أن تُسْقِطَني إدارةُ هذا الكون إلى الصفوف المتعدّدة.

٢٨ كانون الثاني

عادَ المطرْ!

ها نحْنُ بعدَ الشُحّ نَنْعَم بالمطرْ.

فسنرتوي حتى البَطَرْ.

شكرًا قَطَرْ!

٢٩ كانون الثاني

من قَبيل النصيحةِ لِسائرِ المَشْرق: ١– المُشْكِلُ الطائفي: شيءٌ قابلٌ جدًّا للنُمُو، يُصْبحُ مع الوقت هو نفْسه النظام الاجتماعي-السياسي قَضَّهُ

بقَضيضِه. ٢- الصيغةُ الطائفية لمعالجةِ المُشْكِل الطائفي: صِفرٌ مكعّب لِجهةِ الصلاحية وجريمةٌ تاريخيةُ المستوى والنِطاق لِجهةِ العواقب.

٢٩ كانون الثاني

عطفًا على عَرْضحالي السابق: ليَسْقُطْ آرند ليبهارت وأسلافُه وأشياعه!

٣٠ كانون الثاني

ليس مُرَجّحًا أن يكون في أَزْمة النظام الطائفي ما يُزْعِج القوى السياسيةَ للطوائف إذا نَظَرْنا إليها واحدةً واحدة. فالأَزْمة تَشُدّ العَصَبَ الطائفي حوْلَ حُماةِ الحِمى. وهي تُظْهِر لهم أهميةً سياسية لا يَنْعَمون بمِثْلِها في حالِ الاسترخاء. وهي تَسْتَدْرِج لهم منافعَ من كلّ نوعٍ يُغْدِقها الراعي الخارجي لِحِفْظِ موقعه اللبناني ويَتَلقّاها مُبايِعوه: أيْ مَنْ باعوه أنفُسَهم جُمْلةً أو يبيعونه خِدْماتِهم مُفَرَّقةً.

شيءٌ واحد يُقْلِق هذه أو تلك من قُوى الطوائف في ظَرْفِ الأَزْمة: وهو أن تُفْضي الأَزْمة إلى تغييرٍ في الميزان بينها وبين غيرها يكون في غير صالِحِها.

أَزْمةُ مَنْ هي الأَزْمةُ إذن إن لم تكن أَزْمةَ القُوى السياسية في البلاد؟ هي أَزْمةُ البلاد نفسِها وأَزْمةُ الدولة وأَزْمةُ العِباد الصالحين من أَهْلِ البلاد، لا أكثرَ من هذا ولا أقلّ.

٣٠ كانون الثاني

في مَعاجمنا:

دَعَسَ المرأةَ: جامَعَها.

والمَعْسُ أيضًا كِنايةٌ عن الجماع.

... آهِ يا حَنون!

٣١ كانون الثاني

بخِلافِ ما آلَتْ إليه الحالُ بين كوندوليزا وفؤاد، يرجَّحُ ألّا يَظْهرَ مانعٌ شرعي يَمْنعُ تقبيلَ تمّامٍ لجون إذا اقتضت المناسبة. كيف لا وقد هاتَفَ باراكُ حَسَنًا؟

على أن هذه القبلةَ الحلالَ ستبقى، إلى أجَلٍ مسمّى، مترجّحةً بين مرتبةِ المكروه ومرتبةِ المُسْتَحَبّ فلا تُعَدّ فَرْضًا واجبًا شَرْعًا إلى أن يأْذنَ ربُّك.

وسيبقى فُقْدانُ الشَهِية، مثلًا، عُذْرًا مُحِلًّا لأحَدِ الطرفين أو لكليهما من مهمّة التقبيل.

على أن هذا كلّه مشروطٌ باجتياز تمّامٍ بسلامٍ مِحْنَةَ التأهيلِ للتقبيل، واللهُ خيرٌ حافظًا وهو أرحمُ الراحمين.

١ شباط

أصبحَ عندَنا، والوزراةُ مستقيلةٌ، وزراءُ لتصريف البلاد: لصَرْفِها وقَبْض فُراطَتِها، وزراءُ يصُحّ أن نَسْأَلَ: مِنْ أيّة بلادٍ هُمْ؟

بل يصحّ أن نَسْأَلَ أيضًا، بالنظَرِ إلى سُلوكِ هؤلاء وغيرِهم، إن كان اللبنانيون آخِذين في التحوّل إلى جالياتٍ أجنبية في بلادهم.

٢ شباط

بعد فانواتو، نحن أصحاب أبطأ إنترنت في العالم!

لا أمل لنا إلا بقاء الصحناوي في وزارة الاتصالات واستمرار باسيل في إمداده بالطاقة. نحن مدينون لهما بالسماع بفانواتو. ولكن كيف نقبل أن تبقى هذه الجمهوية خلفنا؟ قد تطعننا في الظهر.

٢ شباط

نَبْذُل جهودًا لا نهايةَ لها لإقامة الدليل على أن السياسيّين والناطقين بألْسِنَتِهِم كذّابون.

هل تَسْتحقّ هذه المهمّةُ هذا العناءَ كله؟

هل ثمّة شكٌّ أو عَجَبٌ في أنهم يُظْهرون من الوقائع ما يؤيّد أفعالَهم أو مواقفَهم ويُخْفون ما يُسَفّهها أو يُقَبّحها؟

هل هذا هو الكذبُ أم ابنُ عمّه؟

هل الكلامُ السياسي بحثٌ عن حقيقةٍ أم هو ادّعاءٌ لأمانةٍ تقعُ على مستوىً ما، تَجْمَعُ السابقَ باللّاحق في سلوك المتحدّث، وتوفيقٌ بين الفعل وشبكةِ قِيَمٍ يُفترض أن المُخاطَبين يعتمدونها؟

والذين يؤيّدون السياسي أو يعارضونه هل تنفعُ الحقائقُ في تبديل مواقفهم أم هم يأخذون منها ما يُسْنِد هذه المواقفَ ويتركون ما يخلخلها؟

هل الحقيقةُ أساسُ الموقف السياسي ومادّةُ التعبير عنه أصلًا؟ أم هذا الأساسُ شيْءٌ آخر: المصلحةُ... غريزةُ الجماعة... الغرورُ... الجُبْنُ... الحَرَجُ الذي لا خِيارَ معه... إلخ، إلخ...؟

على الرُغْم من هذه الأسئلة وغيرِها، نواصل الخَوْضَ في السياسة بكلامنا المعهود.

لا معنى لهذا الإصرار إلا أن نكونَ على مسرحٍ ويكونَ الجمهورُ محايدًا أو حائرًا أي مستعدًّا، على نحوٍ ما، لِتَدَبُّرِ الكلام أو لتقبّل الوحي بقَدْرٍ من صفاء النيّة.

٣ شباط

مِن آباءِ أبوَيّ، لم أَعْرفْ غيرَ جدّتي لأُمّي، ولا تزال طَلْعَتُها تملأُ روحي حنينًا بعد نيّفٍ وخمسين سنةً من رحيلها.

في لحظاتِ الحَرَج وفُقْدانِ الحيلة، كانت جدّتي تَسْتنجدُ كلمةً لعليّ بن أبي طالب: «آهِ من قلّةِ الزادِ وبُعْدِ السَفَر!».

قبل أيّامٍ، عرفتُ أن جدّتي كانت تُغْفِل أو تجهل ركنًا ثالثًا في قَوْلَةِ عليّ: «وَحْشَةَ الطريق»!

فآهِ من قلّةِ الزاد وبُعْدِ السَفَر ووَحْشةِ الطريق!

٣ شباط

هل هذه البلادُ مستهلَكةٌ إلى هذا الحدّ؟

بعضُ أَهْلِها باعَها للكَسْر!

٣ شباط

الحورُ العِينُ يُضاجِعْنَ رجلًا لم يَرَيْنَهُ من قَبْلُ. يَصِلُ تَوًّا وهو في حالِ هياج. هذا تفعَلَه أيضًا نساءٌ يُزاوِلْنَ «أقْدَمَ مهنةٍ في التاريخ»، منتشراتٌ في مَشارقِ الأرضِ ومَغاربِها... ولا يحتاج أحدٌ لقَتْلِ نَفْسِه ولا غَيْرِه للوصول إليهِنّ.

٣ شباط

المشايخُ الذين يَعِدُون الشبّانَ بالحُور لِقاءَ قَتْلِ النَفْسِ والغَيْرِ يَعِدّون اللهَ قوّادًا.

٤ شباط

أن يُقتَل شابٌ واحد تحت التعذيب في أقبية نظام سياسي وبأيدي جلاوزته جريمةٌ من نوعٍ خاصّ تتوالد وتنشُر ظلّها الوسخ حتى تنزع آخر ذرّة من الشرف عن الدولة كلها. فكيف إذا كان القتلى ألوفًا؟

٤ شباط

لم يَهْزِم الاتّحادُ السوفياتي مشروع «القاعدة» في أفغانستان بل مهّد لتحويل أفغانستان إلى قاعدةٍ للقاعدة. ولن يكون لقِتالِ حزب الله بجانب النظام السوري مفعولٌ يُذْكر سوى المزيد من نَشْرِ «القاعدة» في سورية وفي بلادٍ أخرى بينها لبنان.

هذا السرطانُ المذهبي تنشُره مواجَهتُه بالعنف المذهبي كما تنشر الجراحةُ المرتَجَلة أيَّ سرطانٍ في الجسم المُصابِ كلّه.

٥ شباط

بيل غيتس يتخلّى عن رئاسة مجلس الإدارة في مايكروسوفت.

هذا يشبه كثيرًا ما يحصل دوريًا في الأحزاب اللبنانية!!!

... تقريبًا، أعني... سامحوني إن أخطأت.

٥ شباط

الذي يتوجّهُ إلى مُواطنيه طالبًا انتخابَه رئيسًا للجمهورية، ما الذي يجعلُه يُعَمِّم صورةً لنَفْسِه بنظّارتَيْن قاتمتَيْن وقبّعةٍ عسكريّةٍ تُخفي نصْفَ وجْهِه؟ ما الذي يَخْشى ظُهورَه في مرآةِ عَيْنَيْه إذا ارتَفَعَ عنهما هذا القِناع؟

٥ شباط

في تقديري أن المفعولَ الأقصى الذي يرغب المستبدّ (أو مشروعُه) في تحصيله للصورة الأيقونية التي يتقدّم بها من العامّة هو تثبيتُ الفَجْوة التي تَعزِل السلطةَ (أو مشروعَها) عن الناس.

وليس لإظهار هذه الفَجْوةِ صيغةٌ واحدة، بل هي تَحْصُل من طُرُقٍ مختلفة تنتهي كلُّها إلى جَعْلِ جسدِ المستبدِّ جسدًا للسلطة أو إلى اتّخاذِ المستبدِّ السلطةَ جسدًا له.

إحدى صِيَغِ الإظهار تلك (وهي التي تمثّلها، اليومَ، صورةُ السيسي الأيقونية بالقبّعة والنظارتين) أن يبدو رأسُ الحاكم (أو مشروعِه) شبيهًا بالصُنْدوق الأَسْوَد لا يُعْرَف، قَبْلَ فَتْحِه، ما يَدُورُ في عَتْمتِه.

بخِلافِ ذلك، يُمْكن تحصيلُ النتيجة نفْسِها (أيْ تجسيدُ السلطة أو تجسيدُ الجماعة بالانفرادِ عن أفرادِها) باعتمادِ صورةِ الأبِ العَطوف أو الأخِ الشفوقِ مع البقاء على مَبْعُدةٍ كارِزْمِيّة تُتيحها لغةُ الجسد المشبعةُ بشَهْوةِ الفِتْنةِ والهيمنةِ أو القامةُ الاستثنائية أو فوقيّةُ النظرة، إلخ. وكان ديغول يحوز كثيرًا من ذلك ومِثْلُه، على نحوٍ مختلفٍ بعضَ الشيء، عبدُ الناصر.

يُمْكِنُ أيضًا تحصيلُ الهيمنة العازلة بلُغةِ الجَسَد العنيفة والنبرةِ الغَضُوب والعينين اللتين تَقْدَحان شَرَرًا وما جرى هذا المجرى، وهذه كانت حالُ هتلر، مَثَلًا. إلخ.

وكان المسلمون قد أدركوا التغييرَ الذي يعبّر عنه في طبيعة السلطة «احتجابُ» الخليفة أو السلطان عن الناس، أي اتّخاذُه حُجّابًا يَفْصِلون بينه وبين من يريد الدخولَ عليه. وهو ما لم يكن يفعلُه الخُلَفاءُ الأوائل. عليه اهتمّ مؤرّخو الدول الإسلامية لملاحظةِ الفوارق بين عَهْدٍ وعَهْدٍ وبين حاكمٍ وحاكمٍ لهذه الجهة.

في لغةِ الديمقراطية، يسمّى هذا التَفارقُ بين السلطة والمجتمع تَسامي الدولة أو سُمُوَّ الشرائع. ولكن السُمُوّ يُنْسَبُ، في هذه الحالة، إلى قِيَمٍ ومؤسّساتٍ لا إلى شخصٍ وحيد كثيرًا ما يتّضح، بَعْدَ حينٍ، كم كان، في حقيقته، سفيهَ الرأي وعديمَ الخُلُق.

٦ شباط

بعضُ ذَوي الأقلام من الذين رَحَلوا قبْلَ سنواتٍ أو قرون وكانوا مُبْدعين في بابِ الخاطرة القصيرة، ما كانوا إلا ليَسْعَدوا باقتناءِ صفحةٍ للفَسْبَكة.

أفكّرُ – مثلًا – في بليز باسكال، وأفكّر أيضًا في بعض مَنْ غابوا عشية بزوغ هذه الألفية ومعها الفيسبوك، أمثالِ المكسيكي أوكتافيو باث أو الروماني سيوران.

قد يكون لهؤلاء اليوم صفحاتٌ يعتني بها بعضُ محبّيهم ويسَعُنا أن نزورَها، وهذا حسنٌ. ولكنّ مواكبةَ خواطرهم وهي تولَدُ (وليس وهي تستعادُ) كانت ستوفِّرُ لهم حافزًا للتريّض الفكري المنتظم وتتيح لمُتابعيهم رياضةً وصلة روحيتين عزيزتَيْ النظير.

كم كان سيَعِظُنا ويعزّينا، في هذه الأيام، أن يخُصّنا باسكال بخاطرةٍ كالتالية تصل إلينا ساخنةً بنتَ ساعَتِها:

«لِمَ تريد قتلي؟

يا لَهُ من سؤالٍ! ألا ترى أنك مقيمٌ في الجهة الأخرى من الماء؟ يا صديقي، لو كنتَ مقيمًا في هذه الجهة لأصبحتُ قاتلًا ولكان ظُلْمًا أن أقتلكَ على هذه الصورة. أمّا وأنك مقيم في الجهة الأخرى فإنني لشجاعٌ وإن قتْلكَ لَمِنَ العدل.»

(Blaise PASCAL, Pensées, 1ère partie, art. IX, III)، (الترجمة العربية لي).

٧ شباط

أخبرني الفايسبوك، اليوم، أن بيني وبين فلانٍ ألْف صديقٍ مشترك بالضبط.

أشعَرَني بالأمان هذا السُدّ البشري الكثيف!

٧ شباط

من عَجَبٍ أن أربابَ الأصالة، أعداءَ التغريب الحضاري، أصبحوا فجأةً خصومَ البداوة المتحرّقين رغبةً في إبادة النُوق ورَدْم الصحراء.

٩ شباط

باتَ النزاعُ السياسي الجاري في لبنان - ببُعْدِه الإقليمي، على الخصوص - يبدو متحكّمًا بالمقوّمات الأساسية للشخصية الفردية وللشخصيات الجماعية من ورائها: بتعيين الهوية وبالأفضليات الثقافية وبالذائقة الجمالية، إلخ.

وقد اقتضى هذا التكيّف الذي يواكب التغيير في خريطة المواجهة الطائفية، تعديلاتٍ تُنَفَّذُ على عَجَلٍ في مكوّنات الشخصية تلك. وهي تعديلاتٌ تبدو مُثيرةً للأسى وللسخرية في آنٍ. وهذا لكونها تُجْرى بمَعْزِلٍ عن المَخاض الفكري المديد الذي يُفْتَرَض أن يُفْضي إلى مِثْلها وعمّا يصحَبُه من تكوينٍ بطيءٍ لعاداتٍ شعورية جديدة.

توحي هذه الخفّة والارتجال في تصوّر النفْس وتعريفها باسترخاصٍ عميق للنَفْس ولقِيَمِها... ما دام هذا كلّه قد بات رهينًا لاتّجاه الريح السياسية تلعب به شمالًا ويمينًا.

ولَعَلَّ الأمر كان دائمًا على هذه الشاكلة في وطن الطائفية السياسية. ولكنّ ما نَلْحَظُه، في هذه الآونة، من تخبّطٍ حائر بين خيارات الانتماء

الأصلية يبدو دالًّا على درجةٍ استثنائية من الحِدّة بَلَغها تشنّجُ الجماعات اللبنانية وهَلَعُها.

١٣ شباط

«الرجالُ قوّامونَ على النساء»: لا يَسَعُني أن أَعِدّها امتيازًا للأوّلِينَ إذْ يُسْتَفادُ منها أن النساءَ قعّاداتٌ على الرجال.

يَضيقُ صدري كثيرًا عند تخيُّل هذا الوضع بِجِهَتَيْه ولا أرى بُدًّا من اعتباره مِحْنَةً مَضَتْ وانْقَضَتْ أو هي في سبيلها إلى الانقضاء.

الآيةُ تَصِفُ أمرًا واقعًا ولا أرى نصَّها بتَمامِهِ يُحتّم القولَ بالوُجوب.

ومهما يَكُنْ من شيءٍ، فلا مَناصَ من السَعْيِ، في خُصوص القيام والقعود، إلى حالٍ نَقُوم فيها ونَقْعُد معًا ولا تَقُوم فيها جهةٌ على جهةٍ ولا تَقْعُد.

تلك – واللهُ أعْلَمُ – هي الحالُ التي إذا بَلَغْناها يُقامُ لنا ويُقْعَد..

١٤ شباط

إذا وُلِدَت لنا حكومةٌ، في هذا النهار، سنَكْتشف – بعد أكْلِ المَغْلي – أن تمويلَ النزاع بين أطرافها قد أصبح واحدةً من أبرزِ مهامِّ الدولة.

١٤ شباط

«يُجَنِّد» الإعلامُ المتحزبُ مُعْتَقَلًا فيَخْتارُ له ما «يجب» أن يعترفَ به من جرائم.

بعد أيّامٍ أو أسابيعَ يبقى شيءٌ واحدٌ من «الاعتراف» المزعوم وهو البَلْبَلة.

في لُغاتٍ غيرِ لُغتنا يُسمّى هذا «تَسْميمًا» إعلاميًا، وهي تَسْمِيةٌ مناسبة لِما يَحْصُل في جهةِ الجُمْهور.

أقترح «التعذيب الإعلامي» اسمًا لما يَحْصُل في جِهةِ المُعْتَقل.

١٤ شباط

هذا [في صورةٍ] صهري أبو هاشم، محمد فرحات، الذي فارقنا قبل أيام. يظهر هنا واقفًا أمام منزله في برعشيت الذي هُدم مرّة ثانية في حرب ٢٠٠٦.

قد يكون اللبناني من أصناف البشر النادرة التي يتعين عليها أن تبني البيت نفسه ثلاث مرّات في عمرٍ واحد. في المرّتين الأخيرتين كان أبو هاشم يتدرّج من مشارف الثمانين إلى مشارف التسعين وأقام في النسخة الأخيرة من بيته صيفين فقط!

١٦ شباط

ما خلا السهو والخطأ، طالت الأَزْمة الوزارية ٣١٦ يومًا. عليه تجاوَزْنا رقمنا القياسي المسجلّ سنة ١٩٦٩، وهو سبعة أشهر تقريبًا، وتجاوَزْنا (بأربعة أسابيع) الرقم الذي سجله العراق، قبل سنوات قليلة. وكان العراق قد حطّم رقمنا ذاك أيضًا إذ طالت أزمته ٢٨٩ يومًا بين آذار ٢٠١٠ والأيام الأخيرة من تلك السنة.

على أننا سنَجِد، بين أنصار نظامنا، من يلوّح للبلاد وأهلها بالرقم البلجيكي الذي قصّرنا دونه كثيرًا إذ بلغ ٥٤١ يومًا بين نيسان ٢٠١٠ وكانون الأول ٢٠١١.

هكذا يكون علينا أن نرضى بحالنا، في كلّ أمر من الأمور، ما دام يوجد في العالم من هو أسوأ حالًا منّا وإن لم يكن بيننا وبين هذا الأسوأ مؤنسٌ نتعزّى به.

فإذا لم نَرْضَ اعتبَر أنصارُ النظام سُخْطَنا طموحًا غير مشروع وغضًّا من عبقرية الصيغة الفريدة.

«كلّ حزبٍ بما لديهم فرحون». عسى أن يؤْذَن لنا بمِهْلة نصدّق فيها أن بلادنا قد عادت دولةً ذات حكومة.

وأمّا الآن فنحن قبل «الطُشّ» بواحد في سرعة تشكيل الحكومة وفي سرعة الإنترنت.

١٦ شباط

هذا [في صورةٍ] والدي عبد اللطيف بيضون، الحاجّ الأصلي، يظهر هنا مع صبايا من مُناصِراته... جميلاتٍ وحاسراتٍ... في موسمٍ انتخابي ما، على الأرجح.

في شأن هذا النوع من «السَماحة»، يصحُّ القول:

«آذَنَتْ دولةٌ وولّى زمانٌ ومضى عامرٌ وجاءَ يَبابُ»

(أمين نخلة)

١٨ شباط

وزيرُ التربية الجديد (الذي نسيتُ اسمَه) زَعَمَ أن البيانَ الوزاري لن يؤخّره خلافٌ أو عقبةٌ لأن «اللغة العربية فضفاضة»!

فيا لَهُ من وزيرٍ مُحْكَمٍ غيرِ مُتَشابهٍ، ناسخٍ غيرِ منسوخ! ألا بمِثْلِ هذا تعلو راياتُ العربية في المدارس والجامعات، وتَجْتاح الفصحى الشوارعَ والساحات! بَخٍ بَخٍ! زَهٍ زَهٍ! إلخ.، إلخ.

١٨ شباط

حين اقتنينا مولّدًا منزليًا للطاقة وللفواتير أطلقتُ عليه اسْمَ «باسيل» تَيَمُّنًا.

أمّا وقد أصغيتُ أمس إلى الوزير باسيل يَكيلُ أعظَمَ المديح لوزارة الثقافة ويهنّىء نفسه بتَوْلِيَةِ ماردٍ (من «المَرَدة») عليها، أي ببقائها في الحوزة الباسيلية، فقد بدأتُ أفكّر في تسمية المولّد «شكسبير».

١٨ شباط

في ديارنا، كان يقال تَنْوِيهًا بالقيمة العظيمة لِعَقارٍ من العَقارات «إنه يَفُكّ المشنوق!». حكومَتُنا الجديدة لم تتركْ أيَّ «مشنوقٍ» معلّقًا. صلّوا على النبي!

١٩ شباط

أصبحنا لا نرى بعضنا بعضًا لكثرةِ ما نقول: «نوّرتَ الفيسبوك!» بَدَّل!

٢٠ شباط

في عهدِ الرسول، كان «الغَداءُ» طعامَ الغُدْوة وهي ما بين الفجر والشروق، وكان «العَشاء» طعامَ العُشْوة وهي الظُّلْمة التي تلي الغروب.

عليه تكون مائدةُ الرسول قد رُفِعَت في الوقت الذي يتوهّم القاتل-المقتول أنه مدعوٌّ فيه إلى الغَداء عليها ويكون المذكورُ موعودًا بالموت جوعًا، في الواقع، بعد أن ماتَ إجرامًا.

٢٠ شباط

لا يسَعُك، بمُجَرَّدِ احترافِ الشَتْم، أن تفرِضَ نفْسَك مناضلًا أو كاتبًا أو مفكّرًا. ولا يغيّر في الأمْر شيئًا أن يكون من تشْتُمُهم يَسْتحقّون الشَتْم. الصفاتُ التي تريد أن يُعْتَرَف لك بها تفْرِض الإتيانَ، في كلّ مرّةٍ، بفعلٍ جديد أو بكلامٍ جديد أو بفكرةٍ جديدة. وأمّا الشَتّام فعُدّتُه من الشتائم محدودة بالضرورة لأن هذا الحقلَ عقيمٌ أصلًا. فهو يَسْتعمل الشتيمةَ الواحدة عشرةَ آلافِ مرّةٍ وهي تَخونُه إذ تفْقُد فاعليّتَها من المرّة الثانية. ولا يلبَثُ جمهورُ المأخوذين بعُنْفِ الكلام أن يأخُذَ في التضاؤل. أو يُحيل الشتّامُ إلى شتيمةٍ ما ليس بشتيمة. فترْتفع استهزاءً به وازدراءً له حواجبُ تظلّ تتكاثَرُ من مرّة إلى تالِيَتِها.

البطالةُ أجْمَلُ من اتّخاذِ الشتم سيرةً مهنية!

٢٠ شباط

لا أُمْسِكُ نَفْسي عن الابتسام كلّما فَطِنْتُ إلى أن العربَ سَمّوا واحدةً من أصابعِ اليَدِ «السَبّابَة»... مُفْترِضين أن السَبَّ يَسْتَحِقّ ان تُفْرَدَ له آلَةٌ خاصّةٌ به في جِسْمِ الإنسان! وقد وَقَعْتُ أخيرًا على ما يَزيدُ هذا الأمْرَ طَرافةً. وهو أنهم يُسَمّون هذه الإصْبَعَ نَفْسَها «المُسَبِّحةَ» لأنه يُشارُ بها عند التسبيح.

٢٠ شباط

لا أرى المؤمنَ محتاجًا إلى هذا العنف الذي يتعذّر تعليلُه بغيرِ الرُعْب من الشَكّ.

٢١ شباط

لو لم يكن الطعام، حيث أنا، لذيذًا كلَّ يوم لقلتُ مع القائلين «شكرًا قَطَر!»... عفوًا! عفوًا!... بل «شكرًا عزّة!» على الغداء اللذيذ أمس.

٢١ شباط

يبدو راجحًا أن المستبدَّ يصبح، عند تمامِ استبدادِه، عاجزًا عن الاعتزال. وذاك أن الاستبدادَ يُبْنى على زَعْمٍ هو زَعْمُ تَجَسُّد السلطة أي حلولها في جَسَد هو نفسه الجسد السياسي للجماعة. وعليه يصبح جسدُ المستبدّ هو جسد السلطة أو جسد الجماعة هذا باعتبار الجماعة شيئًا منفصلًا عن مجموع أفرادها: مختلفًا عنهم ومتفوّقًا عليهم. ويُفْتَرَض أن تصيرَ هذه الجماعةُ إلى الموت إذا مات جسدُ المستبدّ. ولذا يتشبّث هذا الأخير، لُطْفًا منه وكَرَمًا، بالحياةِ وبالسُلْطةِ معًا.

غير أن المستبدَّ فانٍ بما هو جسدٌ وينتهي أمرُهُ إلى الموت شأنَ سائر البشر، فهل له أن يَتْرُكَ الجماعةَ تموتُ بموته؟

وَجَد الملوكُ حلًّا لهذه «المُعْضِلة» بالتوريث. فافْتَرَضوا أن وَحْدةَ الدمِ التي تَجْمع الأبَ والابنَ قَمينةٌ بضمانِ الاستمرارِ لوَحْدةِ الجماعة الحالّة في جسد السلطة الواحد. وكان أن استَقَرّ التسليمُ، في بعض الحالات، بأن للملك جسدين: أَحَدُهما ماديٌّ يموتُ والآخرُ سياسيّ لا يموت بل يَنْتقل. وقد وَضَع الألماني كانتوروفكس كتابًا ذاعت شهرتُه سمّاه «جَسَدا الملك» تتبّع فيه مصائرَ هذه العقيدة بين العصر الوسيط المتأخّر في ممالك القارة الأوروبية والعصر الأليزابيثي في إنكلترة. وهذا العصر الأخير هو أيضًا عصر شكسبير ومسرحيته «ريتشارد الثالث» التي يظهر فيها بجلاءٍ مبدأ ازدواج الجسد الملكي هذا.

وحيث كانت «العشيرةُ» أو «البيتُ» عِماداً لتنظيم المجتمع والسلطة، لم تُشْترط بُنُوّة الخَلَف للسَلَف بل فُتِح بابُ التفضيل في نطاق العشيرة. هكذا انتهت سقيفةُ بني ساعدةٍ، مَثلًا، إلى جَعْل الخلافةِ في المُهاجرين من قريش... وأَقرّت دولةُ بني عثمان، مَثلًا أيضًا، الخلافةَ للأَرْشَدِ فالأرشد في البيت العثماني. وكان بعض السلاطين يَعْمِد إلى قَتْل إخوته عن آخرهم ليتاحَ له توريثُ واحدٍ من أبنائه.

وفي عَصْرِنا وجِوارِنا، اعتبَر الرؤساءُ المستبدّون أنفسَهم بمثابة الملوك وجَنَحوا إلى توريث أولادِهم حَصْرًا مستفيدين من تَصَدُّع المنظومة القَبَليّة والبِنى الإقطاعية ومن زَعْمِهِم تجسيدَ وَحْدةِ الأُمّة التي ادّعوا استردادها على أنقاض النظام المتداعي.

وكان مفروضًا أن نُقابِلَ بالحَمْد والعِرفان طُغاتَنا الأكارم وهم يَبْذُلون وُسْعَهُم مقدّمين ذَوِي الوَسامة من فِلْذاتِ أَكْبادهم لإنقاذ جماعتنا من الانحلال متى رحَلَت عنّا أجسادُهم الفانية وفارَقَتْنا وجوهُهُم الكالحة.

ولكنّ بعضنا شَقَّ العَصا، في الآونة الأخيرة، وأَنْكَرَ الجميلَ، على ما يبدو، فاستَحْقَّ أَفْظَعَ العِقاب.

٢١ شباط

سعد الحريري أيضًا قال: «نقطة على السطر.»

لو اننا بقينا على نقطةٍ واحدة لفَهِمْنا أنها نهايةُ كلامٍ قاطع، ليس على وضوحه مزيد.

أمّا وقد تبرّع كلُّ فريقٍ بنقطة وأصبحنا أمام نقطتين أو ثلاثٍ... فهذه تشير، عُرْفًا، إلى كلامٍ معلّق، آخِرَتُه غيرُ مضمونة.

٢٢ شباط

الصواب عندنا مؤسفٌ غالبًا، فضلًا عن كونه منكَرًا!

٢٢ شباط

كشْفُ الجرائمِ السياسية وضَبْطُ الفاعلين في ضِفّةٍ واحدة من ضِفّتي الخَنْدق السياسي الذي يَشُقّ البلادَ وتَرْكُ مَنْ يُماثِلُهم على الضِفّةِ الأُخْرى حتّى حينَ تُعْرَف هُوِيّاتُهم: تلك أَقْرَبُ الوسائل إلى تجذير الإرهابِ في الجهة التي يُضْبَطُ إرهابيوها. وهي أيضًا أيْسَرُ السُبُلِ إلى شيءٍ آخَرَ قد لا يَبْرُزُ إلى العَلَن إلّا بَعْدَ حينٍ: وهو تدميرُ الأجهزةِ المسؤولةِ عن مُكافحة الإرهاب عِوَضَ تدميرِ الإرهابِ نَفْسِه.

٢٢ شباط

عجَبًا! لا أَجِدُ «الدِكّ» ولا «التُوك» في مَعاجم العربية!

ماذا تُرانا نُسَمّي إذن ما يَحْصُل لنا كلَّ يومٍ وما نَراهُ في أنْفُسِنا كلَّ ساعة؟

هل نحن بِرُمَّتنا مؤامرةٌ صهيونية على أنْفُسِنا؟

٢٣ شباط

عادَ بو تفليقة من العالَمِ الآخر ليَتَرأّسَ على الجزائر مرّةً رابعة.

عليه نَكونُ قد انتَقَلْنا من الرؤساءِ الذين يورّثون أولادَهم، بعد عُمْرٍ طويل، إلى الرؤساء الذين يورّثون أنْفُسَهم بعد أن يَحْصُلوا على تَقْريبٍ خاصٍّ بهم ليَوْمِ القِيامة.

٢٣ شباط

بمعنىً ما، يزدادُ وجهُ الله بُعْدًا كلّما ازدادَتِ الصفةُ الدينية للصراع السياسي رسوخًا وازدادَ هذا الصراعُ عُنْفًا. عندَنا أصبحَتِ الصلاةُ العلنيّة وما جرى مَجْراها من شَعائرِ الجماعة دعايةً حزبيةً بَحْتَةً ليس للهِ منها أيُّ نصيب.

اللهُ، في هذه الحالة، ليس سوى راعٍ للعنف، مسلوبِ الإرادة ولكنّه، مع ذلك، فتّاكٌ للغاية.

٢٤ شباط

سيّءُ الحظِّ من كانت له مَكانةٌ ما وتوفّاهُ اللهُ في ظَرْفِ احتدامٍ للصراعِ السياسي. فهو ما إن يرحل حتى يَبْدأ في روايةِ الأكاذيبِ المتناحرة بعشرينَ لسانًا متطوّعًا.

٢٤ شباط

عليَّ أن أتفرّغَ لأعمالٍ تأخَّرت. نلتقي بعد حين.

٣ آذار

لَطالَما حاصَرَتْني الرَغْبةُ في سؤالِ الدَجاجةِ، وهي تُذْبَحُ، رأيَها في نِظامِ العالَم.

٣ آذار

التعيُّشُ الطائفي مُشْكِلة...

ويَزيدُه خطَرًا أنّه تَعَيُّشٌ غيرُ مشترَك.

٤ آذار

يَكادُ لا يَمْضي يومٌ أو يُسْتَجَدُّ حَدَثٌ إلّا ويَقولُ جون كيري «إنّ جميعَ الخياراتِ مطروحةٌ أمامَ الرئيس.»

هي، في الواقعِ، خِيارةٌ واحدةٌ وقد أصبح العالَمُ يَعْرِفُ أينَ حَشَرَها أوباما!

٤ آذار

يَظْهَرُ جليًّا أنّ كثيرًا من اللبنانيين قد خَلَت ذاكِرتُهُم من رئيسٍ لِجُمْهوريّتهم يَقولُ كَلامًا يُشْبِهُ مَرْكَزَهُ الدستوري.

وهذا مع العِلْم أن الرئيسَ الحاليّ، وقد أَوْشَكَ على الرحيل، ما يَزال مُحْتاجًا إلى نِقاطٍ أُخْرى يَضَعُها على حُروفٍ أُخْرى.

وهو لا يَفْعلُ لأنّه سياسيٌّ، هو أيضًا، ولأنّه يعوِّلُ على ما يُظهِرُه له من مُسانَدةٍ ساسةٌ آخَرون لا يَسْتحقّ سَوادُهم الانتسابَ إلى دُسْتورٍ ولا إلى جُمْهورية.

٥ آذار

كانت هذه عودةً خاطفة إلى حائطي استدْرَجَتْني إليها غرابةٌ استثنائية في أطوار الخلائق والحوادث عايَنّاها في هذين اليومين. عَلَيَّ الآن أن أستأنف المأذونية.

٢٣ نيسان

ما كان لي إلا أن أرى في الحملة على سمير جعجع علامة ليقظة مدنية

عظيمة... لولا علمي أن قادة الحملة لا يجدون في إيلي حبيقة عيبًا سوى أنه مات.

يسمّونها العدالة «الانتقالية»، لا العدالة «الانتقائية».

٢٥ نيسان

لا يزال جنبلاط رابخًا على الحلو. ولكنه سيقوم بعدَ حينٍ لئلّا يُمَوْدِر بيضُه ولا يخرج الحلو من البيضة.

٢٦ نيسان

ما الذي يجعلني أثابر على الخلط بين رائد وحش وثائر ديب؟

قد يكون العنف الذي في الاسمين هو ما يبعثر الترتيب كلما حاولته.

أم هما رائد ديب وثائر وحش؟

أليس إلزهايمر بقريب؟

٢٦ نيسان

القضاة الذين حاكموا سمير جعجع، قبل عشرين سنة، كان يجب أن يدخلوا السجن معه لأنهم كانوا يأتمرون بأمر أمثاله وأمر سادتهم. وهو وأمثاله الذين هم معظم زعماء البلاد اليوم أو وَرَثَتُهم، من خصومه ومن حلفائه، كان يجب أن يغلقوا أبواب بيوتهم عليهم، بعد قضاء المحكومية المديدة وطلب الغفران من الضحايا، لعلّ النسيان يتقبّلهم في أحضانه. ولا يزال غير مقبول البتّة أن يصبح أولئك قادة البلاد ويترشح هذا لرئاستها.

لن نستطيع التوصّل إلى شيء من هذا، طبعًا. بل إننا قد لا نتمكّن

من النجاة بجلودنا. ولكن يجب أن يبقى هذا هو اعتقادنا لنحسن التصرّف بحقّ المستقبل.

٢٧ نيسان

حتى الساعة حصّلَت راقصةُ هزّ البطن التي نشرتُ شريطَها **٣٩** لايكًا وحصّلَت مقالتي المنشورة صباح اليوم **٣٢**. هذا سببٌ حاسم للتفاؤل وللمضيّ قُدُمًا في الكتابة.

٢٩ نيسان

لو كنّا نقتدي في لبنان بالقُدْوة الجزائرية الحسنة لكان يجب أن يكون حميد فرنجية ما يزال حتى الآن رئيسًا للجمهورية. فهو حائزٌ جميعَ الشروط الجزائرية المناسبة: كان مرشّحًا للرئاسة الأولى وأُصيبَ بنزفٍ دماغيّ وهو في سنّ الخمسين... ولم تكن سنّه اليوم، لو بقي حيًّا، لتتجاوز مائة وستّة أعوام.

٣٠ نيسان

شاع، في المدّة الأخيرة، استعمال لقب «البروفسّور»، بلفظه المعرّب هذا، بدلًا من: أ. د. (أي الأستاذ الدكتور) التي كان بعض حاملي اللقب يَشْهرها في وجوهنا سابقًا.

ومشكلة اللقب الجديد ثِقَلُ ظلّه بالعربية إذ هو لا يخضع فيها لوزنٍ صَرْفيّ معروف، وفيه حرفان، صامتٌ وصائتٌ (هما الباء والواو) يُلفظان على نحوٍ مخالف للفظهما العربي. فضلًا عن ذلك، يتعذّر اقتراح صيغة عربية مقبولة لجمع هذا الاسم. فإذا اجتمع ثلاثة من هذه المخلوقات فكيف تناديهم؟

هذا ويفيد التأمّل في التكوين الفرنسي للاسم أنه يحتمل التأويل (من قبيل التنكيل، على الأقل) إلى عنصرين: أوّلهما «برو» وتفيد معنى «النُصرة» أو «التأييد»، وثانيهما «فسّور» وتفيد معنى الجَلْد على المؤخّرة.

فما الذي يمنع تعريب معنى اللقب تفاديًا من الفوضى التي يحدثها تعريب لفظه؟ فنقول مثلاً: نصيرُ الجَلْد على المؤخّرة فلان الفلاني رئيس الجامعة الفلانية.

هذا يبقى أقلّ أذىً من جَلْدِ وجوهنا بما لا تَقْبَله ذائقةُ اللسان العربي.

أوّل أيّار

لعلّ أوّل سارقٍ يقطع سلطان بروناي يدَه تطبيقًا للشريعة الإسلامية سيسألُ نفسه: كم يدًا يجب أن يكون للسلطان حتى ينال حقّه من القَطْع عن ٢٠ مليار دولار هي التقدير الأدنى لثروته؟

أوّل أيّار

ما أنْسَ لا أنسَ عَلَمَ الجمهورية الذي بقي منتصبًا في جوار ذيّاك المحافظ حين كان سعادته يراود الآنسةَ المحتاجة إلى توقيعه عن بعض السعادة الإضافية. ما الذي كان سيحصل لو بلغ سعادته ذروة السعادة؟ هل كان سيُعزَف النشيدُ الوطني؟

٣ أيّار

ليس هناك نصرٌ ولا مكسبٌ، أيًّا يكن، يعوّض الدمار الذي يُحْدثه نَصّابو التديّن في عقول البشر. يتّخذون آخِرَ ما جاء به العقلُ العلمي

سلاحًا ويملأون نفوس الجمهور بما يُذْهِبُ كلَّ عقل. يَبْنُون على مَواطن الهشاشة في نفوس الضعفاء ليعالجوا ضحاياهم دونَ كَلَلٍ بينَ المهد واللحد. وأما غايتُهم القصوى فأنْ يصبحَ المستجيبُ لهم آلةً يَحْملون مفتاحَها وخُرافةً تسعى على قَدَمين.

الجنّةُ نفْسُها لا تعوّض خسارةَ النَفْس هذه.

٤ أيّار

كثيرًا ما توجد أسبابٌ للمرح في صفحات الوفيات.

ملاحظة: قُلْ «وفَيات»، بفتح الفاء، وهي جمع «وفاة». ولا تقُلْ «وفِيّات»، بكسر الفاء وتشديد الياء، وهي جمع «وفيّة».

جريدة «النهار» تضع شدّةً ظاهرة على الياء! هذا، أوّلًا، نعيٌ يوميّ للويس الحاج! وهو، ثانيًا، إيحاءٌ بأن الصفحة محجوزة لنعي السيّدات غير الراغبات في خيانة أزواجهن!

٥ أيّار

ما سرّ الولع الذي يجعل كثيرًا من الإسلاميين، على اختلاف التنظيمات والمذاهب، يعتمدون شِعارًا لهم، ظاهرًا على أعلامهم، صورةَ بندقيةٍ صمّمها ضابط شيوعي، هو ميخائيل كلاشنيكوف، يحمل جائزتي لينين وستالين؟ معلومٌ أن الإسلاميين يستخدمون أشياءَ كثيرة لم يخترعوا أيًّا منها لا هم ولا سَلَفُهم الصالح: يستخدمونها في القتال وفي غيره. ولكن الشعار شيءٌ مختلف. ولا يبيح اختلافُ العقيدة ولا تاريخُ العلاقات المتلاطم بين الشيوعيين والإسلاميين هذا النوع من «الانفتاح» من جهة الأخيرين ولا من جهة الأوّلين.

٥ أيّار

قال البطريرك الراعي إنه يصلي «ليعمّ السلام لبنان وسورية والأراضي المقدّسة والعراق ومصر والعالم»!!!

شو بدّك تصلّي تتصلّي، يا سيّدنا! انتبه عصحّتك!

٧ أيّار

في جزيرة العرب، تَتَجَلْبَب النساء بالسواد ويرتدي الرجال البياض. كلٌّ يعرف لونَ حظّه. والصيف والشتاء مقيمان على السطح الواحد.

٧ أيّار

معظم اللبنانيين الراشدين (بمن فيهم أنا!) أصلَحُ، في أرجح الظن، لرئاسة البلاد من المرشّحين لها قاطبةً. تفرّسوا في الوجوه! من منكم يرضى (بينه وبين نفسه، درءًا للحرج) أن يُعَدّ نظيرًا لهذا أو لذاك من أبرزهم؟ كأنّما يَنْتَخب نظامُنا السياسي أقبحَ الناس لأرفع المسؤوليات! أمْ هي السياسةُ تفعل ذلك، لا نظامُنا على التخصيص؟ حين أجد لهذا السؤال جوابًا مقبولًا سأرشّح نفسي لرئاسة الجمهورية!

٧ أيّار

كيف يجوز أن يكون مسؤولًا عن أَمْنِ اللبنانيين أناسٌ جاءت بهم تابعياتٌ سياسية مُعْلَنة تجعل من المرجَّح، بحكم التعارض المتفجّر بينها، أن يتآمر الواحد منهم على آخرين وأن يتآمر كلٌّ منهم على قسم من اللبنانيين؟

٧ أيّار

يحتاج السوريّون، في هذه الأيام، إلى سوريّين يقولون لهم إلى أين وصلَت بلادُهم وإلى أين هم صائرون. الكثير الكثير من الكلام السوري الذي نقرأ أصبح يتبدّد في مسالكَ شتّى، بعيدًا عن الظرف الحارق وعن أسئلة المرحلة.

٨ أيّار

قال مسؤولٌ إيراني أن حدودَ بلاده أصبحت في جنوبي لبنان على البحر المتوسّط. وقال مسؤول آخر أن بلاده شكّلت في سورية حزبًا آخر لوجه الله...

الإمبريالية، لغةً، مأخوذةٌ من «أمبير» الفرنسية أو من «إمباير» الإنكليزية، ومعناهما «الإمبراطورية». الإمبريالية، إذن، هي «السلوك الإمبراطوري»، لا أكثر ولا أقلّ، وذلك قبل أيّ تفلسف.

هذا ولم تكن الإمبريالية، في أيّةٍ من حالاتها، شَرًّا محضًا. فهي قد جاءتنا تحت عنوان «التحرير من النير التركي» وحرّرَتنا منه فعلاً. وهي قد زعمت لنفسها «مهمّةً تمدينية» ولم يكن هذا كذبًا خالصًا. لذا كان للإمبريالية، على الدوام، أنصارٌ من الشعوب التي ابتُلِيَت بها ولم يكونوا قلائلَ دائمًا. غير أن المشكلة كانت، على الدوام، في المقابل المدمِّر الذي تفرضه الإمبريالية وفي منع الاعتراض على هذا المقابل.

معادلةُ الإبرة والمسلّة خيرُ وصفٍ للسلوك الإمبريالي. وهي معادلةٌ يُخْشى أن نكون اعتدناها، إمبرياليةً بعدَ إمبريالية.

٨ أيّار

سنةً بعد سنة، يتبيّن أن واحدةً من نقائص الشاه التي لا تُغْتفَر كانت أنّه لم يكن إمبراطورًا بما فيه الكفاية.

٩ أيّار

كان لي صديق لبناني أمضى أعوامًا كثيرة من حياته في باريس وكان فيها ذا حظوة عند النساء. فكان إذا ضاجع واحدةً من صويحباته يُهْرع إلى أصدقائه من بني قومه معلنًا: «اليومَ رفعتُ رأسَ الطائفة!».

ولا غَرْوَ أن هذا الإعلان كان ينبّهني إلى استغراق الطائفة أشخاصنا في سائر أحوالنا حتى أنها تستولي على ما قد نجده من متعة في الفراش. وهي الحال الذي كنت أرى أن صاحبنا هذا يشير إليها ويداريها بالتهكّم في آن.

لا غرو أيضًا أن الإعلان نفسه كان يحيلني إلى صورة مصطفى سعيد في «موسم الهجرة إلى الشمال». فإن صاحبي أيضًا كان يجد في ما توحيه إليه مجامعة الفرنسيات من شعور ذَكَريّ بالغلبة تعويضًا لبعض السَحْق الذي تُنزله به عظمة المدينة وما يتّصل بها من تاريخ السيطرة على شعوبنا والقبائل...

على أن الملائكةَ والصِدّيقين يشهدون أنني كنت، كلّما قابلتُ صاحبي ذاك في باريس، أنصحه، بعد الإصغاء إلى طرَفٍ من سيرته مع النساء، بالكفّ عن هذا الخلط الشنيع بين رأسٍ ورأس...

٩ أيّار

أقرأ مقالةً تتناول مَوْجاتِ الهجرة اللبنانية فيُخيّل لي أن البلاد أفلسَت من السكّان كليًّا قبل مدّة غير قصيرة وأنها مدينةٌ لكاتب المقالة ببضعِ مئاتٍ

من ألوف الأنفس يسدّ بها العجز في «مَوْجَتِه» الأخيرة.

هذا يجعل الزَحْمة التي أنا عالقٌ فيها الآن أمرًا محيّرًا!

١٠ أيّار

بعد سهرةٍ مع القدود الحلبية في مترو المدينة:

مشتاقْ لكْ يا نور عْيوني حتى نْعيد الزمن الأوّل!

يا صاحبي! لا هو يمْلِكُ أن يعود ولا أنتَ تريد عودتَه حقًّا!

«قال فاخرُجْ منها فإنك رجيم» (الحِجْر ٣٤)

اخْرُجْ منها، يا تاريخَ هذه البلاد، فإنك رجيم!

١١ أيّار

بعد سهرةٍ مع القدود الحلبية في «مترو المدينة»:

غايةُ الطرب العربي استعراضُ يقينٍ يتضافر لتحصيله كلُّ شيء: التكرارُ في اللحن، التكرارُ في الكلام، ترجيعُ الصوت وتصعيدُه...

وحيث يوجَدُ – مثلًا – شكٌّ في رغبة الحبيب وشكوى منه، لا يوجد، على الإطلاق، شكٌّ في رغبة الشاكي المتأوّه. فهذا الأخير غارقٌ سَلَفًا وحُكْمًا في الغرام من أَخْمَص قدميه إلى قمّة رأسه.

حيث تكون الأمور مؤكّدةً إلى هذا الحدّ، يُسْتبعد اجتناب الاستبداد والحروب الأهلية.

١١ أيّار

في سهرةٍ مع القدود الحلبية في «مترو المدينة»:

نزلَت دموعُ المُطْرب وطأْطأَ رأسَه لإخفائها واشتعلَت أكفُّنا وعلَت أصواتُنا تحيّةً له وهو يصدح:

يـا رايِـحـين عـاحلَبْ حـبّـي مـعـاكم راحْ!

وحين وصل إلى البيت التالي:

يـا مـشـيّـلين الـعـنَـب تحـت الـعـنـبْ تـفّـاحْ!

تذكّرْتُ أننا كنّا نرويها في فُتُوّتنا:

يـا مـشـيّـلين الـعـنـبْ فـوق الـعـنـب تـفّـاحْ!

وكنّا نلاحظ، معتزّين بنباهتنا، أن العنب يكون طريًّا فيمكن أن يمْعَسَه التفّاح!

يحتاج تصحيحُ الخطإ في هذا المضمار إلى عمرٍ طويلٍ إذن.

ولكن... ولكن... يجوز أن تكون الصيغةُ القديمة قد رَمَتْ إلى السخرية من الفلّاح الذي أعماه الغرام عن أصول توضيب الفواكه!

إذا صحَّ هذا، يكون الخطأ القديم ألْطَفَ بكثيرٍ من الصواب الجديد.

في كلّ حال، ذكّرتني سهرة الأمس ودموع مُطْرِبِها بأنني كتبتُ هنا، قبْلَ شهورٍ كثيرة، أنني «لن أُشْفى من دمار حلَبٍ أبدًا».

تلك حالي فما حالُ أهْلِ التُحْفة التي ليس لها نظيرٌ بعد دَمار مدينتهم؟

١٢ أيّار

الماءُ بعيدٌ فأنْعِشْ حَصى دروبك بشيءٍ من الشكّ، أيّها المُتعَب!

١٢ أيّار

بعد سهرةٍ مع القدود الحلبية في «مترو المدينة» (خاتمة):

أتذوّق الطرب حيث يوجد في مُناخٍ ملائم، وأجد راحةً أيضًا في سَماع كثيرٍ من أغاني فيروز وأكثرُ ذلك لعاصي ومنصور وبعضُه لزياد.

بل إنني لا أكره الطربَ في الشعر ولا في النثر وأضبط نفسي، أحيانًا، متلبّسًا بطلبه في الكتابة. أحبّ ألوانًا أخرى من الموسيقى ومن الشعر والنثر أيضًا، وبعضُها يجد مبدأه في معاداة الطرب.

أفترض أن في الذوق الواحد أمكنةً لأشياء شتّى وأن الطرب والفولكلور يفتحان أفقًا للوهم وللحلم أصبحت حياتُنا في خارجه إجمالًا. هذا، على التحديد، ما ينشئ فيه طرافة مستجدّة يسعنا أن نأنَسَ إليها، وهو أُنْسٌ مختلفٌ، في ما أحسب، عن شعور من عاصروا منيرة المهدية.

الوهم والحلم حاجتان لميزاننا النفسي. وهما لا يمنعان التعرّض بالتحليل والنقد لمضمراتٍ اجتماعية أو سياسية ينطوي عليها هذا اللون الفنّي أو ذاك. يسَعُنا أن نأخذ بقيمٍ للعقل العملي مناقضةٍ لتلك التي يحملها الطرب وأن نتذوّق الطرب ونحبّه مع ذلك... شأنَ من يتناول كأسَ نبيذٍ في سهرة ولكنْ لا يذهبُ إلى عمله وهو سكران.

١٢ أيّار

شيئًا فشيئًا تَمْتنع رؤيةُ السماء في بيروت. وهذا مع التصعيد في مَزاعم التديّن.

يدًا بيدٍ يَنْموعاملُ المذهبية وعامِلُ الاستثمار.

من البيوتِ أصبحَتْ لا تُشاهَدُ السماءُ ومن الشوارع يَظْهر منها زواريب.

قريبًا يتعيّن الانتحارُ جَمْعًا إن أردنا «أن نرى وجهَ ربّنا».

استعدّوا!

١٤ أيّار

حمَل المفتي قبّاني إلى البطريرك الراعي مشروعَ «ميثاق بين المسلمين والمسيحيين». من منكم استشاره المفتي في أمْر هذا الميثاق الذي يريد ربْطَه به؟ من منكم عهِدَ إلى المفتي بهذا النوع من المهمّات أصلًا؟

من أيّ طينٍ يخلق الله هذا الصنفَ من البشر؟

١٥ أيّار

لا يكفي شَتْمُ إسرائيل أو آل سُعود دواءً لعلّةٍ في الشاتم ولا يَصْلُح كفّارةً لذنوبه.

على الريق، ثلاثَ مرّاتٍ يوميًّا، أشْتُمُ تلك وهؤلاء وأشتم مع هؤلاء بعضَ خصومهم أيضًا التزامًا مني بالمذهب الواقعي في هذا الفنّ. فأجدني أبقى رازحًا بوطأة ذنوبي ولا تنخفض نسبة الكوليسترول في دمي قيد أنملة.

وأمّا آل ثاني فالثواب من شتمهم غير ثابت. وذاك أنه – تعالى! – يغيّر موقفه منهم كلّ ستّة أشهر.

لا يرسم الشتم طريقًا يمكن الاطمئنان إلى سلوكه ولا يعفي من إعمال العقل ولا يُعَدّ المقبلُ عليه صاحبَ موقف ناهيك بأن يعدّ صاحب نظرية!

مع ذلك لا أرى بأسًا في مواصلة الشتم لمن يجد فيه سلوى. ولكن لا مَناصَ من النظر مليًّا في أنفسنا، بين وصلتين. لا مَناصَ من النظر في مَوْطئ القدم وفي الوجهة. فقد لا يكون الشتم إلا مقايضةً لذيلية

بأخرى وبراءةَ ذمّةٍ رخيصة وستارًا من دخان ننشره ليخفي، على نحوٍ سورّيالي، عِلّةً فينا غير خافية.

١٦ أيّار

من يوم أن بدا وَقْفُ القتال في طرابلس جِديًّا وتوقّفَت عمليات التفجير في ضاحية بيروت وفي البقاع، تنفّس اللبنانيون الصعداء وأقبلوا بشهيّة مفتوحة على أمور كثيرة: اللهو، التظاهر، الأشغال، المناكفات.

هذا موقفٌ يطيب لي أن أحيّيه للوهلة الأولى.

ولكن أرى أنه يوهم بخروجٍ من الأزمة تدلّ الدلائل على عكسه.

البلاد تنزلق نحو الأدهى فالأدهى بكثيرٍ من الانشراح.

١٧ أيّار

قبلَ أن يعتادَ اللبنانيون الحديثَ عن «سُدّة الرئاسة»، كانت «السُدّةُ» في بيوتنا القديمة سطحًا متوسّطًا بين أرْضِ البيت وسَقْفِهِ تودَعُ عليه الأغراضُ المهْمَلة أو تلك التي لا يُحتاج إليها إلا نادرًا.

وأمّا ما جَعَل رئاسةَ الجمهورية «سُدّةً» بهذا المعنى نفسه فليس اتّفاقَ الطائف بل هي الطائفية في كلّ شيءٍ بما في ذلك رئاسات السلطات جميعًا. فالطائفية هي ما يجعل كلَّ موقعٍ في الدولة خاضعًا لميزان القوى بين الطوائف أكثرَ بكثيرٍ من خضوعِهِ لتعريفِهِ المؤسَّسي.

١٧ أيّار

في سورية، حدثًا بعد حدث، نختبر طاقةَ التحويل التي ينطوي عليها الكلام.

عبارتان أو ثلاثٌ، من هذا أو من ذاك، ويبدو معنى الواقعة التي نعاينها وكأنه انقلب رأسًا على عَقِب. يُهزَمُ المنتصر، ينتصر المهزوم، يبدو مستمرًّا ما حسبنا أنه انقطع أو تغيّر، إلخ.

يصبح أيُّ شيءٍ مكافئًا لأيّ شيء إن كان تغيير الاسم أو الصفة يغيّر المعنى والوجهة والقيمة.

تستولي علينا الحيرةُ، إذن، فننصرف إلى ما نعتبره حسابًا واقعيًا. ولكن لا نلبث أن نشعر أن الحسابَ قد لا يكون السبيلَ إلى الصواب.

الحساب لا يشتمل على دواخل البشر.

هل هذا التحويل يحصُل فعلاً أم هي «كلماتٌ، كلماتٌ، كلمات»؟

ما أدراني؟!

١٩ أيّار

مِن زمنٍ غيرِ قصيرٍ، أصبح التوافقُ يحصُلُ من طرَفٍ واحد.

٢٠ أيّار

يستطيع «أهلُ الحَلّ والعَقْد» و«أَوْلياءُ النِعَم»، في المحيطَيْن القريب والبعيد، أن يُجْبِروا اللبنانيّين جميعًا على اعتيادِ أَخْذِ الحبوب المُهَدّئة، باستثناء واحدٍ يُقْلِعُ إذ ذاك عن تناوُلها.

٢٠ أيّار

من سيظلّ يصغي إلى الفلسطينيين في العالم الواسع، حين يحتجّون على أفعال الاحتلال والاستيطان في ديارهم، بعد أن شاهَدَ العالم ما شاهَده من صوَر القتل والدمار في حلَب وحمص وسائر سورية؟

٢٠ أيّار

ما الذي يجعل أدونيس (وهو رجلُ ألمعيّ) يستدرج لنفسه تهمة الغباء إذ يوحي أن «المجتمع» كان يصرّف شؤونه بحرّية تامّة ويتخلّق وحده بصفاته المعلومة في أحضان الطبيعة الغنّاء، خلال نصف قرن من الحكم البعثي، فيما كان «النظام» يتفرّج عليه معجبًا من بعيد؟

ما الذي يجعل أدونيس يتجاهل الكيفية التي واجه بها النظام وحلفاؤه الأشدّاء، في السنوات الثلاث الماضية، جهود المجتمع لفتح الأفق نحو تغيير ما لنفسه والكيفية التي سعى بها النظام إلى هندسة حركة التغيير نفسها على صورةٍ تلائمه وما اقتضاه ذلك من جعل عالي سورية سافلها؟

ما الذي يجعل أدونيس يوحي أن نظامًا يتحكم بمقاليد التعليم والإعلام والثقافة في «المجتمع» فضلًا عن مقاليد الاستخبار المعمم والعنف الرهيب والسياسة كلها والتنظيم المهني والمؤسسة الدينية وعن الهيمنة، في السنوات الأخيرة، على القطاع الخاص من الاقتصاد السوري بالإضافة إلى قطاع الدولة، سيترك «المجتمع» العزيز على قلب أدونيس ينصرف إلى تغيير نفسه دونما تحرّش به فيما يواصل هو (أي النظام) تأمّل «المجتمع» وهو يغيّر ما سلف ذكره من مواقع سيطرة النظام وأدواتها رافعًا صوته من بعيد بهتافات التأييد وبالغناء الحماسي في الطبيعة الغنّاء؟

ما هو «المجتمع» يا أدونيس ومن يغير ماذا فيه وكيف؟

٢١ أيّار

ليس فخرًا التعلّق بأذيال المنتصر على صاحب حقّ. بل ذاك الذلّ بعينه. صاحب الحقّ أكبر والوقوف في جانبه عزّ، غالبًا كان أم مغلوبًا.

وعلى هذا ربّينا أنفُسَنا من قديم الزمان.

٢١ أيّار

ثمة من يتفرّغ، متطوّعًا، لهضم الجرائم الكبرى بالنيابة عن مرتكبيها.

يظنّ أنه يَكْبُر بذلك ولا يلتفت إلى صِغَر معدته.

هوايةٌ أم خِلْقةٌ ربّانية؟

٢٢ أيّار

بلادٌ مكتظّةٌ بالسُلُطات، شاغرةٌ من السُلْطة.

٢٣ أيّار

زواج المِثْلِيّين، الذي سَجّل لبنان حالةً أولى منه، موافقٌ جدًا لأنظمة الأحوال الشخصية في هذه البلاد. فالنظام الذي يشجّع العروسين على الانتماء إلى طائفة واحدة، أَوْلى به أن يشترط عليهما الانتماء إلى جنس واحد.

#منطق–المجانسة–الجنسية

٢٤ أيّار

سؤال ١: ما القانون الذي يمنح مجلسًا بلديًا سلطةَ حَظْر التجوال في نطاقه؟

سؤال ٢: ألا يوجد رادع قانوني لتجاوز حدّ السلطة؟

سؤال ٣: حين تجرؤ بلدية برج حمّود (وبلدياتٌ أخرى) على توسيع صلاحياتها لتحظر التجوال في نطاقها ولا تُردع... ألا يصبح محتملاً أن توسّع البلدية نطاقها أيضًا فتعلن الأحكام العُرْفية في البلاد مثلاً؟

#كل–مين–إيدو–وإيد–غيرو–إلو

٢٥ أيّار

شاهدتك على سطح العمارة تقلع نحو أستراليا بجناحي عبّاس بن فرناس وفي يمينك الأسطرلاب.

كيف حالك الآن؟

(كان بن فرناس قد فاتَه أن يصنع لنفسه «زِمِكّا» - أي ذيلًا - يسعفه في توجيه هبوطه. فليتأكّد كلّ منّا، إذن، أن ذيله معه قبل الإقدام على الطيران).

٢٥ أيّار

بين من يجعلك تستردّ الثقة بالجنس البشري وتأمل خيرًا في بيروت مطعمو القطط الشاردة. أمس شاهدتُ اثنين منهم: رجلًا وامرأة. كانا في مثلّث صغير أخضر في رأس بيروت يوزّعان صحونًا فيها طعام على نحوٍ من عشرين قطة. بدا أن القطط كانت على موعد معهما هناك. وقد حصلت كل قطة على صحنها الخاص وراحت تتناول عشاءها ملتزمةً كلّ الالتزام بآداب المائدة.

الأمر الوحيد المحزن أن فاعلي الخير هؤلاء هم عادة من المتقدّمين في السن. فيشعر العابر أن ما تبقّى لهذه المدينة من رهافةٍ ورقّة صائرٌ إلى الانقراض.

٢٦ أيّار

لو رُزِقْتُ ابنتيّ التوأم في هذه الأيّام لسمّيتُ إحداهما «رَوافِض» والأخرى «نَواصِب»: تفاؤلًا بتوأمة الجماعتين يومًا ما وحبًّا بالعنوان الذي اعتمده حازم صاغية لكتابٍ «حليق» اشتركتُ فيه بفصلٍ

ونكايةً في اللحى المتقابلة على فضائيّاتٍ أصبحت لا تُحْصى.
#لواحظ–مش–أحسن

٢٧ أيّار

من كلام الإمام إبراهيم بن نوح موزّع الأكياس الورَق في حيّ الباشورة قبل نصف قرن ومؤلف «كتاب الحِكَم الإبراهيمية»:

حكمة المسمار: خاطبتُ المسمار فوقف متأدّبًا في حضرتي. قلت: لم سَمّوك مسمارًا؟ قال: أمروني أن أمسّ الخشبة فأمرّ فيها فمسستُ ولم أمرّ فضربوني على رأسي ضربًا مبرّحًا فمَسَسْتُ ومَرَرْت. فسُمّيتُ «مَسَّ فَمَرّ» ثم حُرّفتْ فأصبحَت «مسمار».

حكمة النساء: فرّ بعضٌ من نسائنا إلى أرضٍ وَجَدْنَ فيها من الحرّية ما لم يَجِدْنَه في ديارنا. فسُمّيَتْ تلك الأرْضُ «فَرَّ نساء» ثم حُرِّفَت فأصبحَت «فرنسا».

كان هذا الإمام – صديقنا – ألْطَفَ «التحريفيين» في الجمهورية الشهابية. وقد أَنْعَم عليّ، في وقتٍ ما، بلقب «كبير الأمناء» في المذهب الإبراهيمي. ولكن الشاعر عصام عبد الله توصّل إلى عزلي والحلول محلّي بفضل مثابرته على الحضور إلى مجلس الإمام ونظم القصائد الطويلة في مدحه.

«وتلك الأيامُ نُداولها بين الناس»!

٢٧ أيّار

كم يبدو مِثالُ «التقدّم» سَقيمًا في المجال العربي، في هذه الأيّام.

تغيّرت المشكلاتُ ولكنْ يبدو أنها تكْبُر ولا يوحي شيءٌ أنها تُحلّ... أو تُعالَج بمعنى الكلمة الطبي.

يشبه شعورُنا هذا ما كانَه، في مرحلة الحرب العالمية الثانية، شعورُ الأوروبيين الذين كانت برجوازياتهم قد اخترعَت مبدأ «التقدّم» قبْلَ ذلك بعهودٍ طويلة.

٢٩ أيّار

الشِعْرُ والفُكاهةُ مَصْدرُهما واحدٌ، وهو القدرةُ على العَبَث بعلاقاتٍ تُنْشئها حياكةُ اللغة للعالَم.

فإذا نُسب إلى الشعر أحدُ الثقلاء جازَ لك أن تُصْدر بيانَ تكذيبٍ للخَبَر...

على مسؤوليّتي.

٢٩ أيّار

الشِعْرُ والفُكاهة ثوريّان لأنّهما يقولان أن العالم هو (أو يسَعُه أن يكون) غير ما يقال أنّه هو.

١ حزيران

يُقال: إن الإعلامَ الجديد أَخْرج الفظائعَ كلّها من الظُلْمة لِيَضَعها تحت أنظارِ العالَم.

خيرٌ!

أثبتَ العالَم، من جهته، أنه تمساحٌ: جِلْدًا ودُموعًا.

٢ حزيران

يبدو أن الحكومة الفنزويلية تطلق النار – كلّما سنَحَت لها الفرصة – على المتظاهرين العُزّل.

(لَفْتُ نَظَرٍ لهُواةِ النوع من اللبنانيين حتى لا يفوتَهم تأييدُ الحكومة المُشارِ إليها).

٣ حزيران

لا أنوي الانتحار دفاعًا عن دالية الروشة.

أشعر بخللٍ منطقي في القرار يجعلني أُحْجم عن اتّخاذه.

ولكن لا أتوصّل إلى تعيين الخلل...

٣ حزيران

أُجْفِلُ كلّما قرأتُ في الجريدة أنّ «صاحِبَ الجثّة» التي عُثِرَ عليها في الموضع الفُلاني هو فلانُ الفلاني... أو أيضًا أن الجثّة المذكورة هي «لِفلانٍ» من الناس.

أين كان «صاحبُ الجثّة» حين كانت جثّته حيث عُثِر عليها؟ هل يُقيم الميّتُ في خارجِ جثّته فتصبحَ «له» ويصبحَ «صاحبَها»؟

هل الجثّةُ مَنْزلٌ للعُطَل نُغادِره زمنًا ونأتيه بين حينٍ وحينٍ للتفقّد أو للإقامة فيه أيّامًا؟

هل هي خِزانةُ الفصل المنقضي؟ أم هي شيء يُلْبَسُ فيُحتمل أن يكون لصاحبها خَمْسة أثوابٍ وثَلاثُ جثث؟

أم تكون الجثّةُ حقيبةً يَنْقُل فيها صاحبُها الآمالَ والخيباتِ، الشهواتِ والخططَ، الأتراحَ والأفراحَ وقد لا تصل معه على الطائرة لأن الرحلة قطّعَتْها محطّات؟

صاحبُ الجثة؟

عليه الحضورُ لتسَلّمها فوْرًا!

٣ حزيران

مظلومون نحن لأننا كلّما أَكلْنا زَبيبةً نبّهنا التُراثُ المجيد إلى أن الزبيبة «كلّ عمرها بِطيزها هالعود».

التراثُ عدوّ الشهيّة.

اليوم وجدت في «سوق الطيّب»، وهو مبدئيًا مناسبة تراثية، زبيبًا ليس في طِيزه أيّ عود. لا يفلّ التراثَ إلا التراث. شهيّتنا ممتازة وتراثنا إلى انهيار.

٤ حزيران

الانتخابُ السوري راقَبه نظامُ كوريا الشمالية والانتخابُ المصري راقَبه النظامُ السعودي.

(والعَصْر. إنّ الإنسانَ لَفِي خسر).

٤ حزيران

قَوْلي لَشُو الانتخابات أصلًا؟ مجبورين نحنا، يعني، نقلّد الأعداء بكل بدعة بيطلعولنا فيها؟

وكمان عذاب وشغلة بال، يعني، للقائد والجماهير المؤيّدين... لشو؟

٥ حزيران

الرومنسية سلاحُ إبادة. حين تستولي على بشرٍ يصبح مرجّحًا أن يقتلوا بشرًا غيرهم وأن يموتوا مقتولين.

أفيونُ الشعوب كلماتٌ من قبيل «المجد» و«البطولة» و«الدم» و«التراب» و«الوطن» و«الأمّة» و«الشهيد» و«الشمس» و«القمر» و«النسيم العليل» و«العواصف»... و«نحن» و«أنا»، أخيرًا لا آخرًا.

وما يجعل الأمر عويصًا أن هذه الكلمات تدلّ على أشياءٍ ذات أهمّية وليست كلامًا فارغًا.

فهي تصبح مداخلَ إلى سلوكٍ متزن حين يَغْلب، في الكلام المتداول، تركيبُها مع كلمات من غير فئتها تبقيها تحت سيطرة المتكلّم، فرداً كان أم جماعةً.

وهي تصبح مبيدةً حين تستولي على الكلام فتُغلّب فيه تراكيبَ تتصدّرها وحدَها وتجعلُ منها دوّامات تدور فيها بعضها حول بعض.

والحدّ بين الموقفين صعبُ الرسم، لَزِج. وقد يبدأ الخطر، أي فقدان السيطرة على النفس، من غزَلٍ يبدو بريئًا بشجرةٍ أو ساحة أو بتلّة وعُصْفور...

لا غِنىً عن رومنسيةٍ ما في الغزَل أو في طلب الاستمتاع بأمسية مقمرة. وهي تحضر في الشعر ولو منكَرةً أو مكبوتة.

ولكن الرومنسية مخاتِلةٌ، سريعةُ الانتقال إلى السياسة وسريعةُ الاستيلاء على هذه الأخيرة. وهي هناك خطرٌ على الحرّية ومدخل إلى إبطال السياسة أو إلى جعلها مطيّةً للعنف الخبيث وسُخْرةً لحساب الأقوياء.

#ليسقط_المنفلوطي!

٥ حزيران

... وكان – رَحِمَه الله! – إذا ذكر البُرْكَةَ ألقى في جُمَله الثلاث سبعة أطنانٍ من السُكَّر فيَثْقُل ماءُ الجُمَل ويصبح وحْلًا تأنَفُه النفوس ويتعطّل فيه المفعولُ الهَضْميّ لحروف الجرّ.

#الرومنسية_كمان_وكمان

٦ حزيران

وجّه السِيسي تحيّةً خاصّة إلى خصمه صَبّاحي عند ظهور نتائج الانتخاب. ولكنّ عددَ الأصوات التي أنعم بها عبد الفتّاح على حَمْدين بقي دون عدد «الأصوات الباطلة» بكثير. أي أن الزعيم الجديد أفهمَ خصمَه، ومن ورائه المعارضةَ الجديدة، أنّهم باقون «تحت خطّ الباطل» أو أنهم «باطلُ الأباطيل» الواردُ ذِكْرُه في العهد القديم!

٦ حزيران

على قائمة «أكثر البلدان كآبةً»، لا يزال أمامنا تسعة. ولكننا نُبلي بلاءً حسنًا... ويساعدُنا بعض الذين يتقدّموننا، بكلّ قواهم، لنتقدّم عليهم ونحتلّ مركز الطليعة.

٦ حزيران

الجماعاتُ السَلَفية أقرب جماعاتنا السفيهة إلى مطابقةِ ظاهرِها لباطنِها: تصرّح أن الديمقراطية والانتخابات رِجْسٌ غربي ولا تَقْرُبه وتهدّد القائلين به بالويل والثبور. خصوم السلفيين، على اختلاف الملل والنِحَل، يتمسّكون بـ«نقطة النفاق» الديمقراطي خضوعًا لموضة غربية مفترضة التفوّق كما يتمسّكون، جريًا مع المنطق نفسه، بالجاكيت والبنطلون. يقولون دولة ويُضْمِرون طائفة وعائلة وعصابة. وعليه يكلّفون الناسَ مشقّة الانتخاب ويكلّفون أنفسهم مشقّة تزويره. أما لهذا الهَدْر من آخِرٍ؟

٦ حزيران

قاصِرُ الرأي من يحسَب أن تزوير الانتخاب يُقْتصر على اللعب بالصناديق

وبالأرقام. هذا يأتي أخيرًا وقد لا تَظْهر له ضَرورة. يُوظَّف في التزوير مائةُ لونٍ من ألوان التسلّط والإرهاب.

التزوير يبدأ من هَواء الشارع.

٧ حزيران

في ذكرى رحيل غسّان تويني:

«حروبُ الآخَرين على أرْضنا» كانت ممكنةً ولا تزال لأننا شعوبُ الآخَرين على أرْضنا.

٨ حزيران

ما ينعقد عليه إجماع الفقهاء وغير الفقهاء، في النظر وفي العمل، أن المُتْعَة في الحرام مضاعفةٌ عمّا هي عليه في الحلال.

لو كان ربّنا يأْبَه لِعِبَر السيكولوجيا لتَرَكَ الناسَ أسْرى ضجرهم ولم يحرّم عليهم شيئًا على الإطلاق.

٩ حزيران

«إمّا أن تَنْتخبوا من أريد أو أَمْنع اجتماعَ الهيئة الناخبة».

أظُنّ أن اعتمادَ هذا المبدإ قاعدةً عامّة لسلوك مجلس النواب اللبناني في انتخاب رئيس الجمهورية أمرٌ لا سابق له في تاريخ هذا النوع من المجالس. قد يكون هذا الأمر حصل هنا أو هناك، في العالم الواسع، في وقتٍ من الأوقات. وأما أن تصبح هذه هي القاعدة العامّة، المقبولة ضمنًا من جميع الأطراف فيِ المجلس، فتلك، على حدّ علمي، خَصِيصةٌ جديدة من خصائص الصيغة «الفريدة» التي لا تَفْرُغ جعبتها من المدهشات. وهي خصيصة تنتهي إلى إلغاء مبدإ الانتخاب، لا أكثر ولا أقلّ!

إن وجدتم في رأيي هذا عِوَجًا تفضّلوا بتقويمه.

١٠ حزيران

قريت اليوم كلام لشخص واضح إنّو كتير كتير غيران من سمير قصير... هيدا الشخص لو بيموت ما حدا رح يقتلو.

١١ حزيران

أمس وقبل أمس تعاقب فريقا المجلس النيابي الكبيران على التعطيل: فريقٌ للتعطيل الدستوري وفريقٌ للتعطيل الاجتماعي.

لكلّ فراغٍ دولةٌ ورجال!

(عطفًا على كلامٍ سبَق.)

١١ حزيران

لا أدردش [على الفيسبوك]! الرجاءُ الامتناعُ عن المحاولة. لا أحبّ أن أبدو قليلَ التهذيب.

١٢ حزيران

...هذا و لا يزال الناسُ هنا يتمازحون ويأكلون ويلِدون ويزوّجون أولادهم ويشتغِلون بشَواغلهم ويتواعدون في المقاهي، لا يمنعُهم الذهولُ من شيءٍ من ذلك...

١٢ حزيران

من قَبيل الإنصاف للمغفور لهما مارك سايكس وفرنسوا جورج-بيكو

اللذين تقول داعش أنها دعَسَتْهما، يجب التنويه بأن خارطتهما (الموضوعة سنة ١٩١٦) كانت قد ألحقَت منطقة الموصل حتى رونذوز شرقًا بمنطقة النفوذ الفرنسي أي بسورية. ولم يتغير هذا الواقع إلا بعد انتهاء الحرب العالمية ببضع سنوات إذ قضت صفقة ثنائية بضمّ المنطقة المذكورة (سنة ١٩٢٥!) إلى منطقة النفوذ البريطاني أي إلى العراق. ولم يكن للسيدين المشار إليهما أي دورٍ في هذا التعديل.

(تُلقّننا داعش درسًا تاريخيًا، في هذه الأيّام، فلا أقلّ من أن نلقّنها درسًا في التاريخ.)

١٢ حزيران

بعض الألفاظ يصبح، مع الزمن، غير ملائمٍ لمعناه الأصلي أو لأحد معانيه وبعضها يعود ملائمًا لهذا المعنى بعد طول ابتعاد. من أمثلة ذلك معنىً لـ«التمرّد» تذكره المعاجم القديمة هو «الذهاب إلى ماردين» ومعنىً لـ«التيامن» هو الذهاب إلى اليَمَن. وأما «التشاؤم» فبين معانيها التوجّه إلى الشام...

١٢ حزيران

بدا لي المالكي غيرَ مُنْدَعِشٍ فعلاً لِما يحْصُل في بلاده! ولا أصِل إلى حدّ القول أنه بدا لي مُنْتَعِشًا!

١٢ حزيران

ماذا لو أَجْرَينا «العدالةَ الانتقالية» في موضوع «الفِتْنة الكبرى»؟ تتقرّر تعويضاتٌ للضحايا (ممثَّلينَ بأحفادِهم المعاصرين) وتصدُر أحكامٌ بالحَبْس على الجُناة ثم نَعْفو عنهم بعد أن يعتذر ذَوُوهم إذا وُجِدوا...

هل هذا كثيرٌ على الله؟

١٣ حزيران

هل تَسْتأهِلُ الطابةُ [طابة المونديال] هذا الاستقتالَ كلَّه؟ لِيَتبرَّعْ أحدٌ بطابةٍ للفريق الآخر!

١٤ حزيران

تكُون دوائرُ العالم الافتراضي قد دارَت على رُوّادِه فأصبحَ محلَّ إقامةٍ لهم حين تُصْبح وقائعُه موادَّ مُتَصدِّرة للذاكرة القريبة وللتبادل في العالَم الواقعي. فلا نَجِد، مثلًا، ما نُديرُ عليه الحديثَ بيننا سوى «قرأتُ على الفيسبوك» و«نشرتُ على الفيسبوك»... وتَحُلُّ هذه العباراتُ مَحلَّ «التقيتُ فلانةً في المقهى» و«سمعتُ فلانًا يقول»...

١٤ حزيران

حتى تاريخِه، عادَ إلى السلطة حسني مبارك وحافظ الأسد ويتذرّع علي عبد الله صالح بصَبْرِه المألوف ويَظْهر أنّ صدّام حسين ومعمّر القذّافي قد سَلَكا طريقَ العودة. وأمّا عبد العزيز بو تفليقة فقد بقي في السلطة بعدَ وفاته.

البلادُ ممزّقة ولا إجماعَ على الترحيب بالعودة. ولكنها تحصُل وعلى العائدين أن يقتنعوا بأنّ إرضاءَ الخَلْق غايةٌ لا تُدْرك.

وأما المبشَّرون بالخلود في ذاكرة الخَلْق فهم الأنذالُ الذين يسّروا هذه العودةَ من داخل البلاد ومن خارجها.

باعتباري واحدًا من أصحاب الامتياز، لا آذَنُ لأحدٍ بالقول، في مثل هذا الظرف، أن العَوْدَ أحمد! وإلى أن يُقْضى الأمرُ المفعولُ أَقْتَرِح أن نسمّي ما حَصَلْنا عليه أنظمةً زُمْبِقْراطية.

(حاشية: الزُمْبي في معتقد الفُودو هو العائد من القبر.)

١٥ حزيران

هذه [صورةُ] أضخم زيتونة رأيتها في حياتي. وهي منقولةٌ حديثًا من موضعها الأصلي إلى حَرَم الجامعة الأميركية في بيروت. وستحتاج إلى سنواتٍ لتستردّ عِمامتها التي تتخفّف منها مضطرّةً عند الانتقال.

١٦ حزيران

في قارّاتٍ أخرى، تُخفَّف مفاعيلُ الحدود الوطنية بأناةٍ لتعزيز التعاون الاقتصادي والسياسي بين الشعوب ولتشجيع التعارف الثقافي والتمازج بين البشر. في شرقنا العربي الملعون، تُلْغى الحدودُ الوطنية لتَحُلّ محلّها، في دَواخل الأوطان، خطوطُ جَبَهاتٍ للحُروب ومسارحُ للمذابح. نَشْرُ الجُنون الهَمَجيّ عَبْرَ الحدود هو صورةُ الوَحْدة التي نتقدّم في تحقيقها.

١٨ حزيران

الطائفية فضيحةُ الإيمان. تَرْتفع بها حرارتُه ويَجْنح إلى الإفراط في عَرْض نفسه فيَسْتكثر من الشعائر: ما كان جَماعيًّا منها، على الخصوص، ويَسْتحيل إلى دُوّامةٍ تَسْتغرق الليلَ والنهارَ وتَسْتتبع كلَّ حالٍ أو عملٍ غيرها وتَجْعل من كلّ سَهْوٍ عنها أو انصرافٍ إلى غيرها ذَنْبًا عظيمًا. ولكن الطائفيةَ تُظْهر كَمْ أنّ هذه الدُوّامةَ دنيويةٌ وكَمْ أن الخوفَ الأصليّ من الموتِ قابلٌ لِلارْتِداد إلى خوفٍ من موتِ الجماعة وكَمْ أنّ هذا الخوفَ من الموت ومن الآخر معًا وما يَتْبعه من بَغْضاءٍ وعُنْفٍ هو الأصلُ وكيف أنّ الجماعةَ، في ما يتعدّى اللهَ وكتبَه وأنبياءَه وأَوْلِياءَه، هي المعبودُ الأخير.

١٩ حزيران

يقول الرئيس حسين الحسيني أن فلسفة الكيان اللبناني هي «أن الكلّ يحمي الكلّ». ويقول الفيلسوف حسين حميّة أن الإمامَ عليًّا هو «الكلّ بالكلّ».

٢٠ حزيران

ما يسمّيه الماركسيون «تخلّف الأيدلوجية عن الواقع» هو - مثلًا - أن صنفًا بعينه من أصناف الخوخ لا يزال يسمّى «أبا ريحة» مع أنه فَقَدَ من أعوامٍ كثيرة كلَّ رائحة تُذْكَر فتُشْكر. هذه أيضًا حالُ كثيرٍ من الأحزاب السياسية التي لم يَبْقَ لها من أسمائها أيُّ نصيب. وهذا إذا أحسنّا الظن وسلّمنا بأن بعضها كان له نصيبٌ من اسمه أصلاً.

٢٠ حزيران

كأن أبا تمّامٍ كان يقصد الموصلَ اليومَ في هذه الأبيات من ثائيّته الفريدة...

لَولا اعْتِمادُكَ كُنْتُ ذا مَنْـدُوحَةٍ عَنْ بَرْقَعِيدَ وأَرْضِ باعِيناثا

والكَامِخِيَّةُ لَمْ تَكُـنْ لِي مَنْزِلاً فمقَابِرُ اللَّذَّاتِ مِنْ قَـبْرَاثَـا

لَمْ آتِهـا مـن أيّ وجـهٍ جئتُهـا إلاَّ حسِبْتُ بيُوتَهَا أَجْـدَاثَـا

(...)

أرضٌ خلعتُ اللهوَ خَلْعي خاتَمي فيها وطلّقتُ السرورَ ثلاثا

٢٠ حزيران

إن لحيّ الحمرا البيروتي أربابًا كثيرين ولا أظنّهم يحمونه.

٢٠ حزيران

من لندن كان المعلّق الإيراني يعلّق بعربية فصيحة على المباحثات الإيرانية الغربية في فيينا...

ولكنّ لكْنَتَه الفارسية المحبّبة كانت تجعله يسمّيها «المباعصات»!

«المباعصات بطيئة... المباعصات تبدو في مأزق»...

أحسنتَ يا رجل! رميةٌ من غير رامٍ!

٢٢ حزيران

أسْتلطفُ كلمةَ «نَسَمة» كثيرًا حين تَدُلّ على وَحْدة العَدد لمجموعٍ بشري. فنقول، مثلًا: عددُ سكّان القرية ثلاثةُ آلاف نسمة. أشعر أنها تشير ههنا إلى رقّة حالِ البشر وضعفهم.

ولا أذكرُ أنني رأيت هذه اللفظة في عبارةٍ تدُلّ على عددٍ من الناس دونَ العَشَرة كأنْ نقول: «في الغرفة خَمْسُ نَسَمات». فكأنّك حين يكون العددُ قليلًا تُصْبحُ قادرًا على التدقيق فيَضْعُف تفاؤلك بخفّةِ ظلّ البَشَر ولُطْفِهم. وذاك أنّ بعضَهم أَشْبَهُ بالهواء الأصفر.

غير أنّ هذا يَصُحّ أيضًا في بعضِ أحوالِ الجماعات الكبيرة. فيبدو غيرَ سائغِ القولُ، مثلًا: أَخْضعَ الجيشُ المدينةَ بقوّاتٍ من خمسةِ آلافِ نسمة! «نسمة» يا أخا العرب؟!

٢٢ حزيران

وأنا متوجّهٌ إلى المقهى، أقرأُ على اللوحة فوق الرصيف الآخر: «دكتوراه دولة في الأمراض الجلدية» فأشعُر بحُكاكٍ شديدٍ فورًا:

احترامًا للرُتْبة.

٢٢ حزيران

الساحة التي أمام البوابة الطبية في الجامعة الأميركية أسمتها بلدية بيروت «ساحة البروفسّور كمال الصليبي». الذين هم أصغر منه سنًّا بـ١٥ أو ٢٠ سنة كانوا ينادونه بـ«كمال». هل كان الرجل يستحقّ هذا اللقب الذي تزيده قبحًا كتابته بأحرفٍ عربية؟ يبدو الأمر أقربَ إلى العقوبة منه إلى التكريم.

٢٣ حزيران

لم تكن الخيارات البنّاءة أمانيّ خاويةً كما هي اليوم. لم تكن الممكنات كلّها موتًا مفضيًا إلى موت ودمارًا منتهيًا إلى دمار كما هي اليوم. حصل هذا بفعل فاعلين. لم تكن مؤامرةً وإن يكن التآمر دائم الحضور في التفاصيل. كان كلّ من الأقوياء يختار مصلحته وحسب. وما استطاعت الشعوب أن تعبّئه من قوىً بنّاءة أخفق في الحفاظ على مواقع له بين الأقوياء.

٢٣ حزيران

لا أدري إن كنتُ قد كتبتُ هنا أو في موضعٍ آخر، قَبْلَ اليوم، أن ما لا بدَّ منه ولا بديل لا يكون خيرًا بالضرورة. فإن ما يتقدّم على أنه المخرجُ الوحيد من أَزْمةٍ قاتلة يسَعُه أن يكونَ – فضلًا عمّا قد يقتضيه هو نفسُه من قتلٍ ودمار – مدخلًا عاجلًا أو آجلًا إلى أزمةٍ قد تكون أَقْتَلَ من السابقة.

ذاك – في ما أَحْسَبُ – وجهٌ من وجوهِ عَجْزِ المجتمعات، فُرادى وزُمَرًا، عن السيطرة على تواريخها.

٢٤ حزيران

يَملُّ واحدُنا أحيانًا أو يَتْعَب من هذه المَهَمّة الغريبة التي رتَّبها على نَفْسه بلا تكليفٍ من أَحَدٍ وهي إقناعُ الناس بالبقاء أحياءً.

٢٤ حزيران

أَلَمْ تَرَني بِعْتُ الضَلالةَ بالهُدى ... وأصبحتُ في جيشِ ابنِ عفّانَ غازيا
بعتَها أم اشتريتَها يا مالك [بن الريب التميمي]؟ أنتَ السبب!...

٢٥ حزيران

تضيّق القراءاتُ المذهبية لتاريخ الإسلام تاريخَ المسلمين وحَضاراتِهم ودولهم مقدّمةً الكثرةَ الكاثرة من هذا كلّه على أنه عديمُ القيمة، جانحٌ عن جادّة الحقّ.

ويشتدّ هذا الميلُ كلّما اقتربنا من المذاهب الأقلّية ذاتِ المنحى الباطني. فهنا نَجِدُنا أمامَ جواهرَ معدودةٍ من أفعالٍ وأقوالٍ حاظيةٍ هي وأصحابها بالتقديس تُقابلها نُفاياتٌ لا حصْرَ لها تكتظّ بها قرونُ التاريخ.

هذا يجعل تاريخَ المسلمين أرضًا وزمنًا لا تحلو الإقامة فيهما ويجعل شعورَ المسلمين بتاريخهم شعورَ من وقعوا ضحايا خيانةٍ متمادية. وهذه حالٌ قد نقع على ما يشبهها في أديانٍ أخرى. ولكن أَسْتَبْعِد أن يوجَدَ عند غيرِ المسلمين ما يُناظِرُها عمقًا وشمولًا.

ويتعذّر الخروجُ من حالِ اللعنة هذه ما لم يصبح الدينُ موضوعًا معروضًا للدرس عِوَضَ أن يكونَ آلةً ومعيارًا لكلّ درس.

٢٦ حزيران

توعّدَنا ربُّنا بالنار. وهي تُحرق وتُذيب ولكنّها لا تجعلُنا نتطايرُ نُتَفًا على

الجدران ممزّقين بلحمِنا لحمَ بشرٍ آخرين. لتحصيل الجنّة اضطرُّت المخيّلةُ الانتحارية إلى التفوّق على جهنّم. لم يكن ربُّنا – في أيّامه – قد تمكّن من اختراع البارود ولا الديناميت ناهيك بما هو أَفْتَك. ولا أعرف إن كان قد منَح ألفرد نوبل جائزةً في العالم الآخر.

#جائزة_لنوبل

٢٦ حزيران

لا يَقُلْ لنا أحد أن البحث في دوافع الإرهاب تبرير للإرهاب. سبق أن سمعنا هذا الكلام حرفًا بحرفٍ من جورج دبليو بوش ونسمعه دوريًا من بنيامين نتانياهو. والذين يقبلونه بصموا ويبصمون على اجتياح أفغانستان والعراق وعلى احتلال فلسطين.

الإرهاب له أسباب فلا يعالَج بكِتْمان أسبابه. ولا يغيّر في الأمر شيئًا أن الظَلَمة غير الظَلَمة والغزاةَ غير الغزاة.

وإلّا فعلى أيّ غزوٍ أو احتلالٍ جديدٍ يُرادُ لنا أن نبصم؟

٢٦ حزيران

لا غنيَّ عن التعريف إلا الله!

٢٧ حزيران

«(...) نَصَبَت الصدمةُ عَلَمًا على الحدث هو عَلَمُ الإرهاب. وجاء الإرهاب هذه المرة لفظًا مستوحِشًا، يدُورُ حول نفسه في فراغٍ رهيب، تحُفُّ به خنادقُ محروسةٌ بالغضب، يَشَلّ لعُمْقِها طموحُ الفكر إلى العبور نحو تفحّصٍ للظاهرة عن شيءٍ من القرب. فالإرهاب ههنا هو نفسه

تفسيرُ نفسه، وإذا جازت المجادلةُ المحدودة في مدلوله، فهي لا تعدو حدَّ الذرائع أي تعيينَ محتوياتٍ للإرهاب تجعله مستحقًّا اسمه ومستوجِبًا عنفًا في القمع مكافئًا لعنفه. (...)». إلخ.. إلخ...

(أحمد بيضون، «مَعالمُ للثقافة المعولمة بعد ١١ أيلول أو الشيخُ أسامة يعيثُ فَسادًا في هوليوود»، شباط ٢٠٠٢).

٢٧ حزيران

ما هو وقْعُ الصدمة، صدمةِ ١١ أيلول، على قِيَم الثقافة؟ ذاك سؤالٌ أراه متصدّرًا في المعرض الذي نحن فيه. وأرى أننا عاينّا، حتى الآن، هذا الوَقْعَ في واقعةٍ رئيسة هي العُطْل الذي ضرب مَلَكَةَ التفسير أو الفهم (وقد ميّز دلتاي من نحو قرنٍ بين هذين) في أميركا وفي شَطْرٍ كبير من العالم يدورُ اليوم - إن لم يكن يدور من قَبْلُ - في فَلَكِها الشعوري القريب. نشير إلى الكلام الحكومي، طبعًا، ولكنّ الظاهرة تتعدّى هذا الضرْبَ من الكلام على ما يبدو. كان تشومسكي (...) واحدًا من قلائلَ ذَكّروا بأمرٍ يتعلّمه تلامذةُ الصفّ الثانوي الأخير في مَدارسنا (ومدارسِ أميركا قَبْلَنا)، وهو أنّ لكلّ شيءٍ تفسيرًا، بما في ذلك الجرائم، وأن التفسير غيرُ التبرير، والفهمَ غيرُ التفهم، وأن الإقبالَ على جلاء الأسباب أو البواعث لا يُبْطِل ضرورةَ الردعِ أو القمعِ وإن يَكُن قد يغيّر في أسلوبها، وأنه يَسْتتبع، على كلّ حالٍ، معالجةً تتعدّى مجرّدَ القمع من طرف الراغب حَقًّا في منْعِ تَكْرارِ الجريمة، وهو - أي المنعُ - لا يستقيم مع الإصرار على الجهل بأسبابها.»

(أحمد بيضون، «مَعالمُ للثقافة المعولمة بعد ١١ أيلول أو الشيخُ أسامة يعيثُ فَسادًا في هوليوود».)

٢٧ حزيران

أشْيَعُ تجهيزاتِ البحث الاختباري في ديارنا: الشِنْكاش.
وهو ضائعٌ دائمًا وإن حَضَر إذ لا أحدَ يَعْرف ما هو.
(مؤخّرًا بَدَأَت تنافسه في الشهرة أجهزةُ الطرد المركزي.)
#لماذا_تأخر_المسلمون_وتقدّم_غيرهم_؟

٢٨ حزيران

الذين أجّلوا صيامَ اليوم إلى الغد هل يكْتُمون إفطارَهم مراعاةً لشعور الصائمين؟ أم يتنزّهون في الشوارع تحت هذه الشمس الحارقة وبين أسنانهم سندويشات فرنسية طويلة (باغيت) تعبيرًا عن حقيقة المشاعر؟

٢٩ حزيران

يجب تنبيه المشايخ الذين يلبسون البِزّة المرقّطة ويستبْقُون معها العِمامة إلى أمْرين:
الأوّل: أنهم يوحون أن الزيّ الإسلامي لا يصلح للقتال. والثاني: أن ما يضعونه على رؤوسهم يمكن أن يرْصُدَه العدوّ من الأقمار الصناعية.

٣٠ حزيران

يظهر أن السعيَ إلى صُلْحٍ أميركي إيراني لن يبقي حجَرًا على حجرٍ في سورية ولا في العراق. فهذا الدمار العظيم هو، في وجه من وجوهه، إنشاءٌ لَمسْرح الاحتفال يَجْهَد كلّ من الطرفين، بتصميمٍ متباينٍ بينهما، لجَعْلِه مناسبًا لظهوره وحركته. وهنا وهناك يتنافس الدعمان السُعودي والقَطَري ومعهما أصحاب المليارات النفطية العائمة في اصطفاء أتفهِ القيادات الخريفية

وإنشاء إمارات الحرب فيلتقيان العنفَ النظامي الحاظي بالدعم الإيراني والمَدَد السياسيّ الروسي على محو كلّ أثرٍ للحرية في حركات الشعوب من صنعاء إلى الموصل ومن طرابلس الغرب إلى الرقّة مرورًا بالقاهرة.

٣٠ حزيران

بينا أدقّقُ في النَسَب الحسيني لخليفتنا الجديد - لا وفّقه الله ولا حَفِظه! - وقعتُ على قولٍ مفاده أن ٩٠ ٪ من أهلِ سامرّاء (البالغ عددهم اليوم نحو ثلاثمائة وخمسين ألفًا) هم من السادة المنسوبين إلى الرسول. ووقعتُ على قولٍ آخر مفادُه أن السادةَ من حَسَنِيين وحُسَيْنِيين يبلُغ عددُهم اليومَ ستةَ ملايين في مصر وحدها. ووقعتُ على قولٍ ثالث يفيد أنهم ٢٥ مليونًا في العالم الإسلامي اليومَ وعلى رابعٍ يزْعُم أنهم «عشراتٌ» من الملايين...

فإذا أَخذْنا بالقول الثالث كان علينا التسليمُ بأن واحدًا من كل ستين من مسلمي اليوم متحدّر من الرسول عَبْر الزهراء وعليّ. وهو ما يعني أن «القوّة المُنْجِبة» لما أصبح العالمَ الإسلامي لاحقًا (وفيه اليوم مليارٌ ونصف مليارٍ من المسلمين) كانت لا تتعدّى، في عهد الرسول، سِتّين رجلًا وستّين امرأة!!! ستّون وستّون لا غير كانوا قادرين على الإنجاب إذن في مدى «صَهْلة الخيل من الهند إلى الأندلسِ»، على قول سعيد عقل!!!

... وكان قد سبق البغدادي إلى ادّعاء هذا النسب الشريف فؤاد الأوّل ملك مصر حين رغب في الخلافة بعد أن ألغاها أتاتورك سنة ١٩٢٤. وفؤاد ألبانيّ الأصل من سلالة محمّد علي وَجَد من يتدبّر له شجرة نسبٍ نبوي على عجل. وأعرف في هذا الباب مثلًا لبنانيًا وهو أن أحمد الصلح ارتجَل، في أواسط القرن التاسع عشر، نسبًا مماثلًا لأسرته حين رغب في الإصهار إلى نقيب الأشراف في دمشق!

ويَعْلَم القاصي والداني أن ادّعاءَ النَسَب النبوي كان مَجْلَبةً لفوائدَ شتّى في مدى التاريخ الإسلامي وأن إغراءَه للقادرين عليه كان شديدًا. وفي أيّامنا هذه أدّى ازدهارُ موسم الجهاد إلى إخفاء السادة الحَسَنِيين عمائمَهم الخضراء التي كنّا نعرفهم بها واعتمارِهم عمائمَ حسينيةً سوداء وذلك تفضيلاً منهم للانتساب إلى شهيد كربلاء على الانتساب إلى جدّهم الإمام الذي آثر الصلح والمسالمة. وهذا مسلكٌ يتعذّر وصفه بالصدق والأمانة في موضوع النسب.

فهل نبقى مع «عشرات الملايين» من الخُلَفاء المحتَمَلين ونظائرهم ومعاونيهم والدائرين في أفلاكهم، المقدّسين بأجمعهم، أم نجد سبيلاً، في هذا العصر الزاخر بالعجائب، إلى فصل القمح عن الزؤان؟ وهل يستمرّ الأخذ بـ«شهادات» لا يُثْبِت صِحّتها ولا أقدميّتَها شيء؟

يقال أن شعراتٍ من لحية الرسول محفوظةٌ في إستانبول. فلماذا لا يُفرض فحصٌ لـ«دي. أن. أي» على واحد، في الأقلّ، من كلّ عائلة أو عشيرة تدّعي هذا النسب؟ ولماذا لا يُشْفع ذلك بفحص أقدمية الشهادات بالـ«كربون ١٤»؟

١ تمّوز

بينَ عواملَ أخرى، كان لـ«أَمْنِ إسرائيل» أثرٌ بالِغُ القوّةِ في الحُؤولِ دون حَسْمِ الثورةِ السورية مواجهتَها مع النظام الأسدي وفي إفضائها، مرحلةً بعد مرحلة، إلى الهوّة التي تتخبّط فيها اليوم.

فإن حمايةَ هذا «الأمن» هي ما يفسّر حَجْبَ السلاح الذي كان يَسَعُه أن يعزّز اندفاعةَ الثورة إذ يُبْطِل، على الخصوص، ما ضَمِنَتْه للنظام من تفوّقِ حرّيةُ الحركة التي بقي طيرانُه ممتّعًا بها.

كانت الخشيةُ أنْ ينتهي السلاحُ النوعي هذا إلى أيدٍ تهدّد به، يومًا ما، حرّية الطيران الإسرائيلي. ولم يكن في وُسْعِ النظامين السُعودي والقَطَري أن يتجاوزا هذا الحجبَ لأن الراعي الأميركي الذي يَهْزِل في أمورٍ كثيرة لا يهزل حين يتعلّق الأمرُ بأمْنِ إسرائيل.

كيف سيرُدُّ الأسدُ هذا الجميلَ لنتانياهو؟

١ تمّوز

عنوانٌ في «النهار» اليوم: «إطلاقُ تونسيّان»...!!!

لا يضاف شيءٌ إلى شيءٍ هنا إلّا الأخطاء.

١ تمّوز

متى يُثْلجُ أميرُ المؤمنين [الجديد] صدورَ الرعيّة بإحياء الرِقّ ومُلْكِ الأيمان فلا يَبْقى في دار الإسلام تحريمٌ لشيءٍ أَحَلّه الله للمسلمين: من مأْكَلٍ ومَشْرَبٍ ومن مَخْدَمٍ ومَنْكَح؟

فالعَجَلَ العَجَلَ! النَفْسُ والنفيسُ لك الفِدا، يا من يَسْتَجير به الذَكَرُ الناعظ ويُسْتَسْقى به المَطَرُ في هذا الشهر القائظ!

(هذا مع لَفْتِ النَظَر السامي إلى أن المَنْكَح - خَدْتِ بالْ سيادْتَك! - هو الأهمّ والأعجل إذا كان لا بدّ من جدول زمني).

[لم يعتّم الخليفة أن استجاب رغبتي. وما كنتُ قد حسبتُه إحراجًا تبيّن أنه لا يُحْرِجِ الخليفةَ البتّة!]

٢ تمّوز

أخشى أن يكون القولُ الذي مَفادُه أن الخليفةَ البغدادي يتحرّك «خارجَ التاريخ» (وهو قولٌ تَرَدَّد كثيرًا في هذين اليومين) قريبَ الشَبَه من قولِ

الأميركيين تَكْرارًا، في أوائل الثورة السورية، أن بشّار الأسد «مفصومٌ عن الواقع». فيكونُ علينا، إذا أَخذنا بالرأيين، أن نَنْتظرَ عشراتِ السنين رحيلَ هذا وذاك... ليَحُلّ خليفةُ هذا وخليفةُ ذاك في مقعد الرئاسة وتَخْت الخلافة.

فَلْنُعوِّل إذن على تصوّرٍ لـ«واقع» وآخَرَ لـ«تاريخ» يصُحّ التعويل عليهما.

٣ تمّوز

يتباشَرُ كثيرون منّا، في هذه الأيام، بما يحْسَبونه مناعةً للنظام اللبناني على الكوارث التي تَعْصِف بالمحيط. إذ لم يُصِبْ ديارَنا من الإعصار، حتى الآنِ، غيرُ رَشاش.

هذه حالُنا اليومَ ولم تكن حالَنا أمسِ ولا هو مرجَّحٌ أن تبقى حالَنا غدًا.

فلا تُعوِّلوا على الظنّ ولا على الظاهر. واغْتَنِموا يومَكم فإن النِعَم (في هذه البلاد) لا تدوم.

٣ تمّوز

يتبيّن من مَحْضر الاجتماع بين كيري والمالكي (ونَصُّه منشورٌ في «الحياة» اليوم) أن كلام أصحابِ الأمْرِ والنهي لا تُعْوِزُه التفاهة ولا يَزيدُنا عِلْمًا. فهو يُشْبِه كثيرًا ما نتقاذفه في الجِدال على الفيسبوك ونحن نغالب النعاس.

الفارقُ شِبْهُ الوحيد أن كلامَنا يسلّينا وكلامَهم يقتُلُنا.

٣ تموز

ضَعُفَت شهيّتُنا للضحك وللموسيقى. لا لأن الخليفةَ لا يحبّهما بل لأننا لا نحبّ الخليفة.

٥ تمّوز

لا أحدَ من أعيانِ نظرية المؤامرة في بلادنا استَحْسَن أن يصفَ بالمؤامرة انهيارَ الجيش العراقي في الموصل وما أدّى إليه من تحوّلٍ إستراتيجي ومن سقوطِ كُنوزٍ مالية وعسكرية مَهُولة في يدِ داعش.

غريبٌ جفافُ القرائح وانقطاعُ الوحي في هذه المناسبة الفائقةِ الغنى بالإيحاءات!

٧ تمّوز

لن يَجِدَ محمّد أبو خضير في مَشاعِرنا ضَريحًا يَليقُ بصِباه. لن يُكْتَب له ما كُتِب لمحمّد الدرّة من حياةٍ مستمرة في ذاكرة العرب والعالم. المستوطنون الصهاينة أحرقوه حيًّا وطوفانُ الهَمَجية الهادرُ في سورية والعراق مَحا وجْهَه الجميلَ سَلَفًا.

٧ تمّوز

أفْتَتْ صحفُ اليوم بأنّ ساعةَ الخليفة قد يَبْلُغ ثَمَنُها ستّةَ آلاف دولار.

تُجيزُ لي خبرتي في الساعات أن أُفْتي بلَعْنِ ساعةِ الخليفة.

٨ تمّوز

في أيّ ساعة بتوقيت بيروت تبدأ مباراة ألمانيا – البرازيل؟ أريد أن أشاهد ماتش فوتبول للمرة الأولى في ثلث القرن الأخير. سأصفّق

للأخطاء وأنحاز إلى أحد الفريقين بعد نهاية المباراة بمدّة. إلى المغلوب على الأرجح.

٨ تمّوز

العالم منقسم الليلة بين هرّ Herr وسنّور Senor. وقد جعلَتْهما لغتُنا حيوانًا واحدًا لتبقى الوحدةُ العربية مصونةً، على جاري العادة. خفّفوا عنكم إذن! فأنتم كيفما مِلْتُم باقون مطرَحَك يا واقف!

١٠ تمّوز

الحرّيةُ أسْمى مَقامًا من الأوطان.

وإلّا لمْ يوجَدْ من يموت ويَحْيا لحرّيّة الأوطان.

فالأوطان تبقى في مَواضعها وتُفْقَدُ الحرّيةُ في غمضة عين.

١٠ تمّوز

عاملٌ سوري اعتنى بحديقتنا اليوم تبيّن أنه يمْقُت داعش مَقْتًا شديدًا. وحين سألناه عن اسمه قال: أبو قَنْدَهار!

حسبُنا اللهُ ونِعْمَ الوكيل!

١١ تمّوز

تلفِتُ كثيرًا فَداحةُ القُبْح الذي يَسْتعرضه زعماءُ العراق الجُدُد في أثاثِ بيوتهم أو قصورهم. فالذهبُ المدلوقُ دَلْقًا على مَقاعد غليظةِ النَحْت وهزليّة التصميم والستائرُ الثقيلةُ الموحيةُ ببلادٍ قارسةِ البرد والثُريّاتُ التي تُجْبِرُ الناظرَ على إغماضِ عينيه قبل أن تُضاء، إلخ.، توحي كلُّها بحداثةِ نعمةٍ طالَ انتظارُها وبالتبجّح بسُلْطةٍ غيرِ واثقةٍ من قواعدها: فلا هي

تصدّق نفْسَها ولا هي مستعدّةٌ لهُجْران ذويها. وكأنّما لا يملك هؤلاءِ ردْعَ أنفسِهِم عن إظهارِ الفَساد الكبير ولا عن التوَعّد بالعُنْف غيرِ المحدود.

قد يَكونُ هذا ذوقَ صدّام حسين ولكن لا أظنّه ذوقَ العراقيين.

١١ تمّوز

ما اجتَمع وزيرٌ ونائبٌ لبنانيّان للبحث في «مَلَفِّ» الجامعة اللبنانيّة إلّا كانت مَعاييرُ بْرِنْسْتون والكولّيج دو فْرانْس ثالِثَتَهما.صلّوا عليه!

١٢ تمّوز

هي زيتونة معمّرة استقرّت في حديقتنا، قبل بضع سنوات، هديّةً من صديقنا منذر جابر الذي تولّى نقْلها وغرْسها بنفسه. تمضي الزيتونة قُدُمًا في استعادة عِمامتها الخضراء وهي في صحّةٍ ممتازة.

نحن نسمّيها «أمّ منذر»...

١٢ تمّوز

لو كان مجرّدُ الاختلافِ عُذْرًا مقبولًا للتَقاتُل والنِزال طَلَبًا للتَغلُّب أو للاستقلال لوَجَب أن نُنْشِئ لكلِّ خَمْسةٍ دولةً.

١٢ تمّوز

وقَعْتُ اليوم اتّفاقًا على مقالة لهدى بركات لم أكن قرأْتُها في ٧ أشهر مضت على نشْرِها ولا ذَكَرَها لي أحد! فيها استذكارٌ ملأَ نفسي اعتزازًا لكُتَيّبي القديم «بنت جبيل ميشيغان». يَسْتَذكر الكتابَ في ميشيغان مع هدى الرائع أنطون شمّاس الذي غمرت مودّتُه رسالةً وحيدة كنت قد

أرسلتُها إليه قبل أعوامٍ كثيرة فجعَلَت من هذه الرسالة شيئًا أهَمّ بكثيرٍ مما أرادَت الرسالة أن تكون...

١٣ تمّوز

هل هي حالُ الدنيا أن يُحْشَر بَشَرٌ في خِيارٍ محصورٍ ما بيْنَ طاعونِ الأسد وكوليرا داعش؟

أم إن الأسدَ وداعش، في تَسانُدِهما الرهيب، هما فضيحةٌ قصوى لخِيار الضَرورة؟

١٣ تمّوز

لم أشاهد المباراةَ بين ألمانيا والبرازيل [في المونديال] كما كنت أرغب وأعلنت. تبيّن أن الدِشّ الذي عندي في الجنوب لا يهشّ ولا ينشّ على هذا الصعيد ولا يعرف أن الأرض في هذه الأيام كروية.

أنا اليوم في بيروت.

هذه ليلتي...

١٣ تمّوز

أصبحت مباراةً نفسية: يربح من يريده أحدنا أن يربح. الكرة عند كلّ منكم يا كرام!

١٤ تمّوز

إذا كانت السَمَكةُ تَفْسُد من رأسها فإن الـتي.شيرْت يَتْلَفُ من إبْطِه.
(تعديلٌ مُقْتَرَحٌ لِفِكْر الرئيس ماو في ضوء الحاجة إلى ملابس داخلية)

١٤ تمّوز

أين العرب؟ أين المسلمون؟

في البلاغة العربية، يسمّى هذا الضرب من الاستفهام «تجاهُل العارف».

فالسائلون يعرفون أين هم العرب والمسلمون الذين يشيرون إليهم واحدًا واحدًا وأين يقاتلون وأين يسالمون وأين يتقاتلون وأين يتسالمون.

ولا جدوى من السؤال سوى أنه يبْرئُ ذمّةَ السائلين.

لو توجّه العرب والمسلمون إلى غزّة لذهبْنا معهم! هل يريدون أن نتوجه إليها وحدَنا في هذا الليل؟ وماذا إذا أكلَنا البُعّ؟

١٤ تمّوز

في دينِ الإسلام مذاهبُ عدّةٌ لا ترى من دُوَلِ الإسلام التاريخية سوى وجهِ الغَضْب ووَصْمةِ الظُلْم والجَوْر. وليس هذا بعيدًا عن الصواب، من جهةٍ بعينها... فإن تاريخَ هذه الدول مزدحمٌ بوَثَباتِ أصحابِ البأس بعضِهم على بعض وبالمُدُن التي تُبْنى ثم تُحْرَق تكْرارًا وبالمَظالم التي يُنْزِلها الحكّام الطغاة بالجماعات وبالأفراد دَرْءًا لفِتْنةٍ أو تحصيلاً لغَنيمة او رَدْعًا لرأيٍ يخشَوْن انتشارَه. ولعلّ أدونيس أوّلُ مَنْ إذا سُئل عن هذا الجانب أجابَ واستفاض.

ولكن أصحاب المذاهب تلك يتناسون أمْرين لا يجوز لهم تناسيهما. الأوّلُ أن رعايةَ الغاصبين الظَلَمة من الخلفاء والسلاطين هي ما أنْشأ ما أصبحنا نسمّيه الحضارةَ الإسلامية: وهي البُعْد التاريخيّ، الماديّ والمعنويّ، لوجودِ جماعةِ المسلمين واستمرارِها إلى اليوم فيما الدينُ هو القِوامُ الروحيّ والمعياريّ لهذين الوجود والاستمرار.

والأمرُ الثاني – وهو الأعسرُ مَخْرَجًا لأهل هذه المذاهب – هو أن هذه الدول هي من أَوْصَل الإسلامَ إلى ديارهم ونَشَره فيها وأنهم مَدِينون لها بدِينِهم أصلًا. فهم حين يُنْكِرون كلَّ فضلٍ لها يضعون أنفسهم في موضع الشبهة الثقيلة. إذ قد يقال لهم أن هذا الإنكارَ ليس سوى التعبيرِ المُداوِر عن رَفْضِهم لدينٍ فُرِض عليهم فَرْضًا ولم يَكُن لهم أن يَخْرُجوا منه صراحةً فراحوا يعالجونه من شتى وجوهه قرنًا بعد قرن ليجعلوا منه غيرَ ما كانَ وليتّخذوه مِرْآةً أليفة لَملامِحَ من وجوههم سابقةٍ عليه ولا شَبَه بينها وبين الوجه الذي أراده هو لهم.

١٥ تمّوز

إجازة!...

حتّى إشعارٍ آخر، أحصُر نشاطَ هذه الصفحة في استعادة مقالاتٍ أكون قد نشرتُها في مَواضعَ أخرى.

إلى اللقاء!

٢٠ تمّوز

خواطرُ من وراء الحائط (حصاد أيّامٍ من الانقطاع عن الفيسبوك):

٢٠ تمّوز

عسى أن يأتي على أولادنا أو على أولادهم يومٌ تَرِثُ فيه مرجومةُ الطَبَقة بعضَ قداسة المجدلية. أتمنّاها قدّيسةً مدنية لا دِينَ لها تُعلّق صوَرُها لا في المعابد بل في بيوت الناس وفي المحاكم فوق رؤوس القضاة.

٢٠ تمّوز

ما دام – سبحانَه! – «يصفِّد الشياطينَ» في رمضان فلماذا يعود ويُطْلقهم علينا في شوّال؟ وهذا مع العلم أنني أراهم ما يزالون طلقاءَ يَسْرَحون ويَمْرَحون كثيرًا في هذه الديار وقد دخلْنا العَشْرَ الأواخرَ من الشهر الفضيل.

٢١ تمّوز

الجحشُ المكعّب، اصطلاحًا، مَنْ يُوكِل إلى جحشٍ رباعيّ الدفع مهمّةَ التمييز بين جحشٍ آدميّ وجحشٍ للكيّ.

٢١ تمّوز

كان لا يَهُون على جارنا راعي الماعز أن يكون أحدٌ سوى تَيْسِه قد لُقِّب يومًا بـ«ذي القرنين».

٢٢ تمّوز

وإنّي لَتَعْروني لذكراكِ هزّةٌ   كما ارْتَعَشَ العُصْفورُ بلَّلَهُ القَطْرُ

يَتراءى لي أنّ أبا فراسٍ كان يشكو سرعةَ الإنزال فتُدْرِكه الهزّةُ لمجرّد الذكرى.

٢٥ تمّوز

هل سيسمح سلطانُ دمشق وخليفةُ الموصل بذِكْرِ هولاكو وتيمورلنك أمام تلاميذ المدارس بعد اليوم؟ هل يجرؤان؟

٢٥ تمّوز

الشرّ - في ما يتعدّى اللغوَ الذي يدّعي «تفسيرَه» - فائضٌ شرّيرٌ عن حاجةِ الخليقة: لا ضرورةَ له ولا لزوم.

٢٥ تمّوز

روى أبو عبد الله عميدُ الكذّابين في نواحينا أنه كان عائدًا من الصيد ذاتَ أصيلٍ فتعِب من السير فأوى إلى فرعِ شجرةٍ كبيرة ليرتاح ولم يلبث أن غلَبَتْه إغفاءة. وبعد حينٍ استيقظ على أصواتِ عراكٍ رهيب تحت الشجرة. فنظَر فإذا ضَبُعانِ تتناهشان... كانت إحداهما تَقْضَم قطعةً من الأخرى لتعودَ الأخرى فتَقْضَمَ منها قطعةً وهكذا دواليك... ودامت الحال على هذا المنوال من القضم المتبادل ساعةً من الزمن... وانجلى الغبارُ وقد نَفِدَت الضَبُعان ولم يبقَ منهما شيء.

٢٥ تمّوز

لم يَبْقَ بين أيٍّ منهم وبين إسرائيلَ نزاع. من زمنٍ طويلٍ أصبحَت إسرائيلُ مطيّةَ أيٍّ كان يَرْكبها ليهاجِم عليها جهةً أخرى. هي ليست الموضوعَ الفعليّ للقول ولا للفعل. يقول واحدُهم كلمةَ تضامنٍ مع الغزّيين ويقصُد إحراجَ خصمِه المعلوم لا أكثرَ ولا أقلّ! لا إسرائيلُ موضوعُ الكلمة أو البادرة... ولا الغزّيون، لا سَمَحَ الله! فإذا قَهَر بعضُهم إسرائيل يومًا (وهذا مُحالٌ ما دامت هذه هي الحال) فسيكون ذلك من قبيل «الأثر الجانبي» يحصُل لهم عَرَضًا فيما هم يفْعَلون شيئًا آخر!

٢٦ تمّوز

بلَغَت قيمةُ الفيسبوك ١٩٠ مليار دولار. أعطوني حِصّتي ودَعوني أرحل!

٢٦ تمّوز

في ذكرى خروج سمير جعجع من السجن اسْتَحْسن فارس سُعَيْد أن يَجعل عددَ المتظاهرين في ١٤ آذار ٢٠٠٥ مليونًا ونصف مليون. متى يصبحون مليارًا؟ هل يرضينا أن يبقى زوكربرغ أجْذَبَ من سُعَيْد؟

٢٦ تمّوز

من أوّل خطبةٍ أكَل الرفيق سجعان [قزّي] على المسيحيين ٦٠٠ سنة من جُلْجُلتهم. فهذه بدأت، على حدّ علم المسكونة، سنة ٣٣ لا سنة ٦٣٢... وكانت القرون الأولى منها أقبحَ ما رأت عينٌ وسَمِعَت أُذُن.

٢٦ تمّوز

كان أبو عبد الله الكذّاب يقول: «بيتُ السَكَن لا يباع!». ويقصد أنّك مهما تَكْذِبْ فإن القانونَ لا يُجيز بيعَ البيت الذي تَسْكُنه تعويضًا للمتضرّرين. ومرّةً أضاف: أنا مسافرٌ غدًا إلى الشام، فإذا تقاتلتم لا تنسوا أن تعيّنوني شاهدًا.

٢٧ تمّوز

يجب استطلاعُ القواعد التي تقوم عليها إسطاطيقا الغزل الطائفي بالأوطان والبيوت وبالأولاد والأقارب وبالحبّ والصداقة وما جرى هذا المجرى. وفي تخميني أن هذا التحليل يحتاج إلى استحضار طُعومٍ قوية يستعملها المحلّل في الوصف والتمييز... من قَبيلِ طَعْم الدِبْس بعد أن تُفْسِده الحُموضة وطَعْم الشاي الأسود الفاتر حين يُملأ نصفُ الكأس بالسكّر. ولا ريب أن الطوائف تختلف مشاربها في هذا المضمار

فيجب أن يكون التحليل مقارَنًا. ولكنّ المحلّلَ سيجد صعوبةً في الترحّم على الذين كانوا القُدْوةَ والمِثال أي على أمثال اليازجي والمنفلوطي وجبران والزيّات، إلخ.

٢٧ تمّوز

شو عم تعملوا بالفيسبوك يا جدعان؟ الحياة برّا غير شكل!

(بسّ كمان مش حلوة).

[انتهت الفَسْبَكات من وراء الحائط]

٣ آب

يبقى لكلٍّ أن يتخيّل الجنّة التي تحلو له ولا يرضى عنها بديلًا... ولكلّ أن يطلب ما يعلم حقّ العلم أنه لن يحصل عليه. لا صعوبة في هذا.

ولكن هل بقي شيءٌ عمليّ، عملٌ يتيحه فنّ الممكن، بابٌ محسوس له عرض وارتفاع نتوجّه نحوه «لننأى بأنفسنا» عن جهنّم؟ نحن مضطرّون اليوم إلى إزعاج وكلاء الجنّات وغيرهم بهذا السؤال. فيما هم يرفعون حولنا بهممهم العالية أسوار الجحيم.

٦ آب

هجم التين! [صورة]. هذا، على الأقلّ، هجومٌ لا يقتل!

٦ آب

«قد يسقُط شارون غدًا أو بعدَ غدٍ وقد يَثوبُ بوش، بعد حينٍ، إلى صوابٍ غير صوابه اليوم. على أنّهما سيكونان قد أفلحا، قبْلَ ذلك، في

سَدّ الأفق أمام كلّ مستقبلٍ سَوِيٍّ لدولة إسرائيل وفي خلخلةِ أركانِ العرش الأميركي الذي تتكاثر الدلائلُ على أنّه منذورٌ ليَكونَ بين أقْصَر العروش الإمبراطورية عمرًا في التاريخ. على أن المتأمّل لا يَرى، بخلافِ ما قد يتبادر إلى الذهن، في الأوّل ولا في الثاني من هذين الأمْرَين ما يَعِدُ شعبَنا وشعوبَ الجوار برُسُوٍّ ما على برٍّ للسلامة.»

(من افتتاحيةٍ كتبتُها لجريدة «السفير» بطلبٍ من جوزف سماحة ونُشِرَت في أوائل نيسان ٢٠٠٢ أي في أثناء المواجهة بين قوّات الاحتلال والفلسطينيين في مخيّم جنين).

وهو ما أجدني اليوم أكثرَ اقتناعًا به ممّا كنتُ قبل أعوام.

فعندي أن أسوأَ ما حصل لشعوب هذه المنطقة في العقد الأخير هو تضَعْضُعُ الإمبريالية الأميركية خصمِها الأكبر بلا منازع: حاميةِ أنظمة النهب والتبديد وراعيةِ إسرائيل مَرَض المنطقة العُضال.

لم تنتصر شعوبنا على هذه الإمبريالية. انتصر عليها أوّلًا حكّام أميركا وذوو الأطماع من مجتمعها السياسي وأقطابها الماليين. وأمّا القُوى التي اشترَكَت في الانتصار عليها من دول منطقتنا أو من شعوبنا فقد انتصَرَت، حتّى يومِنا هذا، عليها وعلى الشعوب معًا في حربٍ واحدة ذاتِ وجهين...

٧ آب

نفى أندريه مالرو أن يكون قد قال يومًا: «إن القرن الحادي والعشرين سيكون دينيًا أو لا يكون».

هوذا كان وأصبح وأمسى وما انفكّ دينيًا وهذا هو الحصاد!

٨ آب

بين ربيع ١٩٧٣ وخريفها كنت أقصد عرسال كلّ أحدٍ تقريبًا لتفقّد رفاقنا الكثر هناك بعد انشقاقنا عن منظمة العمل الشيوعي. وكلّ مرّة كانوا يستضيفونني إلى ترويقة فاخرة يتصدّرها البيض والكشك.

مرحبًا أيها الرفاق! مرحبًا من الرفيق علي أيّها العراسلة! بيننا بيضٌ وكشك ولا أنسى الخبز والملح أيضًا.

٩ آب

قبْل دهرٍ، كان لي صاحبٌ وُفّق في بعض أسفاره إلى اتّخاذ عشيقةٍ له في براغ...

بعد ذلك، أصبح لا يسافر من بيروت إلى الكويت أو إلى نيودلهي إلا عن طريق براغ. وإذا أراد أن يزور حماته في الدامور قصَدها عن طريق براغ.

مليارات الرياض قادمةٌ إلينا عن طريق باريس والله يعلم من سيضاجعها هناك...

١٠ آب

حظِينا بفرصةٍ للبقاء بلا مُفْتٍ وأضعناها.

لا نستأهل النعمة.

١١ آب

في أثينا القديمة، كان المواطن العاجز عن وفاء ديونه يباعُ في سوقِ الرقيق ويذهب ثَمَنُه إلى الدائنين.

أعرف بلادًا رازحة تحت دينٍ ثقيل كان يسَعُها أن تبيع طبقتَها السياسية بالجملة لولا أن هذه الطبقة سبق بيعُها مرارًا بالمفرّق ولا تملك البلاد منها شيئًا يَصْلُح للعَرْض.

١٢ آب

باستثناء الكرواسان بزعتر، لا أرى حوارًا بين الحضارات يَصُحّ وصفُه بالتكافؤ.

١٢ آب

تبيّنَ أن سورية والعراق لا ضرورةَ لهما. صفةُ الضرورة محصورةٌ بالأسد والمالكي.

١٢ آب

قدّم نقولا فتّوش اقتراحَ قانونٍ للتمديد لمجلس النوّاب.

ليْتَه يقترح التمديدَ لجبل الكنيّسة!

١٣ آب

في لشبونة، تعلّمنا من دليلتنا ما لم نكن نَعْلم. وهو أن المدينة أسّسها الفينيقيون.

عليها يا عَرَب!

١٥ آب

متى تنقضي هذه الألفيّةُ الثالثة؟

تَلِفَت أرواحُنا.

١٦ آب

منْ أعجبِ العَجَب أن يوصَف الدينُ، في هذه الأيام، بـ«الشأن الروحي» والمسؤولون فيه بـ«القادة الروحيين».

«روحيّ» و«روحيّون»، قلتم؟

١٨ آب

جان بول سارتر لو كان بيننا:

«الجحيم هو الفيسبوك!»

١٩ آب

الصور التي نشرَتْها ميّ بيضون لجولتنا البرتغالية تفي بالغرض بل تفيض عنه. لذا لا أنشر من عشرات الصور التي التقطتُها بدوري سوى واحدةٍ وحيدة أخذتُها في الحيّ القديم من مدينة سِنْتْرا. وهي صورةُ ذاك الجسر الصغير الذي يمتدّ فوق الشارع السفليّ ليصلَ الشارعَ العلويّ بمنزلٍ واحد... وسؤالي الذي قد أوجّهُه إلى يورغن هابرماس أو إلى جوليان فروينْد هو التالي: هل هذا المرفق الذي يشغل جزءًا من الفضاء العامّ ولكنه ملحقٌ بمُلكٍ خاصّ وحيد هو مرفقٌ عامّ أم خاصّ؟ أم تُراه يطرح مسألةَ التمييز بين الفضاءين من أصلها؟

٢٠ آب

عامَلَ البَشَرُ العالمَ الافتراضي معاملتَهم كوكبَ الأرض. ذَوَت بسرعةٍ شُعْلةُ الفرح بالإنترنت وبما فتحه من آفاقٍ للاطّلاع والتذوّق وللتعبير الحرّ. بسرعةٍ أصبح الإنترنت مَنْبَعًا ومَصَبًّا لَمجاريرِ الخليقة تنتهي إليه أو

تبدأُ منه سُيول العنف والبذاءة والكذب. وأصبحت جولة الباحث فيه تُشْبِه بحثَ الفقير عن وَجْبةٍ طيّبةٍ في مَزْبَلة.

٢٢ آب

لا أحسَبُهم قِلّةً بيننا من أصبَحَت تَلوحُ في رأسِ واحدِهِم، بينَ حِينٍ وحينٍ، صورةُ رأسِه مُلْقىً بجانبِ الطريق: يَمُرُّ به ويلقي عليه السلام!

٢٢ آب

Je sens comme aux vertèbres
S'éployer des ténèbres
Toutes dans un frisson
À l'unisson



Et ma tête surgie
Solitaire vigie
Dans les vols triomphaux
De cette faux



Comme rupture franche
Plutôt refoule ou tranche
Les anciens désaccords
Avec le corps



Mallarmé, Cantique de Saint Jean

وأشـعُـر أن الـنـهـارَ مشى ظـلـمـةً في الـفِـقـارِ
مشـى رجّـةً مـن ظـلامٍ فـتـمّ الـتـمـام

❖❖❖

... ورأســي بـرزْ وحـيـدُ هـو المـرقـبُ
يـحـيـد عـن الـبُـرْجِ ذا مـنـجـلٌ طـارَ

❖❖❖

يومضُ في قعقعاتِ انتصارٍ عـلـى الـسـلـكِ
سـلـكِ الخـرزْ وشأنَ القطيعةِ إن أُبْرِمت
لتصرمَ ما كان صوتَ الحرَدْ ليَنْسى الجسدْ.........

❖❖❖

مالارميه: أنشودة القدّيس يوحنّا.
كتبها بالعربية: أحمد بيضون. ....

٢٣ آب

لعلّه – تَعالى! – قَصَد كهرباء لبنان بِقَوْله «كلّما دخَلَتْ أُمّةٌ لَعَنت أختَها». (وأُخْتَنا جميعًا بالمَعِيّة).

٢٤ آب

لولا «باسيل» (مولّدنا المنزلي) لأكَلَت تَغْلِب هوا...

٢٦ آب

الذي يَعْتقد حقًّا أن فِرْقته هي وحْدَها الناجيةُ وأن بقيّةَ البشرية، من قديمٍ وحديثٍ، صائرةٌ إلى نارِ جهنّم يبدو، لأوّلِ وَهْلةٍ، شخصيّةً هزليّة.

ولكنّ هذه الشخصية تنذر بالانقلاب إلى وحشٍ خرافيّ وهذا بقَطْع النظر عن هُويّة الفرقة التي تنتمي إليها.

فإنّ من يزْعُم أنّه عالِمٌ بحُكْمِ الله في خَلْقِه يُقْدِم، عند الاقتضاء، على مَدّ يَدِ المعونة لربّه ويَنْتَظر منه جائزةً وقد يَنْتَظر اثنتين: واحدةً في الدنيا والأخرى في الآخرة.

٢٦ آب

ليس الدين ما يحول دون سيادة الهمجية في المجتمعات وبينها. تدين البشرية بهذه النعمة، حيث تكون حاصلة، لمزيج معقّد يزيد في كثافته الزمن وتعزّزه ذاكرة الحروب من المصالح والبنى المجسّدة لها ومن أعراف التعامل والعشرة ومن شبكات القرابة والتضامن وموازين القوى. هذا المزيج يوطّد الحاجة إلى الاستقرار والأمان ويقاوم السعي إلى ضربهما ويؤسس للإقرار بضرورة السلطة العامّة. ويدخل التأويل المناسب للدين عنصرًا أو مكوّنًا في هذا المزيج يمدّه برادع التحريم ولكن لا يعتبر الدين أصلًا للمزيج نفسه.

وتكفي المرءَ نظرةٌ خاطفة إلى التاريخ السياسي للأديان ليلاحظ أن أكثر الأديان زعمًا للمسالمة (وهي المسيحية) وَلَغ أتباعُه، وهم يرفعون الصلبان ويبنون الكنائس، في أعمال إبادة اشتملت على قارّاتٍ بحالها. وأما الإسلام واليهودية فلا تحتاج مواكبة العنف لنشأتهما ومثوله في نصوصهما المؤسّسة إلى برهان.

وقبل التوحيد وبعده، لبثت القبائل والعشائر أحرصَ على الدماء من المذاهب ومن الدول ولبثت أعرافُها، في السلم والحرب، منطوية على اقتصادٍ للدم محْكَم القواعد. ولم يحمل القبائلَ والعشائرَ على الإفراط في القتل والخروج فيه عن جادّتها الخاصة إلا دخولُ الدولة أو الدين في مسالكها وتسيّدهما عليها.

مع ذلك، يبقى صحيحًا أن أديان التوحيد الثلاثة بقيت كلّها قابلة لاستيلاد نفسها في صيغٍ تعزّز المسالمة وتحضّ على التآخي. ولكن لا الحرب والخراب ولا السلم وحسن المعاشرة كانا، من حيث الأساس، نتاجًا للدين. بل كان هذا أو ذاك منهما، حين تفرضه دواعٍ أخرى، يستدعي أو يغلّب تأويلًا للدين يمهّد له أو يواكبه. وكان الدين يدخل بتأويل له، إلى هذا الحدّ أو ذاك، في مقاومة القوّة الغاشمة حيث تجنح إلى اجتياح أركان الاجتماع. ولكنه كان يبدو مطّاطًا أيضًا مطيعًا للقوة الغاشمة حيث تفرض نفسها وكان يخرج منه مُفْتون ومتأوّلون يسعون في ركابها.

وفي موجة الهمجية التي تضرب مجتمعاتنا اليوم بين مشارقها ومغاربها، تبرز فكرة «الهجرة» مقترنةً بالمذهب ليستقيم لأصحاب المذهب أن يَقْرِنوا فرضَ سلطانهم بأقصى الاستباحة لما يفتحونه من نواحٍ ويقعون عليه من جماعات. وذاك أن ما يميّز «المهاجر» إنّما هو التحلّلُ من أعرافٍ وقيودٍ مختلفة أَنْمَتْها الإقامة الواحدة بين آهلي المنطقة أو المدينة على اختلافهم. وفي موضع الأعراف والقيود، بكثافتها وتعقيدها، يضعُ هذا «المُهاجرُ» نقاوةَ المذهب المجرّد وتصميمَه على فرضه. هذان التجريد والتصميم هما المدخل إلى الهمجية.

٢٨ آب

دعا بطاركة الشرق إلى «فصل الدين عن الدولة» ولكنهم لم يبدوا رأيًا واضحًا في الدولة الطائفية... سوى أنهم اعتبروا لبنان «دولة مدنية»!

بين طرفَيْ الجملةِ الواحدة مواصلةٌ لخداع النفس ومجالٌ شاسع لبِضْعِ حروبٍ أهلية.

٢٩ آب

في لبنان، تُنْسَب كلٌّ من المافيات المعروفة (مافيا النفط، مافيا الكهرباء، مافيا الدين العامّ، مافيا الأشغال العامّة، المافيات العقارية، إلخ.) إلى زعيمٍ كبير معروف أو إلى أكثر من واحد. ولكن مافيا المياه تفوّقت على كلّ ما عداها. فهي تنسب نفسها إلى قلّة المطر: فيكون زعيمها هو ربّنا نفسه.

٢٩ آب

بَلَغَهُ –تعالى!– ان التَوارُثَ بينَ الطوائف المختلفة غيرُ جائز. فأَمْسَكَ –سبحانَه!– عن تسجيل اسمِه في طائفة. لِذا سَيَسَعُه وحْدَهُ، عندَ انتهاءِ الزمان، «أن يَرِثَ الأرضَ ومَنْ عليها».

٢٩ آب

أعلَمُ إذن أن التوريثَ بين الطوائف المختلفة ممنوعٌ. ولكنْ أصبحتُ أرجّح، مع ذلك، أن يَرِثَ آلُ الديك الأكارم آلَ الرحباني الأماجد... فيكون ذلك مَدْخلًا إلى عَلْمنة الأحوال الشخصية في ديارنا وقد يُسْتَفاد من المناسبة لتوحيدِ بلادِ الشام أيضًا.

#ألهاكم_التكاثر

٣٠ آب

قبْلَ ١٥ سنة أصدَرْتُ كتابًا في أحوال جمهوريتنا جعَلْتُ عنوانَه «الجمهورية المتقطّعة». قصَدْتُ أنها جمهورية: سنة إي سنة لأ... منطقة إي منطقة لأ... مؤسستين لأ مؤسّسة إي...

فمن رأى منكم عِوَجًا في هذا العنوان فليقوّمْهُ بحدّ سيفه.

(ملاحظة: لم أُرِدِ الترويجَ للكتاب هنا، فهو نافد).

٣١ آب

عنوان مقترح لأطروحة في تاريخ الغناء العربي المعاصر: «من الطَرَب إلى السُعال الديكي».

٣١ آب

يُشْبه سعد الحريري الجيشَ السوري الحرّ في أمرٍ واحد: وهو أن كليهما تُبْنى على وجوده خططٌ دولية مترامية الأطراف ولكنهما لا يُثْبِتان هذا الوجودَ إلّا في أوقاتٍ أصبَحَتْ نادرةً تَفْصِل بينها مَراحلُ تشويقٍ متزايدة الطول.

٢ أيلول

افتح يا غوغل!

٤ أيلول

لعبةُ الكتب العشرة المحالة إليّ من Hussam Itani:

١ – كليلة ودمنة ترجمة ابن المقفع

٢ – البيان والتبيين للجاحظ

٣ – تاريخ الرسل والملوك للطبري

٤ – مقدمة ابن خلدون

٥ – Cratyle de Platon

٦ – La Nausée de Sartre

٧ – The Seven Pillars of Wisdom by T.E Lawrence

٨ – Le Prince de Machiavel

٩ – Tristes Tropiques de Lévi–Strauss

١٠ – Histoire de la Folie à l'Âge Classique de Foucault

وصلت إلى عشرة وليست كلها الأولى بالضرورة. وكنت أحب أن أضيف كتبًا أخرى: ليست كثيرة، على الأرجح: عشرةً أخرى مثلًا.. ولكن لا أَخْرِق القاعدة. وما دمنا ذكرنا القاعدة فلأقل أن هذه اللائحة تتوقف عند بلوغي سن الـ٤٥ تقريبًا. وأمّا اليومَ فإن بيانات داعش هي ما يترك في كياني أثرًا لا يعادله ما تَركَه أيُّ كتاب.

٥ أيلول

تضْرِبُك الشيخوخةُ ومعها وَقارُها الزائف حين تُدْرِك أنّ شرطيّي السَيْر قاطبةً أصبحوا أصغرَ منكَ سنًّا. في السلطة لَعِبٌ وضَعْفٌ تكوينيٌّ يَكْشِفهما الاضطرارُ إلى اعتماد ممثّلين أقلّ هيبةً من بعض الجمهور.

في كلّ حال، إلْزَمْ حدودَ النظام إن كنتَ لا تحبّ أن يقول لك الشرطي: «الأوراقَ يا عَمّ!» ولا بأسَ بأخْذِ العِلْمِ مرّةً بهذا الاحتمال. ولكن تُسْتَحسن العودةُ إلى الهَزْل إذا كنتَ تُحْسِنُه.

٥ أيلول

ثابَرَ البشرُ على إطلاقِ اسمٍ خاصٍّ على كلّ فردٍ من أفراد جنسهم. فميّزوا أنفُسَهم بهذا عن الوحوش والبهائم وعن النبات والحجارة.

كم من ألوفِ السنين مضت على هذا الاختراع العبقري: اختراعِ الاسم العَلَم؟ وكم من المَشقّات يَتعيّن على الإنسان الفَرْدِ أن يَتكلّف حتى لا يبقى رأسًا في قطيعٍ فلا يَسْتَحقّ اسمًا عَلَماً؟

٦ أيلول

قديمًا كان النصرُ «صبْرَ ساعة» فأصبح اليومَ لفظةً في السمّاعة.

تَعِسَ من لا يَحْتَسب قتلى شعبه في الخسائر ولا يراهم جديرين بيومِ حداد.

هو أيضًا يَعْتَبر أن ألفًا من هنا يساوون أشلاء واحدٍ من هناك.

٧ أيلول

حتى لو كان لبنان عائمًا على بحر من النفط والغاز، سيبقى ساسته قادرين على إغراقه!

٨ أيلول

ليلة مبارح ما جانيش نوم
واحنا لسّه في أوّل يوم!
وقال آخر:
ويا خوفي، يا خوفي، يا خوفي!...

٨ أيلول

أرجو العافية لهاني فحص.

٨ أيلول

لعلّه يَصْلُح لنا، في الحال التي نحن فيها، أن نستعيد «أسطورةَ سيزيف» التي تَداوَلَها كتّابُنا وشعراؤنا عقودًا بعد أن أحياها ألبير كامو في كتابٍ صغير أَصْدَره سنة ١٩٤٢.

غير أن علينا الانتباهَ إلى أننا لم نكُنْ قد بَلَغنا وَسَط المُرْتقى حين تدحْرجنا، على غِرار الصخرة المعلومة، نحو الحضيض، ومعنا ما كنّا نَحْسبُه مَعالمَ مستقرّةً نَعْرف بها عالَمَنا.

٩ أيلول

قال أوباما ما معناه أن داعش خطرٌ على الدول السنّية أوّلًا. هذا صحيح. ولكن المشكلة أن الدول السنّية المشار إليها هي عبد الله وعبد الله وتميم ومن لفّ هذا اللف وأن خوض الحروب بدولٍ من هذا القبيل لا يبشّر بالنصر المبين إذ هي شطرٌ أصيلٌ وكبير من المصيبة.

والمشكلة ثانيًا هي أن أميركا هي أميركا الأوبامية وهذا لا يَعِد بكثيرٍ من القوّة ولا بكثيرٍ من التصميم.

والمشكلة ثالثًا هي أن التعويل على إيران الخمينية وعلى تابعَيْها في بغداد ودمشق يضيف ظلمًا إلى الظلم الواقع على سنّة هذه البلاد ولا يزيد داعش إلا قوّةً ويضع المنطقة كلّها – وهذا هو الأدهى – على سِكّة الحرب السنّية الشيعيّة المُطْلَقة أي على سكّة الفناء.

شيءٌ ما في هذه الخريطة... شيءٌ كبير يجب أن يتغيّر حتى يمكن

كسبُ الحرب لا على داعش الظاهرة وحدها (فهذا كسبٌ عابر) بل على المشتل الداعشي.

٩ أيلول

لا بأسَ على النفط في خراب البلاد النفطية... لا بأس عليه في تحوّل أهالي البلاد إلى لاجئين. لم يتأثّر توزيع النفط جِدّيًا بالحروب الجارية في دياره. داعش نفسها قادرة على مواصلة التوزيع. ويسهم وجود أطرافٍ من هذا الصنف، مضطرّةٍ إلى البيع بأيّ ثمن وغيرِ خاضعةٍ للتسعير الدولي، في مَيْل الأسعار إلى الانخفاض.

٩ أيلول

أصبحتَ، إذا قرأتَ مقالةً من المقالات في بعض الصحف اللبنانية، ساوَرَكَ شعورٌ غامض بأن الكاتب الكريم يدبّر لك شخصيًا مكيدةً يريد أن تودي بك إلى الهلاك.

إعلامنا الحاضر، في معظمه،حالةٌ من الحالات التي تستحقّ فيها نظريةُ المؤامرة (على جمهور القرّاء والمشاهدين) بعضَ الاعتبار.

١٠ أيلول

بخلافِ ما كانت عليه الحالُ قبْلَ عقدٍ من الزمن، أصبح الكلامُ على لبنان «الوطن النهائي» يبدو على أَلْسِنَةِ البعضِ من أهلِ الحلّ والعَقْد كلامًا موقّتًا.

١٠ أيلول

قال الإمامَ عليّ (ع): «حزني على مدى الأيام طويل. وعيني على الأحباب تسيل. أبكي إذا فارقتهم يومًا. فَكيفَ إذا كان الفراق طويل».

هل الإمام عليّ زَجّال؟ أم الذي نَسَب إليه هذا الكلامَ الركيك دجّال؟

١١ أيلول

«المستقبلُ فكرةٌ مشؤومة حقًّا»: عبارةٌ لفرانسوا شاتليه ذَكَرْتُها في خِتام كتابٍ قديمٍ لي.

أراها، في الزمن الحاضر، أَوْفقَ ما يَكون مدارًا لُمناظرةٍ عالمية... لندوةِ زَجَلٍ على نطاقِ المعمورة:

هل نَعْتمد صورةً للمستقبل نُريد إخضاعَه لها أم نُحْجِم مَخافةَ أن تنقلبَ الصورةُ إلى آلةِ قتلٍ ودمار؟

على بَتٍّ هذه المسألة يتوقّف... مستقبلُ البشر.

١٢ أيلول

أنا في البحر الميت!

الموقع الأمثل لمجالس العزاء الفكرية المعمّقة.

٤٠٠ متر تحت سطوح البحار الحية!

مستوى معنوياتنا تقريبا!

١٥ أيلول

«العيب فيكم... يا بحبايبكم... أمّا الحب...»!

إفعلوا شيئا!.. إنها تَشْتِمنا!..

١٦ أيلول

قد تنبعث إسكتلندة اليوم من رماد التاريخ دولةً مستقلّة بعد قرون

كثيرة من التقاتل فالتجاذب فالاتحاد بين الإسكتلنديين والإنكليز.

هذا يمنحُني أملاً في نيل الاستقلال للأندلس عن وَرَثة فردينان وإيزابيلا (لعَنَهما الله!) وفي وضْع يدي على ضيعةٍ أعجبَتْني هناك...

ولِحقّي في هذه الضيعة سَنَدٌ لا يُردّ. وهو أنّنا، نحن آل بيضون، نتذرّع بالتماثل بين صيغةِ اسمنا وصيغة الأسماء الأندلسية أو المغربية المألوفة من قبيل «زَيْدون» و«فَضْلون» و«خَلْدون» لنَزْعُم أننا كنّا بين المطرودين من الجنّة الأندلسية.

فكيف لا يكون لي حقّ العودة؟

١٨ أيلول

غياب هاني فحص يبقى عَصِيًّا، في شعوري، على التصديق...

فمن يومٍ أن عرفتُه، قبل عقود، يطغى على صورته، في خاطري، فيض الحيوية والحضور.

وقد كانت حيويته وكان حضوره شهوةً متّقدة لمعرفتك، إلى أيّ صنف من الناس انتميتَ، ومتّسَعًا من النباهة والإقبال لا يضيق بك كائنًا من كنتَ بل يستدرج منك النباهة والإقبال.

١٩ أيلول

... وآخِرُ دَعْوانا أن السماحةَ (وهي نادرةُ الأصحاب) فَقَدت صاحبًا لها في ديارنا كان يُدْعى هاني فحص.

٢١ أيلول

من أمس إلى اليوم، أتمّت الإنترنت في الجنوب أربعًا وعشرين ساعة من الغياب البهيّ.

وفي كلّ يوم نصطاد الوصلة اصطيادًا هنا... نصطادها بين حين وحين، ونفكّر في نقل القيلولة إلى ساعات الصباح لنتمكّن من العمل... أو يخطر لنا أن ننصح فروع المصارف بنقل دوامها إلى وقت السهرة.

تُضاف هذه الحال إلى حال الكهرباء والماء: والأخيرة هي الأسوأ. هذا بينما التزفيت جارٍ على قدمٍ وساقٍ... والانتخابات، على ما يُشاع، مقبلة.

لا بدّ إذن أن يتوجّه الأهالي إليكم بجزيل الشكر على تزفيت عيشهم يا أصحاب السعادة.

٢١ أيلول

كان الشاعر محمد علي الحوماني يلقّب رياض الصلح، رئيس الحكومة في أيّامه، بـ«ساحب الدولة» ظانًّا أنه يهجوه بهذا اللقب.

... إلى أن تبيّن أن حالنا مع صاحب الدولة أصعب بكثيرٍ من حالنا مع ساحبها. فقد فهم أصحاب الدولة من اللقب أن في وسعهم أن يطوّبوها بأسمائهم ويستخرجوا بها سندات ملكية خضراء. وهو ما كان قد فهمه قبلهم أصحاب الفخامة وأصحاب السعادة...

٢٣ أيلول

التحديث مسلكٌ صعب ودَأْبٌ متّصل يَخْترع لنفْسه تقاليدَ لا تشبه التقاليد... تقاليدَ تتميّز بحفاوتها بالجديد وتُفْلِح في التأليف المُجْهِد بين احتفال المَساق العقلي بالوقائع أو تقبّلِه منطقَ المؤسّسة وبين مباغتةِ الحَدْس المبْدِع واستمرارِ النقد.

وأمّا حداثةُ النعمة، في أيّ مضمارٍ، فليست من الحداثة في شيء.

٢٥ أيلول

أنت لا تستغني عن حقوق الإنسان أيّها اللبناني... تحتاجُ إليها بين حينٍ وحين!.. وهذا فضلًا عن أن التمسّكَ بهذه الحقوق متعلّقٌ بالإنسانية نفْسِها لا بالحاجة...

ولكن دَعْ جانبًا حقوقَ الإنسان إن كانت ثقيلةً على نفْسِك! يكفيكَ السؤالُ العملي: هل يقمعُ الجيشُ اللبناني الإرهابَ في هؤلاء بتقييد أيديهم وإلقائهم مكبّين على وجوههم على الحضيض أَمْ هو يدعمُ نموَّه ويتولّى تصنيعَه؟ [صورة].

٢٧ أيلول

لعلّ النقطةَ الصالحة مُنْطلَقًا للتأمّل في ما آلَتْ إليه أمورُنا هي أن الإمكاناتِ المعروضةَ علينا فعليًّا أصبحَت كلّها مرفوضة. في كلّ حالةٍ، نحن أمامَ «أمْرَيْن أَحْلاهُما مُرّ» والانحيازُ إلى واحدٍ منهما متعذّرٌ كلّيًا.

تعذُّر الاختيار هذا كان، قَبْلَ مُدّةٍ يسيرةٍ، أَمْرًا يتعذّر علينا (أو على مُعْظمنا) تصوُّرُه. كنّا نرى الانحيازَ الدائم إلى فريقٍ فاعلٍ شرطًا للبقاء في الميدان وكنّا نُصِرُّ على البقاء في الميدان أو على وَهْمِه، في الأقلّ.

أرجو أن تكون الاستحالةُ المستَجَدّة سَبَبًا ليقظةٍ إستراتيجيّة.

٢٧ أيلول

أمرٌ مباغت أن يكون الحزبُ الشيوعي اللبناني قد بلَغَ التسعين هذه السنة! يوحي منظرُه أنّه تجاوزَها قبْلَ عشراتِ السنين.

٢٩ أيلول

لا أحَدَ كفيصل القاسم يَصُحّ فيه القولُ أنه ممثّلُ كْلِيبات يَظُنّ نفسَه جيشًا!

٣٠ أيلول

أزيلت الصوائت القصيرة (المسمّاة «حركات») من الكتابة العربية ثمّ راحت تُتّهم اللغة... راح الناطقون بها أيضًا يُتّهمون بالغلط: الغلط بالصوائت! راحوا يُتّهمون ثالثًا بالعجز عن تعلّم الصرف والنحو... الصرف والنحو اللذين تدلّ الصوائت على قواعدهما بلا حاجةٍ تقريبًا إلى تعليم القواعد. الصوائت ليست حروفًا وحسب بل هي أهمّ الحروف. واستثناؤها من الكتابة جرمٌ متمادٍ بحقّ اللغة: بحقّ تعلّمها وبحقّ تعليمها، بحقّ النطق بها وبحقّ كتابتها.

افترِضْ أن فرنسيًا عرَض عليك حرف d وحيدًا «شريدَ المنازل»، وفرَض عليك أن تعرف أيّ مقطع يقصد؟ da أم di أم dy أم do أم du أم dou أم de أم deu، إلخ. وأضاف أنه قد يضع نَبْرًا على الصائت الذي يقصده وقد لا يضع، أفلا ترى هذا الفرنسي مستحقًّا أن يقال له، في أدنى احتمال: أغرب عن وجهي أيها السفيه؟!

والحال أن هذا هو الموقف الذي يجد العربي نفسه فيه، وهو يقرأ. يجد نفسه فيه مرّتين أو ثلاثًا في الثانية الواحدة... لولا السياق الذي أشار إليه أبو هلال [قصدتُ شومان لا العسكري]... والسياق يبقى بعيدًا جدًّا عن أن يفي بالغرض... ولولا المشقّة التي يتحمّلها كلّ منّا ظلمًا وعدوانًا في التعليم وفي التعلّم.

٣٠ أيلول

التيّارُ (الكهربائيُّ الذي لا هو وطنيٌّ ولا حرّ) عاد سيرتَه العجفاء بعد يومٍ واحد سمين...

أصغي الآن إلى مُوَلّدنا المدلّل «باسيل» يَجْعُر نَحْوَنا من غرفته في الحديقة: «وين كارولاين؟ وين كارولاين؟»... وكان حقّه، على ما لاحَظَ غيري، أن يسأل: «وين كازولاين؟...»

أسألُ نفسي في بعض الأيام: متى نبيعُه؟

١ تشرين الأوّل

مع شدّة الحاجة إلى الاحتياط والتأنّي في هذا الميدان، يَرْجَح عند المتأمّل في تاريخ المذاهب الإسلامية وعلاقتها بأزمان نشأتها وبيئاتها وبأحوال الجماعات التي نشأت فيها، على اختلاف وجوهها، أن الدين كان يتبع تنوّع الظروف وتحوّلاتها ويخضع لإلزاماتها أكثرَ بكثيرٍ ممّا يُمْليها... وأن الجماعات كانت تطوّعه أكثرَ بكثير ممّا كانت تطيعه.

وقد أورثَ ذلك الإسلامَ توزُّعًا وتناقضاتٍ لا حصرَ لها ولا حدّ وحمَلَه على الأخذ بالأشياء وبأضدادها تَبَعًا للبيئة وللظرف ولموروث الجماعة المعنية. فيَعْتمد ما يناسب هذا كلّه من أحكام، مقدّسًا الشيء وضدّه، ويدخُل في ما يمليه التشتّت والتناقض في هذا كلّه من صراعاتٍ وحروب.

لذا كان خطأً، فيما أرى، تعيينُ المهمّة الرئيسة في مواجهة التشدّد الديني على أنها إفحام المتشدّدين بإظهار سماحة الدين واتّساعه لمسالكَ متغايرة...

تلك مهمّةٌ لها أهلها ولا ريبَ في ضرورة اضطلاعهم بها. ولكن موضعَ الحسم بعيدٌ عن هذه الساحة. إنه في استطلاع الأوضاع الاجتماعية

التاريخية التي تحمل كلّ جماعةٍ من أهل الدين على الأخذ بصيغةٍ بعينها لهذا الأخير وهو في النظر في كيفيّات المعالجة المناسبة لهذه الأوضاع وفي إمكانات البناء على الراسخ منها أيضًا.

ذلك أَوْلى بالنظر والعمل من السعي إلى «إفحام» الجماعات ومن الركون إلى جَدَلٍ قد يحيي قديمًا أو يأتي بجديد ينزل به إلى حَلْبة الصراع العَقَدي... ولكن التبشير بالجديد أو بالقديم لا يلقى غير الرفض عند من لا يساير حاجاتِهم، فضلًا عن أن حسْمَ الصراع، على هذا الصعيد، يبقى، مع توجُّب خَوْضِه، متعذّرًا كلّ التعذّر.

٢ تشرين الأوّل

في الغناء، علّم زياد الرحباني الغناءَ العربي أن يسخر، لا من المجتمع أو من ساسته (فهذا قديم)، بل أن يسخر من نفسه أيضًا وهو يسخر من موضوعه. اتّخَذَت السخريةُ من الغناء مركبًا كلماتٍ وصورًا تعرض خَواءَ لغةِ الغناء السائرة وبُعدَ عباراتِها وصوَرِها عن الصدق. كان في ذلك، على الأرجح، تجاوزٌ لما في الغناء المصري من سخريةٍ تعتمد على أنماط من تتابع القوافي وعلى خفّة في الأبيات واستقاءٍ للعبارات والصور من المأثور وذلك دون مغادرة للموضوع بل مع البقاء على مقربة من الزجَل. لا نقَعُ – على حدّ علمي – في المشهور من الغناء المصري على ازدواج السخرية بحيث تتناول الأغنية وموضوعها معًا. هذا قد يكون اختراعًا زياديًا.

في الغناء أيضًا، جاء زياد بالمزاوجة ما بين القسوة التي تنطوي عليها السخرية حُكْمًا والحنان الأقصى في اللحن وفي توزيعه المعتمد على الآلات المألوفة في الجاز. هذا يشبه الـ«سويت أند ساور» في مجال الطعوم، وهو لذيذ.

في المسرح، أظهر زياد، بكفاءةٍ متفاوتة، مجانبةَ اللبنانيين المعنى وما هم عليه من عجزٍ عن العبارة (أظهره في الغناء أيضًا) ومن أُلْفة لكلّ ما ينبغي أن لا يكون محلًّا للألفة.

هذا كلّه مترعٌ بالسياسة. بالسياسة الكبرى. في السياسة السياسية، قطع زياد الرحباني شوطًا طويلًا من ستالين إلى بوتين وبقي في موضعه أو قل: في موقعه. وكتَبَ، في هذا الباب، مقالاتٍ كان يُستحسن أن تصرِفَه جريدةُ «الأخبار» بسببها من أوّل شهرٍ لولا أن هذه الجريدة تشبه هذا الكاتب: تشبهه بالتفاوت بين أبوابها خصوصًا وبصفاتٍ أخرى...

في السياسة السياسية، هذا الرحباني لا يستحقّ الذكر.

٣ تشرين الأوّل

١- غدًا أوّل أيّام الأضحى بحسب توقّعات المراصد في القرن الماضي وحسابات الفلكيين في القرون الوسطى.

٢- كل عيدٍ وأنتم بخير!

٤ تشرين الأوّل

مين اللي قال:

«ناقصين مـؤذّن وخليفة ونُور ما بين السما والأرض!»؟

موجودين! ييجي ياخدهن!

٥ تشرين الأوّل

توحي «آبل» التي يبدو اسمها وشعارها مستمدَّين من تفّاحةِ آدم وحوّاء

المشهورة أن دالّتَها على الله ستجعله يَتَّخذ الطرازَ المقبل من «آي باد» بديلًا من «اللوح المحفوظ».

٦ تشرين الأوّل

مِن رؤساءِ الدول إلى رؤساء البلديات، ومن مديري الشركات إلى رؤساء الجامعات، يَغْلِبُ أن يتفرّغ للصراع من أجل الوصول إلى موقع القيادة (وقد يلجأون فيه إلى أحطّ الوسائل) مَن هم أقلُّ المجموع كفاءةً في ميدان العمل. الألمعيون في العمل يَقْصُرون جهودَهم، في الأغلب، على مشروعاتهم المِهْنية ولا يُولُون الرُتبة أو الموقع كثيرًا من الاهتمام.

فلا عجَبَ أن نتلفّتَ حَوْلَنا فنرى عالَمًا يَغْلِب بين قادَته تافهون ضيّقو الآفاق ويَكْثُر بينهم الفاسدون السَفَلةُ.

٧ تشرين الأوّل

حين يُنْعِم «أصحابُ الأمرِ والنَهْي» على قضيّةٍ من القضايا بلَقَبِ «القضيّة الكبرى» أو «المركزيّة» يريدون القولَ أحيانًا أنه لا بأْسَ بتَرْكِ أصحابِ القضايا «الأخرى» يموتون ويريدون أحيانًا أخرى دَفْع أصحاب «القضيّة الكبرى» إلى الموت.

... وهو موتٌ يرون له، في الحالَيْن، فائدةً لـ«قضيّتهم» هم ولا يَنْظُرون إلى علاقته بـ«الكبرى» ولا بـ«الأخرى».

٧ تشرين الأوّل

في عالَمٍ يُمَثِّل الحاضرُ مادّتَه الأصيلة، إذ هو يَبتكِر نفْسَه بلا توقّف، لا

يرى المسلمون حاضِرَهم (أي لا يرَوْنَ أنفُسَهم) مصدرًا معتبرًا لشرعيّةِ ما يصنعون أو ما يَقْبَلون ويَرْفُضون.

والتواضعُ صفةٌ محمودة... ولكنّ هذا التخبّطَ الرهيب، بما يُورِثُه من تصايُحٍ وتنابُذ، في استجداء الماضي أحكامًا لحاضرٍ لا شَبَهَ له به وفي ردّ الحاضر إلى ماضٍ لم يتخيّل صورتَه أصلًا إنّما هو مَسْلَكٌ يتعذّر اعتبارُه تواضعًا. بل هو سعيٌ موصوفٌ إلى الانتحار...

٨ تشرين الأوّل

تُوحي المكانةُ التي أصبحَتْ تحتلُّها السياحةُ في اقتصادِ الدُوَلِ أن البشَرَ باتوا يعيشون على تَبادُلِ الزيارات ولُطْفِ التعامل والبراعةِ في الطبخ وتسليةِ بعضِهم البعض...

هذه بشريّةٌ رائعة... ولكن في الصورة عيبًا أوّلَ هو أنها تُخْفي الذين يَزْرعون ما يُطْبَخ والذين يَبْنون الفنادقَ والذين يُنَظّفون المراحيض...

ثمّ إننا نَنْظُر حَوْلَنا، حيثُ نَحْن، فلا نرى لهذا العالم الطيّبِ المِزاج أثَرًا من الصِحّة.

٨ تشرين الأوّل

قَبْلَ قَرْنٍ أو نَحْوِه كان الموظّفُ الدُرْزيّ في حكومةِ جبل لبنان، إذا قَبض مُرَتَّبَه الشهريّ قَصَدَ تاجرًا يَعْرِفه ليَسْتَبْدلَ بما قَبَضَه من أوراقٍ أوراقًا مُعادِلةً لها من صُندوقِ التاجر...

وذاك أن الموظّفَ كان يَعْتَبر مالَ الدولة مالَ غَصْبٍ فلا يَحِلُّ له إنفاقُه على نَفْسه وعِيالِه. وأمّا مالُ التجارة فكان يَعُدّه مالًا حَلالًا.

مضى على أُفولِ هذا التقليد زمنٌ طويل. ومع أن الدولةَ اللبنانية لا تزال، في أيّامنا، مفتوحةَ الشَهيّةِ لنَهْبِ مَن وَجَدَتْهم بلا سَنَدٍ من بينِ رعاياها، فهي قد باتت أَوْلى بأن تُعْتَبَر ضحيّةَ غَصْبٍ جَماعيّ: يأْخُذُ أهلُ السطوة وذوو الحيلة مالَها من كلِّ جانبٍ دون وجهِ حقّ. هذا فيما أصبح التاجرُ كثيرًا ما يأكل حتى مالَ الفاجر.

٩ تشرين الأوّل

إذا شاهدتَ زحامًا أمام وزارة التربية في بيروت فاعلم أنهم شعراء آل المعلوف جاؤوا يريدون الدخول في برنامج البكالوريا.

(منهم: قيصر وشفيق وفوزي ونجيب وجورج وموسى ورياض ورشدي معلوف... والمخفي قد يكون أعظم.)

١٠ تشرين الأوّل

(هذه سطورٌ علّقتها على مقالة ياسين الحاج صالح المهمّة: «تقاطعٌ تاريخي: تشيّع السنّة وتسنّن الشيعة»، وقد أعدتُ نشرَها على صفحتي ليَطَّلع عليها من أرادَ من المُتَصفّحين.)

جديدُ المرحلة هو أن السُنّي والشيعي أخذ كلّ منهما يعي نَفْسَه، لا على أنه مُنْتَمٍ إلى منظومةٍ عَقَدية وشعائرية بعينها، بل على أنه منتمٍ إلى جماعة مترامية الأطراف يَنْظُر إليها على أنها وَحْدةٌ جوهرية، بما في ذلك لِجِهَة الوجود السياسي... ويرى أن خطوطَ الانقسام التي تتخلّلها إنما هي خطوط طارئة: وُجودُها سلبي فيجب السعيُ إلى إزالتها ويمكن التصرّفُ كما لو انها غير موجودة. فكرُ «وَحْدة الجماعة» هذا وتعريفُها بالتضادّ مع مُقابِلها الأقرب هو فكرُ حربٍ ولا يمكن أن يبنى عليه

مجتمعٌ متّزن في السياسة وقابلٌ للنموّ. صحيح، من جهة أخرى، أن إيران السياسية ومعها أشياعها تبدي مرونةً كبيرة في سياسة علاقاتها ببعض السُنّة وبالعالَم، على التعميم. ولكن الواقعة الأهمّ هي أن السياسة العقدية للتشيع الإيراني، بقربها مما يسمّى «الغلوّ» الشيعي تاريخيًا، قامت، منذ الثورة، على قطع الجسور، في المجالين الاعتقادي والسلوكي الشعائري، مع الإسلام السُنّي. فهي، من جهةِ إيغالِها في خصوصيةٍ قُصْوى للتشيع، مقابلٌ أمينٌ، للتكفير السنّي. وما تقرُّبها من بعض السنّة إلا كمُداراتِها غيرَهم: هو سياسةُ دولةٍ لا شكَّ في رسوخها ونظامٍ لا شكَّ في اقتداره ولكنه مسعىً «عمليّ» بحت، لا يشي بتقارب عَقَدي ويبقى قابلًا للتقلّب كما تكون السياسةُ عادةً.

١٠ تشرين الأوّل

الدينُ أيضًا شأنٌ خطير... فلا يجوز تَرْكُه لرِجالِ الدين.

١٠ تشرين الأوّل

نأخذ على هذه أو تلك من تشكيلات الإسلام السياسي أن جُعْبَتَها خاليةٌ من الحلول لمشكلات العصر...

لعلّ علينا الانتباه إلى أن هؤلاء السادةَ يسعون إلى تغيير العصر نفسه لا إلى معالجة مشكلاته.

١١ تشرين الأوّل

تُلاحَظُ على الفيسبوك، هذه الأيام، حالةُ إفراطٍ في العشق.

هذا يعشق شيخًا والأخرى تعشق إمامًا والثالث يعشق سياسيًا

والرابعة تعشق الشهادة، وتَنْشأُ صفحاتٌ جماعية لعشّاقِ هذا الرئيسِ أو ذاك الزعيم، إلخ.، إلخ...

أبحثُ فلا أجد عشقًا تبقّى لشريكة الحياة أو لشريكها.

١١ تشرين الأوّل

حين تَصِل بنا العَجَلةُ إلى تسميةِ العنف الواقع على النساء «VAW»، هل يبقى ممكنًا الشعور به أو التضامن مع ضحاياه؟

١١ تشرين الأوّل

مارك توين إن فَسْبَك:

«ليست التجاعيدُ سوى إشاراتٍ إلى حيثُ كانت البَسمات.»

١١ تشرين الأوّل

مارك توين إن فَسْبَكَ:

«يسَعُ الكذبةَ أن تدور نصفَ دورةٍ حول العالَم فيما الحقيقةُ تحاول انتعالَ حذائها.»

١١ تشرين الأوّل

لا يستطيع الدينُ أن يحيطَ بالمجتمع. لا يستطيع أن يختصرَ المجتمعَ ويردّه إليه. المجتمع يفيض عن الدين من كلّ جانب: يطيعُ الدينَ ويعصيه، يطرحُ كلّ يومٍ مشكلاتٍ لم يفطنْ إليها الدينُ ويجد كلّ يومٍ حلولًا لم تخطر للدين ببال ويقول أقوالًا ويرتجل أفعالًا لا حُكْمَ للدين فيها أو عليها وإن زعمَ الدينُ خلافَ ذلك. يَجْهَد الدين للّحاق بالمجتمع، لمحاصرته وضبطه،

ولا يُفْلِح في ذلك. وقد يناورُ الدينُ ويعيدُ اختراعَ نفسه، زاعمًا أنه كان على الدوام غيْرَ ما كانه فعلًا استباقًا لمقبوليته في المجتمع ولنصيبه من سياسته. وقد يكفّ الدينُ، بخلافِ ذلك، عن المساومة وعن قبول عجزه وجزئية سلطانه... حين يحصُل هذا الأمر الأخير، حين يحزِم الدينُ أمرَه على حبس المجتمع بأسْرِه، ببَشَرِه جميعًا وبوجوه حياته كلّها، في قمقم أحكامه، حين يصمّم الدين على إسقاط السماء على الأرض، تبدأ المذبحة.

١٢ تشرين الأوّل

[مُنَح الصلح!]

هي أيّامٌ لم يَبْقَ فيها للصلح مطرح!

وداعًا أيّها البكُ الأنيس!

١٤ تشرين الأوّل

كُنّا نحسَبُ أننا نُحْرِجِ «داعش» وأَضرابَها حين نَقْترح عليهم إحياءَ نظامِ الرقّ ما داموا يُجيزون كلّ ما أجازَه السَلَف.

سُرْعانَ ما أَثْبتوا لنا أنّهم لا يَجِدون حَرَجًا في الأمر على الإطلاق... بل إنّ شهيّتَهم بدَت مفتوحةً لاقتناء الجواري والعبيد أو للتجارة بهم فأَقْبَلوا على ذلك كلّه بلَهْفةٍ شديدة.

ليس في يدنا ما نُحْرِجُ به هؤلاء، على ما يظهر. هَيِّنٌ عليهِم أن يَسْبُقوا أَقْبَحَ ما يَسعُ مخيّلتَنا أن تَصِلَ إليه.

١٥ تشرين الأوّل

أوضَحَ كيري للسيسي أن «المجتمع المدني» مهمٌّ جدًّا!

هذا الكيري لا يُخيّب أمَلي فيه. اكتشفَها وحْدَه دون حاجةٍ إلى استشارتي.

لو استشارني لنصحتُه بأن لا يكلّفَ نفْسَه إيضاحَ أهمّية «المجتمع العسكري» للسيسي.

فهذه سبقَ أن اكتشفَها السيسي وحْدَه دون حاجةٍ إلى كيري.

١٦ تشرين الأوّل

بلا فصلٍ بين النقيض ونقيضه، يُطْلَب إلى أميركا أن تحارب التكفيريين وتلامُ لأنها تحاربهم وتلامُ على مسؤوليتها في ظهورهم وتلامُ لأنها لا تحاربهم بما فيه الكفاية وتُلام لأنها تحاربهم بأسلوبٍ يلائمها ولا يلائم خصومَها وتُلام لأنها تحاربهم ولا تحارب غيرَهم... ويُفْتَخَر بإنزال هزيمتين بأميركا في بضع سنواتٍ بأيدي قوىً أضعف بكثير من الدولة العظمى ويندَّد بالذين أنزلوا بها الهزيمتين ويُشادُ بالذين ساندوهم وسَهَّلوا أمورَهم ويُواصَل التنديد بأميركا باعتبارها مسؤولةً عن كلّ أذيّةٍ أو هزيمةٍ تَلْحق بأعدائها (أي بنا) ويُفْترَض أن الهزائمَ التي تَلْحَق بأميركا لا تَدُلّ على شيءٍ بشأنِ قدرة أميركا على الأذى وأن أميركا تكذب حين تزعم أن القيود المفروضة عليها من جرّاء أَزْمتها وهزائمها قد حدّت من قدرتها على الحركة... وهذه حركةٌ يريد خصومُ أميركا شَلَّها ولكنهم يبوحون بحاجتهم إليها بين حينٍ وآخر.

من جهتي، أتمنّى لأميركا هزيمةً مزلزلة من النوع الذي لا يمكن التقليلُ من مفاعيله ولا الزعْمُ أن قائمةَ المُصابِ به يمكن أن تقومَ بَعْدَه... أتمنّاها لا لشيءٍ إلا لتوقُّعي أن يُصاب القاطنون بين المحيط والخليج (بل وأبعد) بانهيارٍ عصبيّ شامل بعدها: ينهارون لأن انكسارَ العدوّ

وانسحابَه أجْبَرَهم على مشاهدةِ وجوههم في المرآة المرعبة التي كان هذا العدوّ الفتّانُ يُخْفيها بقامَتِه.

١٧ تشرين الأوّل

لا أحبّذ المقارنة بين الفظائع. فكثيرًا ما تبدو المقارنة تلطيفًا لواحدةٍ بالأخرى. ولكن أستعيد استثناءً مقالة نشرتها نيوزويك تتناول قطع الرؤوس في السعودية، وذلك للفتها الانتباه تفصيلًا إلى موضوع رهيب قلّما يحظى بهذه العناية.

١٨ تشرين الأوّل

يُمضي أكثرُ الناسِ أعمارَهم وهم يلتمسون لربّهم الأعذار: «لَهُ في ما يصيبنا حكمةٌ»... «يَبْتَلينا»... «سيَجْزينا خيرًا بما صَبَرْنا»...، إلخ.

هذا فيما هم يجدون مشقّةً في مسامحةِ بعضهم البعض على ذنوبٍ كثيرًا ما تكون طفيفة.

الإنسانُ غفورٌ لمن لا يحتاج إلى غفرانه.

١٩ تشرين الأوّل

هل يُعتبر التعذيبُ بنارِ جهنّم مخالفًا لإعلان حقوق الإنسان وللتشريعات الدولية ذاتِ الصِلة؟ وكيف السبيلُ إلى وقْفِه إذا كان ذلك كذلك؟

٢٠ تشرين الأوّل

كلّما قرأتُ في نعيٍ أن فلانًا «انتَقَل إلى الرفيق الأعلى» تخيّلتُه يقضي الحياةَ الأبدية بصحبةِ ستالين أو خالد بكداش وأسفتُ أن يكون نصيبَه هذا العذابُ وعزّيتُ نفسي بأنّه سرعانَ ما يموتُ ضَجَرًا.

٢١ تشرين الأوّل

عنوانٌ في الجريدة:

«عشراتُ القتلى في المعارك الضارية... والجيشُ على الحياد في مختلف المحافظات: القبائلُ اليمنية منقسمة بين «القاعدة» و«الحوثيين».

هذا يُشْبِهُ قولَك: الشعبُ يريد إسقاطَ المستقبل!

٢٢ تشرين الأوّل

فسبوكيٌّ يعرّف وضعَه المِهْنيّ بأنه: «رَبُّ عملِ نفْسِه بدوامٍ جزئيّ».

هذا الفسبوكيُّ «ظريفٌ بدوامٍ كامل».

٢٣ تشرين الأوّل

مارك توين إن فَسْبَك:

«الأخبارُ المتعلّقة بوفاتي كانت مُبالَغًا فيها جدًّا»!

٢٣ تشرين الأوّل

مارك توين إن فَسْبَك:

«إذهَبْ إلى الجنّة من أجلِ الطَقْس وإلى جهنّم من أجلِ الصُحْبة»!

٢٥ تشرين الأوّل

يا رأسُ يا ذا الصَلْعةِ الدَهْريّهْ تُشْبِهُ رأسَ السنةِ الهجريّهْ!

(من قديم ناجي بيضون)

كلّ عامٍ وأنتم بخيرٍ، على كلّ حال!

٢٦ تشرين الأوّل

... ونادى المنادي عن المئذنة للاحتفال ببدءِ عاشوراء. فافتَتَح نداءَه بالمأثور: «إنّ الحسينَ مصباحُ الهُدى وسفينةُ النجاة»...

فما كان منه إلّا أن نَصَبَ اسمَ «إنّ» ونَصَبَ معه خَبَرَيْها الاثنين.

وهذا مع أنّ العامّيةَ طوعُ بنانِه وكان له أن يتّخذَها جَمَلًا...

قلتُ: يا لثاراتِ الحسين... وثاراتِ أبيه أيضًا!

٢٦ تشرين الأوّل

يُشْبِهُ تركُ جماعةِ الحوثيين اليمنيّين مذهبَهم الزيدي واعتناقُهم التشيّعَ الإثني عَشَري ما كان يُحكى في الخمسينات والستّينات من القرن الماضي عن مِنْطقة الكورة اللبنانية: من خروجِ عائلةٍ بأسْرِها من الحزب السوري القومي لتَدْخل الحزبَ الشيوعي وخروجِ العائلة المنافسة برمّتها من الحزب الثاني لتدخل الأوّلَ... وذلك بحسب مقتضى الأحلاف الانتخابية.

لعلّ دخولَ الناسِ أفواجًا في هذا المذهب أو ذاك من مذاهب الأديان كان، في مَدى التاريخ، يستجيبُ عادةً لهذا النوع من الاعتبارات... وهذا قَبْلَ أن يصبح المذهبُ «عقيدةً» مقدّسة يعيشُ الناسُ بها ويموتون في سبيلها.

٢٨ تشرين الأوّل

القيمةُ الماثلة في أصلِ العَلْمانية هي حرّيةُ الضمير. ففَصْلُ الكنيسةِ (أو ما يُعادِلها) عن الدولةِ مُؤدّاه أن لا تُعارَ ذراعُ الدولة، بأيّةِ حالٍ، لمن يزْعُم لنفْسِه الحقَّ في فَحْصِ الضمائر وتعيينِ ما هو خَيْرٌ فيها وما هو شَرّ.

على هذا تبدو نِسبةُ العَلْمانية إلى أَمْثالِ صدّام حسين وآلِ الأسد باعثةً على قهقهةٍ تبلُغ عَنانَ السماء.

٢٨ تشرين الأوّل

أصبحَ يكفي للحصولِ على شيخٍ لبناني عِمامةٌ مستديرة ومربّعٌ أَمْنيّ.

٢٩ تشرين الأوّل

تسمّي العربيةُ الذكَرَ ذكَرًا وتسمّي قضيبَه ذكَرًا أيضًا وتسمّي خِصْيتَيه «الأُنْثَيَين». أي أن اللغةَ تَختَصِر الأكبرَ في الأصغرِ، وهذا أوّلًا. وهي تؤسّس للأفضليّة التي صرّحَت بها الآيةُ «للذكَرِ مِثْلُ حظِّ الأُنْثَيَينِ» وهذا أخيرًا لا آخِرًا. وهذه أفضليّةٌ تتعدّى الدنيا إلى الآخرة حيث يَجْعل الاجتهاد السائدُ للذُكور مِيزَةً في مُتْعَةَ الفَرْجِ هناك على الإناث.

فمن احتسَبَ لنفْسِه من الذُكور أفضليّةً على أنثىً من الإناث فليذكُرْ ما اختَصَرَتْهُ به اللغةُ قَبْلَ أن تَمْنَحه هذه الأفضليّة: اللغةُ التي هي وعاءُ الدين ومرآةُ الحضارة!

٣٠ تشرين الأوّل

أَعْجَبُ كثيرًا من صَبْرِ اللبنانيين على التأخيرِ والغموضِ في موضوعٍ مصيريٍّ إلى هذا الحدّ...

الغازُ عنْدَنا ألغازٌ.

٣١ تشرين الأوّل

قبْلَ ثلاثينَ سنةً من هذه الأيّام أصدرتُ كتبي الأربعةَ الأولى. أربعة

كتبٍ صدرَت في أشهرٍ قليلة عن ثلاثة ناشرين ولم يكن أيٌّ منها يشبه الأخريات: مجموعةٌ شعرية ومجموعُ مقالاتٍ نقدية ورسالةُ دكتوراه (صدرَت بالفرنسية أوّلًا وبالعربية بعدَ سنوات) وسيناريو لفيلمٍ روائيّ كان قد أخرجَه العزيز برهان علوية. سمعتُ لومًا على هذا الدفْقِ المفاجئ. قيل لي إن هذه الكتب يَمْنع بعضُها بعضًا من الاستقرار في محلٍّ لكلٍّ منها في السوق وفي دوائر انتباه النقّاد وجمهور القرّاء. ولكن الأمْرَ حصَلَ اتّفاقًا تقريبًا بفعل الفارق بين الناشرين في سرعة الإصدار.

إذ ذاكَ كان قد مضى عليّ عشرونَ سنةً وأنا أكتُبُ وأنشُرُ. وكانت الكتُب ثمراتِ العَشْرِ الثانية منها. وأمّا العَشْرُ الأولى فكنت لا أوقّعُ ما كتبْتُه فيها أو أوقّعُه بأسماءٍ مستعارة. من أسمائي المستعارة «عبّاس بزّي» في مجلّتَيْ «دراسات عربية» و«مواقف» و«محمّد العبد» في مجلّة «الحرّية» و«أحمد الجُبَيْلي» في مجلّة «البلاغ».

في أوائل الحرب، شعرنا أنه باتَ علينا أن نوقّع بأسمائنا ما نكْتُبُه متحمّلين المسؤوليةَ التامّة عنه. لم يكن في الأمر شجاعةٌ مستجَدّة بل إفادةٌ من انحسارِ هيبةِ الدولة ومن استنكافها عن فرْضِ «الإذْنِ المُسبق» على الكُتّاب من موظّفيها، وكنّا من بين هؤلاء.

هي إذن ثلاثون وعشْرٌ وعشْرٌ أي خمسون سنة أمضيتها في هذه الصناعة... وكانت هي صناعتي التي فاقت مكانتُها في حياتي مكانةَ أيّةِ صناعةٍ أخرى زاوَلْتُها: التعليم خصوصًا.

خمسونَ سنةً من الصبْرِ على هذا المَرَض والتمتّعِ بنَوْباتٍ له أصبحَتْ لا تُحصى. يا للفظاعة!

١ تشرين الثاني

في مقالةٍ جديدة له، يذكّر المستعربُ الفرنسي هنري لورنس بتعريفِ كلود ليفي ستروس للحضارة الغربية بكمّية الطاقة المنتجة لكلّ رأسٍ من السكّان.

إذا صحّ هذا فمعناه أن التضاؤلَ المستمرّ للطاقة المنتجة في لبنان يزيدنا بُعدًا كلّ يومٍ عن تُهمة الانتماء إلى الحضارة الغربية ناهيكَ بتُهمة العمالة للغرب... وأننا لن نُعتِّمَ (قلتَ: «لن نعتّم»؟) أن نبلُغ جوهَرَنا المطلَق، إسلاميًّا كانَ أم عربيّاً أم غيرَ ذلك، حين نغرق في العتمة الأبدية.

٢ تشرين الثاني

بعدَ مسلسَل الأوبئة الذي لم يكن أوّلَه النظامُ الأسدي وداعش وإيبولا ولن تكونَ آخِرَه المخدِّراتُ الرقمية:

أصبح العثورُ على كوكبٍ آخر يصلُحُ للسَكَن البشري حاجةً ملحّة للإنسانية.

٢ تشرين الثاني

مركز الفتوى في قَطَر أصدر فتوى موضوعها «الزواج من الرسوم المتحرّكة في الجنّة».

سبقَ أن أفْتَيْتُ لكم بأن قلّة الفتوى خيرٌ من كَثْرَتِها.

٣ تشرين الثاني

لعابرِ السبيل، يبدو المطرُ في باريس - وإن يكن متوقّعًا - صدًّا وجفاء، بل وعَجْرَفَةً أيضًا.

إن لم تُصْلحي هندامَ سمائكِ بسرعة... ورأَيْتِني أفْتَحُ حديثَ الاستعمارِ وعنصريةِ البِيض... لا تلومي إلّا نفسَكِ!

٥ تشرين الثاني

تَدينُ قوى الطوائف السياسية في لبنان بمعظم أهمّيتها (وبمواردها أيضًا) لتسليمها بسَوْقِ البلاد إلى الخراب كلّما فَرَضت ذلك أوامرُ رُعاتِها الخارجيين. فإذا أقلعَت تلك القوى عن هذا التسليم ضعُفَت كثيرًا وهبطَت قيمتُها في السوق إلى مستوىً لا تطيقه. وتزداد هذه القوى أهمّيةً وقوّةً كلّما تصاعد التوتّرُ بينها تبَعًا لتَصاعُدِه بين آمريها وأصبح يُنْذِر بتفكيك البلاد. لذا كان في وقوف لبنان على حافّة الخراب أو في خرابه فعلًا مصلحةٌ رئيسة للقوى السياسية فيه أو لأهمّها على الأقلّ.

عَجَبي!

٦ تشرين الثاني

زعموا أن كلّ ما تريده إيران من الوصول إلى باب المَنْدِب هو أن تسمّيه باب المَنْدَبة.

٩ تشرين الثاني

لعلّي طرقتُ هذا الموضوع في ما مضى وَلَكِنْ أرى التكرارَ ههنا لا يخلو من فائدة.

ليس بعيدًا عن الصواب الاعتقادُ أن شيئًا يشبه الصيغة اللبنانية، إلى هذا الحدّ أو ذاك، يَلُوحُ في آفاقِ مجتمعاتٍ عربية انتقلت من حركاتٍ

للتغيير إلى مساراتٍ نحو التفكّك. ولكن هذا الاحتمالَ يبقى - بخلافِ ما يراه لبنانيون فاتَهُم أن صيغتَهم دخلَتْ، من بضع سنواتٍ على الأقلّ، طورَ الموت السريري - أبعدَ الأشياء عن صفةِ المَخْرج العبقري الذي كان قد خَفِيَ، حتى الآن، عن فطنةِ المجتمعات المعنية. فهو أَوْلى بأن يُعتَبَرَ محطّةً أخرى تتّجه نحوَها مجتمعاتٌ أَفْلَتَ منها زِمامُ أمورها وراحت تزداد توَغُّلاً في مَتاهةِ بؤسِها المتمادي.

١٠ تشرين الثاني

يُقالُ «خَطَأٌ فاحشٌ» ويُقالُ «ثَراءٌ فاحشٌ» ويوصَف الزِنى بـ«الفاحشة». والفواحشُ، على العُموم، قبائحُ الأفعال والأقوال. غير أن أَجْدَرَ القبائحِ بهذا الوصف - في ما نُشاهِدُ ونَخْتَبِر - بعضُ أنواعِ التديُّنِ وأساليبِ ممارَستِه.

... وهذا مع أنّ المُرْتَكِبين لا يُهْمِلونَ التذكيرَ يومًا بأنّ الله «يَنْهى عن الفَحْشاءِ والمُنْكَرِ والبَغْي»..

١٢ تشرين الثاني

يتحوّلُ معظمُ الناس من ذوي العقيدة والالتزام مرّتين أو ثلاثًا في مدى حياتهم إلى عقيدةٍ والتزامٍ آخرَيْن. إلى غير ما كانوا عليه أو - في كثيرٍ من الحالات - إلى نقيضه. ويكون هذا التحوّلُ أقربَ إلى الضرورة التي تفرضها مستجدّاتٌ تاريخية تصعب معاندتُها منه إلى الاختيار العقليّ الحرّ.

ولكن كثيرين ينسون ما كانوا عليه فورَ تحوّلهم عنه. فيباشرون التزامَهم الجديد بالتعصّب نفسه الذي كانوا عليه للسابق أو بأزْيَدَ منه. وقلّما يطرحُ واحدُهم على نفسه السؤالَ الذي يقتضيه تغيّرُ الحال: هل

يستوجب هذا التشنّجَ كلَّه موقفٌ كنتُ أراه غلطًا في غلطٍ قبلَ سنتين وسأراه غلطًا في غلطٍ، على الأرجح، بعدَ خمسِ سنوات؟

أرانا لا نتعلّم الرويّةَ من تجاربنا!

#روقوا–علينا–شويّ

١٢ تشرين الثاني

أَقْرأُ أن البَشَرَ والجُرْذانَ هما الوحيدانِ، من بينِ الأجناسِ الحيّة، اللذانِ يُقْدِمُ الفردُ منهما على قَتْلِ فَرْدٍ من جِنْسه.

... قد يَنْفعُ إطلاقُ حَمْلةٍ على هَمَجيّةِ الجُرْذان.

١٣ تشرين الثاني

ليس المطبخُ اللبناني، العالميُّ الشهرة، سبيلًا وحيدًا إلى عَوْلَمة أَكْلِ الخَراء. فإن بعض الأشخاص من كلّ لونٍ ودينٍ يَعْتَمِدون أَكْلَ الخراء هذا مصدرًا للّذة الجنسية. ولهذا المَيْل اسمٌ علميّ هو الكوبروفاجيا Coprophagie...

على صعيد العلاقة الوطنية، يُفْتَرض أن يكون الخراءُ خراءَ الشريك كما هي الحال في العلاقة الجنسية. والترجمةُ اللبنانية لذلك أن يكون الخراءُ خراءَ طائفةٍ أخرى (بضَمّ الهمزة أو بفَتْحها). ومعلومٌ أن هذا الشرطَ لا يسهُل تحقيقُه دائمًا إذ يُدعى اللبناني إلى أَكْلِ خراءِ طائفته بالأفضلية.

في كلّ حال، نحن ندينُ لتجّار الأطعمة عندنا بما هو مصدرٌ للّذة وله اسمٌ علمي! هو شيءٌ معتبرٌ إذن يُغْري المَيْلُ اللبناني إلى التباهي بتَعاطيه. هذا ما غفل عنه الوزير بو فاعور حين ظَنّ أنه يكشف فسادًا.

التَذُّوا يا لبنانيّي!

١٧ تشرين الثاني

يعاني الإمامُ عليٌّ بنُ أبي طالبٍ موجةَ تزويرٍ مكشوفة أبطالُها بعضُ من يَزْعُمون الولاءَ له. يتطفّلُ عليه هؤلاء بأقوالٍ يَنْسبونها إليه فاقعةِ الرَكاكة، بعيدةٍ عن بلَاغته ولُغَةِ عصره، وغيرِ خاليةٍ أحيانًا من الأخطاء اللُغوية.

هذه الأقوالُ التي تُناسِبُ أغراضَ واضعِيها وتُوافقُ شعاراتِهم يجري إخراجُها في صورةِ «بطاقاتٍ» ونشرُها على الشبَكات الاجتماعية: ينشُرُها المزوّرُ ثم يَعْتمدُها الجاهلُ فيتعزّزُ التزويرُ بالجهل.

تسَهّل لنا هذه القباحةُ التي تنمو تحتَ أبصارِنا ولا تَخْفى على ذي خبرةٍ إدراكَ ما جَرى للحديث النَبوي في عصرِ تدوينِه. رُبَّ ضارّةٍ نافعة!

١٨ تشرين الثاني

حقًّا إن المؤقّتَ في لبنان أمْرُه عَجَبٌ وإنه لا يدوم غيرُه! دَعْ جانبًا المادّة ٩٥ من الدستور وطائفيتها «المؤقّتة». من ينتبِه اليومَ إلى أن اليونيفل تُدْعى «قوّة الأمم المتحدة المؤقّتة في لبنان»؟ تجاوزَت هذه القوّةُ المؤقّتة سنتَها السادسةَ والثلاثين واللبنانيون يدْعُون لها بطولِ العمر.

١٩ تشرين الثاني

بيننا من تتقدّم حاجتُه النفسية إلى الاستعمار والإمبريالية على حاجتِه إلى الماء والهواء. ومع أنه يَهْزم الاستعمارَ والإمبريالية بين حينٍ وحينٍ ويَحْتفل بهزيمتهما مطوّلًا فهو يَعْجز عن التسليم بحدٍّ لجبَروتهما. يَعْجز عن التسليم بعَجْزِهما عن ارتكابِ بعضِ الشُرور الحاصلة وإن يكونا

راغبَيْن في ارتكابِ الشُرورِ كلِّها: ما حصلَ منها وما هو ممْكنُ الحصول. فالشُرور التي لا يَرْتكبها الاستعمارُ والإمبريالية تصبحُ يتيمةً ويثير يُتْمُها هلَعَ صاحبِنا إذ يُعْجِزُه عن نِسْبَتها إلى صاحب. ومع ظهورِ علاماتِ الهزيمة والعياء، في غير موضعٍ من العالَم، على الاستعمار والإمبريالية، وفي ديارِهما نَفْسها، يأبى صاحبُنا أن يجد لهما في العجز عذرًا ويزاوجُ بعنادٍ ما بيْنَ اعتبارِهما كلّيَي القدرة واعتبارِهما موعودَيْن بالهزيمة دائمًا.

صاحبُنا هذا يصابُ بانهيارٍ عَصَبيّ إذا ظَهَر شرٌّ في العالم وثَبت بالبرهانِ القاطع أن الاستعمارَ والإمبريالية أعجزُ من أن يكونا قد ارْتكباه. صاحبُنا هذا يتداعى عالَمُه فوقَ رأسِه (أو في رأسِه، بالأحرى) إذا اخْتَفى الاستعمارُ والإمبريالية عن سطح الكرة.

٢٠ تشرين الثاني

«الإسلامُ دينُ الرحمة»، «الإسلامُ دينُ الوَسَطية»، «الإسلام دينُ الاعتدال»، «الإسلام دينُ السماحة»... في الظرف الراهن، أصبح هذا الكلام كلامَ المفلسين من الإسلاميين.

الجدالُ الحقُّ هو أن تجابِهَ أسانيدَ الخصمِ نفْسَها قبْلَ أن تتخلّصَ إلى غيرها ممّا يخالفها.

لذا وجَبَ القولُ أن كلَّ كلامٍ إسلاميّ حاليّ لا يَجْبَه الآياتِ والأحاديثَ والأخبارَ التي تنهض عليها السَلَفيةُ الجهادية: آيةً آيةً وحديثًا حديثًا وخبرًا خبرًا، إنّما هو كلامٌ لا يعوّلُ عليه. هذا إن لم نَقُلْ أنه، بميوعته وببّغاويّته، يزكّي الهمجيةَ الجهادية ويعزّز مواقعَها ويُسند دعواها أنها هي الإسلام...

٢٢ تشرين الثاني

من الأخطاء الشائعة الذائعة أن تُكسر همزة «إن» دائمًا بعد فعل القول. والصواب أن هذه الهمزة تكسر حين تبدأ بها «حكايةُ القول». ومعنى «حكاية القول» أن يُروى القول بلفظه عن قائله بحيث يصحّ التقدير أنه محكيٌّ بضمير المتكلم لا بضمير الغائب ولا بضمير المخاطَب. ففي قولك: «قال زيدٌ: إني راحلٌ عنكم» عليك أن تكسر همزة «إن». وأما في قولك: «يقول زيدٌ أنه راحلٌ عنّا» فعليك أن تفتح الهمزة.

والفارق بين الحالتين أن «إن» ابتدائية ترِد في افتتاح الكلام في الحالة الأولى بينما ترد أن في حَشْوِهِ في الحالة الثانية. وذاك أن أصلَ القاعدة هو أن تُكسر همزةُ «إن» الابتدائية. وأما فعل القول فلا ميزةَ له عن غيره من الأفعال التي تفتح الهمزةُ حين تكون الجملةُ مفعولًا لها سوى أن «إن» تكون ابتدائية بعده، في حالاتٍ، ولا تكون ابتدائيةً في حالات أخرى.

... هذا وقد أردتُ من فتح هذا الموضوع في هذا الصباح تزويدكم سببًا جديدًا للهجرة من بلاد العرب ومن لسانهم. فاحزموا الحقائبَ والألسنة!

٢٢ تشرين الثاني

لعن الله الشيطان: نسينا الاستقلال!!! أمْ هو الذي نسينا؟؟؟

٢٣ تشرين الثاني

للذين طلبوا مرجعًا للكلام الذي نشرته أمس في موضوع «همزة ان بعد فعل القول» أقول إن المراجع كثيرة. فأمّهات كتب اللغة تعرّج على نحوٍ أو آخر على هذه المسألة. وقد اخترتُ أن أنشر لكم نصين: واحدًا صعب القراءة على غير المختصين وهو من كتاب «شرح شذور الذهب

في معرفة كلام العرب» للإمام ابن هشام الأنصاري وهو يجمل أحكام همزة ان كلّها ويعنينا منه الحالة «السابعة» في القسم الأول المتعلق بالكسر والحالة «الثالثة» في القسم الثالث المتعلق بجواز الوجهين.

والنص الثاني «مدرسي»، سهل الفهم، تستعيده مواقع عدّة على الشبكة وهو يحيط بالمسألة إحاطةً تامة.

ومِحْوَرُ المسألة كلّها - في رأيي - مفهومُ «حكاية القول». وتكفي «غوغلة» هذه العبارة أو «غوغلة» عبارة «همزة ان بعد فعل القول» للعثور على تعريفات عدّة لا خلاف بينها لهذا المفهوم.

وزبدة القول أن كلامي الذي أثار بعض الدهشة أمس كلام لا جديد فيه سوى جهد التأويل. وأما القاعدة نفسها فمنتشرةٌ في القديم والحديث من كتب اللغة التي يبدو أن قراءها جدّ قلائل.

[يلي النصّان].

٢٣ تشرين الثاني

... وهذا كلام الفرّاء في همزة «انّ» بعد فعل القول ينقله ابن منظور في «لسان العرب»، مادّة «أ ن ن»:

وقال الفراء في إنَّ: إذا جاءت بعد القول وما تصرَّف من القول وكانت حكايةً لم يَقَعْ عليها القولُ وما تصرَّف منه فهي مكسورة، وإن كانت تفسيرًا للقول نَصَبْتَها وذلك مثل قول الله عز وجل: ولا يَحْزُنْك قولُهم إن العِزَّة لله جميعًا؛ وكذلك المعنى استئنافٌ كأنه قال: يا محمد إن العزَّة لله جميعًا، وكذلك: وقوْلِهم إنَّا قَتَلْنا المسيحَ عيسى بن مَريَمَ، كسَرْتَها لأَنها بعد القول على الحكاية، قال: وأَما قوله تعالى: ما قلتُ لهم إلا ما أَمَرْتَني به أَنِ اعْبُدوا الله فإنك فتحْتَ الأَلفَ لأَنها مفسِّرة لِمَا

وما قد وقع عليها القولُ فنصبَها وموضعُها نصبٌ، ومثله في الكلام: قد قلتُ لك كلامًا حسَنًا أَنَّ أَباكَ شريفٌ وأَنك عاقلٌ، فتحتَ أَنَّ لأَنها فسَّرت الكلام والكلامُ منصوبٌ، ولو أَرَدْتَ تكريرَ القول عليها كسَرْتَها، قال: وقد تكون إنَّ بعد القول مفتوحةً إذا كان القول يُرافِعُها، منْ ذلك أَن تقول: قولُ عبد الله مُذُ اليومِ أَن الناس خارجون، كما تقول: قولُكَ مُذ اليومِ كلامٌ لا يُفْهم.

٢٤ تشرين الثاني

أوقفَتْني مُصادَفَةٌ جميلة من مصادفات القراءة على سابقةٍ رومانيّةٍ شِبْهِ حَرْفيّة لقَوْلَةِ امرئ القيس المشهورة حين بلغه، وهو عاكفٌ على الشَراب، مقتلُ أبيه: «اليومَ خمرٌ وغدًا أمرٌ».

جاء في أنشودةٍ من أناشيد الشاعر اللاتيني الأَبيقوري هوراسيوس: «أيّها الأماجدُ! أيّها المحاربون الذين عرَفْتُم معي أحْلَكَ الأوقات! دعوا الخَمْرَ تُنْسيكم هُمومَكم مُدّةَ هذه العَشيّة. غدًا نَسْتأنف حراثةَ البحر الشاسع!».

يُذْكَر أن هوراسيوس من شُعَراء القَرْنِ الأوّل قبل الميلاد وأن امرأَ القيس من شعراء القرن السادس الميلادي.

٢٦ تشرين الثاني

عبارةُ هرقليطس الموجِعة: «كلّ شيءٍ يجري ولا شيءَ يمكُث. إنّكَ لن تستحمّ في النهر نفْسِه مرّتين»... لها موافقاتٌ كثيرة في الشعر العربي لا تقلّ عنها إيلامًا. من ذلك قول النابغة:

فعَدِّ عمّا ترى إذ لا ارتجاعَ له   وانْمِ القُتودَ على عَيْرانةٍ أُجُدِ

وقولُ أبي الطيّب، بعد قُرون:

فلا يُديمُ سرورٌ ما سُرِرْتَ بهِ   ولا يرُدُّ عليكَ الفائتَ الحَزنُ.

كان حسُّ الزوال، وهو الشرْطُ الأعمقُ لاعتبارِ التاريخ والاعتبارِ به، قويًّا عند هؤلاء العرب تعزّزه غَلَبة مُثُل البداوةِ والصحراء حيثُ لا تَثْبُت الأشياءُ ولا البَشر. غيرَ أنّهم واجهوا الزوالَ، لا بتغليبِ بناءِ الدنيا وعمران الفردِ والجماعة، بل بالبحث عن الخُلود، أوّلًا، في أنسابٍ تَضْرِب في القِدَم حتى آدم ثمّ بطلَبِ الخلود في الآخرة والانصرافِ إلى ما يقتضيه من «أعمال».

عن هذه الخُطّة شَذّ نفرٌ منهم لعلّ أميرَهم المتنبّي. من ذلك قولُه:

ما بقَوْمي شَرُفْتُ بل شَرُفوا بي   وبنَفْسي فَخَرْتُ لا بجُدودي

وقولُه:

... وترْكُكَ في الدنيا دَوِيًّا كأنّما   تداوَلَ سمْعَ المرءِ أَنْمُلَهُ العشْرُ...

لعلّ شيئًا أثْبتَ من الدويّ كان أحْسَن...

٢٨ تشرين الثاني

يحِبُّ اللبنانيّون بلادَهم حُبًّا جَمًّا. كيف لا وهي الوحيدةُ التي تَقْبَل – راضِيَةً أو ساخِطةً – أن يحصُرَ أهلُها وَلاءَهم بدُوَلٍ كثيرةٍ غيرَها: دُوَلٍ يختارونها من الشرق أو من الغرب ويُبَدِّلون بعضَها كلّما طابَ لهم ذلك؟

بلادُنا بلادٌ غفورة...

٢٨ تشرين الثاني

من أخبارٍ يَنْقُلُها عبد الوهّاب بو حديبة في وَصْفِ الجنّة أن هزّةَ الجماع تَدُوم هناك ثمانين سنةً.

يُستنتَجُ من هذا أن ناكِحَ الحُورِ العِينِ لا يَبْقى منه حَجَرٌ على حَجَرٍ من أوّلِ حَوْراء. فما حاجَتُهُ بالسَبْعِين؟

٢٨ تشرين الثاني

مِـنَ الياسمينِ من الزنبق   فَرَشْتُ السريرَ ومن مِرْفَقي
فلا تَدَعي الليلَ يُفلِتُ مِنّا   تُرى هل نعيشُ إلى المَشْرِقِ

ودّعْنا صاحبَ «رِنْدَلى» من زمنٍ طويلٍ جدًّا، وكان قد رَحَلَ عن ذائقتنا بعْدَ «مَشْرِقه» ذاك في ثلاثينات القرن الماضي وأربعيناته. ونعيدُ توديعَه اليومَ وقد رحَلَ عنّا مرّةً أخرى وهو في الثانية بعد المائة.

ومن المَوْطِنِ الصغيرِ نَرُودُ الـ   أرْضَ نَذْرُو في كلِّ شَطٍّ قُرانا
نـتـحـدّى الـدنيا شُعوبا وأَمْـصا   رًا ونـبـني أنّى نَـشَـأْ لبـنـانا
(«قُدْموس» ١٩٤٤)

يا سعيد! كنتُ أؤثر «نتملّى الدنيا» وأؤثرُ «أنّى تَشَأْ» فهذا أقربُ بكثيرٍ إلى واقع الحال ... ولكن ما حيلتي معك؟ أؤمن أن الشعرَ حقيقةُ العالم ويبدو لي أنك تَقْبَلُ قولَ العرب: «أعذَبُ الشعر أكذبُه»!

١ كانون الأوّل

أعتبِرُ المِقَصَّ وما جرى مَجْراهُ من الأدوات قَرينةَ الدولاب في التأسيس للحَضارة. فالأُولى أداةُ مُعالجةِ المَطْبوعِ والمَصْنوعِ بالتَجْزِئةِ والتشكيلِ والثاني أداةُ نَقْلِ الأَثْقالِ والبَشَرِ ووسيلةُ السُرْعةِ في طَيِّ المسافات.

لذا تُعْجِبُني اللِحى المهذَّبَةُ بالمِقَصّ مع العِلْمِ أنّني حَليق. ولكنْ لا أستَغْرِب، مع ذلك، زَعْمَ الإمام السيوطي في «كتاب الدُرَرِ الحِسان في البَعْثِ والجِنان» أن أهلَ الجَنّةِ يدخُلونَها «جُرْدًا مُرْدًا» لا لِحى لهم ولا شَعْرَ على أَجْسامِهِم.

وأمّا اللِحى الهائجةُ المُطْلَقةُ على سَجِيَّتها فأُخَمِّنُ أن شَبَهَها بالبَلّانِ اليابس، فَضْلًا عمّا تَدُلُّ عليه، في الأَغْلَبِ، من سَجايا أصحابها، يُرَشِّحها لتَكُون أَوّلَ ما تَدِبّ فيه نارُ جَهَنّم.

٢ كانون الأوّل

في «كتاب الدُرَر الحسان في البعث والجِنان»، يُطْلِعُنا الإمامُ جلالُ الدين السيوطي (وهو أحد «الجَلالَيْن» صاحِبَي «التفسير» المشهور) على طريقة «الدليفري» في الجنّة. فيقول أن على أشجارها طيورًا «كلُّ طيرٍ قَدْرَ الناقة» يطير الواحد منها «فيَقَعُ بين يَدَيْ» المؤمن «بعضُه مشويًّا وبعضه مقليًّا وبعضه مطبوخًا وبعضه حامضًا أي مِزًّا فيأكل هو ومن معه من نسائه ومن الحُورِ العِينِ حتى لا يُبْقون إلا عظامَه فيعودُ كما كان ويَقْعُدُ يسبّح الله تعالى على الغصن»...

قبلَ ذلك يطمئننا السيوطي إلى العواقب الهضمية لهذا الاستهلاك الفاحش وآثارِه على المياه الجوفية في الجنّة وعلى البيئة هناك عمومًا... فيؤكّد أن ما يأكله «أهلُ الجنّة منها يَخْرُجُ رَشْحًا كالمِسْكِ وإذا شربوا

يَرْشَحُ من أبدانهم مِسْكًا»... ويضيف أن أهلَ الجنّة ليسَ لهم أَدْبارٌ أَصْلًا «لأن الأدبار جُعِلَتْ في الدنيا للغائطِ والجنّةُ لا غائطَ فيها».

عليه يسَعُ اللبنانيين أن يكونوا مطمئنّين إلى سلامة أطعمتهم ونظافة بيئتهم في الآخرة إذا لم يُفْلِح الوزراء المختصون في طمأنتهم إليهما في الدنيا. ولا يبقى عليهم إلّا أن يستعجلوا الرحيل إلى الدار الأخرى (وهو ما يُجيدونَه) وأن يَعْمَلوا صالحًا ليكونوا من أَهْل الجنّة. وفي هذا الأمر الأخير بعضُ صعوبةٍ لا تَخْفى إذ هو يفترض شيئًا من الاتفاق بينهم على ما هو الصالحُ وصالحِ مَنْ هو.

٢ كانون الأوّل

مِرارًا قضى عليّ واجبُ الصراحة أن أصرّح بأن لبنان وبيروت (ما دامت هي المقصودةَ في الأغلب) لم يَعْرفا، في الثقافة، عهدًا ذهبيًا قطّ وأن ما شهده العهدُ الذي تُطْلَق عليه هذه الصفةُ يبقى أدنى بكثيرٍ كمًّا وكيفًا ممّا يجترحه لبنانيّو اليوم أو اجترحه لبنانيّو الأمس القريب وهم يجتازون أسوأ أيامهم وأن أكثر ما أنتجه أساطين ذلك العهد يبدو اليومَ غيرَ قابلٍ للقراءة أو المشاهدة أو السماع لمن يغامر بشيءٍ من ذلك...

لم أكن عضوًا قطّ في ما أسمّيه «جوقة بيروت». وإنما اعتبرتُ هذه المدينة، على الدوام، مدينةً غدّارةً، خطرةً على أهلها وعلى غيرهم. وفي أصلِ موقفي أنني لا أقرّ الفصل بين اعتماد الضوابط الأهلية حائلًا متصدّرًا دون سيادةِ شرعِ الغاب (وهو ما يوقفنا دائمًا على خطوةٍ من هذا الشرعِ) وبين أسمى درجات الإبداع التي بلغها بعضُنا. فقد كان الأوّل (أي هزالُ دولة الحقّ) شرطَ الثانية على الدوام. وهو ما جعلَني أختار عنوانًا لواحدة من مقالاتي قبلَ أعوام: «بيروت: حرّيةٌ واحدةٌ

للقتل وللإبداع!». وهذان أمران تقوم الأسطورة كلّها على الفصل المتعسّف بينهما.

أكتبُ هذا، اليومَ، غداةَ غياب صباح وسعيد عقل وما قيل، في المناسبة، من كلام الوداع للبنانٍ ما. ما نشعر أنه مات، أيها الإخوة، كان قد مات قبل زمنٍ طويل. وإذا وُجدت رموزٌ فلا يُضيمها موت أصحابها، في العادة، بل لعلّها تحيا به. فإذا كنّا نشعر أنّها ماتت بموتهم فلأننا كنّا قد قتلناها قبل زمنٍ طويل بعد أن اخترعناها قبل زمنٍ أطولَ بقليل.

٤ كانون الأوّل

لا نكون قد تعلّمنا شيئًا من العقود الأربعة الماضية، خصوصًا، ولا ممّا قبْلَها إذا استمررنا في اعتبار الطائفية «قشرة» «يكْمُن» تحتها أو خلفها «لبٌّ» أو «جوهرٌ» قد يكون المصالح «الاقتصادية» (؟) أو «الإستراتيجية» (؟)... الطائفية في مجتمعات هذه المنطقة مشتملة على هذه المصالح كلّها إذ هي صيغة تنظيم هذه المصالح بما هي مبدأٌ رئيسٌ لانتظام المجتمعات (أو لعدم انتظامها) ولتشكّلها في وحداتٍ تاريخية متواجهة لا تكون دائمًا على السوية نفسها من الاستنفار والتماسك ولكنها تنحو، في هذه المرحلة التاريخية، نحو المزيد من التصلّب. والطائفية ليست الدين بل الدين مكوّنٌ من مكوّناتها تتفاوت صور توظيفه وقد يصبح مقامه متواضعًا في بعض الحالات والظروف ولا ينتقص هذا أبدًا من طائفية الجماعة ولا من طائفية المواجهة. على أن تقديس «الجماعة» و«القضية» و«القائد» بالدين ينطوي دائمًا على توجيه نحو الإجرام والإبادة ونحو الانتحار. وأما افتراض وضعية «قشرية» أو «خطابية» للطائفية في مجتمعاتنا هذه (بعد ما جرى ويجري) فهو الخطاب الموروث من كتب عتيقة وهو الذي

يجعل تعبئة ملايين الناس في حروب لا تنتهي واستنفار عشرات الملايين حولهم أحجية مكشوفةَ الحلّ أو خديعةً أبدعها عقلٌ متآمر مقيم في مقرّ مخابراتٍ ما.

٤ كانون الأوّل

بِصَرْفِ النَظَر عن وجود صيغةٍ فُضْلى لمواجهةِ الجهادية السُنّية أو عَدَمِها، يشكّل الحِلْفُ الواقعي بين الأميركيين والإيرانيين في الحرب على داعش والنُصْرة، بما هو حلفٌ بين قوّةٍ عظمى موصومةٍ بصفةِ الهيمنةِ السياسية وأخرى إقليميةٍ صريحةِ النَسَب المذهبي، أفضلَ صيغةٍ على الإطلاق لنَشْرِ الوَباءِ الجهادي والحرب المذهبية في طولِ العالَمِ الإسلامي وعَرْضِه.

٤ كانون الأوّل

في جَماعاتنا التي كانت تُفْتَتَن بوجوهٍ من الحداثة تُسايرُ قِيَمَها ومَراتبَها أو تُسْنِد طموحَ فئاتٍ منها، ظلّت البراعةُ الخطابية إلى أواسط القرن الماضي (ولعلّها لا تزال، على نحوٍ ما، إلى اليوم)، تُمثّل رأسَ مالٍ رمزيًا لما يسمّى «النُخَب» يزاحِم بأهمّيته النَسَبَ أو السَخاءَ والشجاعة أو بلاغةَ المنشور من شعرٍ أو نثر أو سَعَةَ المعارف...

بل إن الخَطابةَ كانت تَلْتَبِس بالمعرفة وبالبلاغة فتُنْسَب هاتان، دون وجهِ حقّ في أكثر الأحيان، إلى الخطيب المُفوَّه.

لذا وَجَد الخُطَباءُ وجمهورُهم عندنا في الميكروفون، عندَ قُدومِه إليهم، اختراعًا عظيمَ الشأن يستثيرُ بفِعْله (بل بمجرّد منظره أيضًا) نوعًا من الوَجْد في صفوف السامعين الناظرين.

ذاك ما حَمَلَ الشيخ أحمد عارف الزين، مَثَلًا، على التنويه، تحت

صورةٍ له نَشرِها في مَجلّته، بأن الصورةَ تُمَثِّل صاحب «العرفان» يلقي خِطابَه «وأمامَه الميكروفون»!!!

٥ كانون الأوّل

كان لي صاحبٌ أطلقَ على واحدٍ من رؤساء جمهوريّتنا لقب جَلْجُوق الأوّل. وكنت أرى في هذا التحريف اللطيف صَوْنًا لهيبة السلاطين السلاجقة.

وعن صاحبي ذاك، حفظتُ أن الجلْجَقة أسلوبٌ اختُصّت به ساحةُ السياسة وأن مُعادِلَها في ساحة الثقافة هو الجَقْجَقة.

ومن يثابر على هذه الأخيرة يحسَبُ بعد حينٍ أنّه استقرّ في رتبة نيتشه الثاني. ولكنّه ينتبه، بعد حينٍ آخر، وقد أصبح جَقْجُوق التاسع بعد الألف.

٦ كانون الأوّل

يذهب الموتُ بالناس ولكنّه يحفظ تقاليدَ وعِبارات. يحفظ، مثلًا، فِعْلَ «تَغَمَّدَ» الذي لا يفطنُ أحدٌ إلى أصله ومعناه.

٦ كانون الأوّل

أصبح التجوّلُ في بيروت مَجْلَبَةً للْغَمِّ وأصبح مُحالًا في هذه المدينة ما كنّا نسمّيه التنزّه. فمِنْ أين يأتي السرورُ وهذا البؤسُ كلّه مطروحٌ على كلّ رصيفٍ وعند كلّ مُفْتَرَق؟ وأيُّ شعورٍ يبقى للعابرِ بإنسانيّتِه وهو يُشاهِدُ ما يُشاهِدُ ولا يَقْوى على مُداراةِ هذه النَكْبة الكبرى أو مؤازَرةِ ضحاياها بشيءٍ يُذْكر؟

٨ كانون الأوّل

... ومن الأخطاء الشائعة الذائعة أننا نُدْخل باءَ الجرّ على المأخوذ بعد فِعْل الاستبدال، والصوابُ أن تَدْخُل على المتروك. فتقول مثلاً: «استبدلتُ القميصَ بكتابين» قاصدًا أنك أخذتَ الكتابين وتركتَ القميص. والحالُ أنكَ إنّما تقول عكْسَ ما تقْصُد!

جاءَ في الدُعاء: «ولا تَسْتَبْدِلْ بنا غيرَنا»، أي: لا تترُكْنا وتأخُذْ غيرنا بَدَلًا منّا: هذا هو الكلام الفصيح الصحيح! فإذا قلتَ: «أبدَلْتُ القِدْرَ بخمسة صحون» فاعلَمْ أنّكَ، في نَظَر اللغة، قد أَخَذْتَ القِدْرَ وتَرَكْتَ الصحونَ، وهذا بقَطْع النَظَرِ عمّا قد يكونُ حَصَل في الواقع!

(اصطُفْلوا! إذا ما بَدْكن تسمعوا منّي رَحْ دايمًا يضلّ يطلعلكن اللي حابّين تخلصوا منّو!)

٩ كانون الأوّل

في خريف ٢٠١٠، أي عشيّة البوعزيزي وما تلاه، أهدت رزان زيتونة مقالةً رائعة إلى العدد الأوّل من فصليّة «كلمن» جعلت لها عنوانًا «الرقص مع النقاب»... لا تدافع رزان عن النقاب الذي لا ترى فيه قضيّتها. ولكنها تدافع عن المنقّبات. وهي تشير، بنوعٍ من المصادفة، إلى دفاعها، بصفتها محامية، عن أزواجِ منقّباتٍ كثيرات (أي عن إسلاميين، على الأغلب) أمام محكمة أمن الدولة... اليومَ مضى عامٌ على خطف تنظيمٍ إسلامي رزان زيتونة وسميرة الخليل ووائل حمادة وناظم الحمادي من مركز توثيق الانتهاكات الذي كانوا ينشطون فيه في دوما المحرّرة بغوطة دمشق...

٩ كانون الأوّل

رزان زيتونة، سميرة الخليل، وائل حمادة، ناظم الحمادي: مضت سنة...

١٠ كانون الأوّل

أيّامَ دِراسَتِنا الفلسفةَ، كان لي رفيقٌ فقيرٌ جدًّا بَقِيَ يُشاهَد في السُتْرةِ نفْسِها، لا يُبَدّلُها. وكان يقول: «هذه لها من صفاتِ اللهِ اثنتان: القِدَمُ والوَحْدانيّة!»

١١ كانون الأوّل

علمتُ أن ناشِطةً في أعمال الإغاثة من مَعارفي أَطْلَقَت حملة تبرّعاتٍ على الفيسبوك لجماعةٍ مستَحِقّة. فكانَ أنّها تلَقّت أربعين لايكًا... وهي تَسْأل أين يمكن صرْفُها؟

١٢ كانون الأوّل

ذُكِر أن ما نهبَتْه دَفعةٌ أُولى من النَصّابين أحالَها وزيرُ الماليّة إلى القَضاء بتُهْمةِ الاستيلاءِ على مَشاعاتِ القُرى في الجنوب يبْلُغ، في ٢٢ قريةً، ٣٧٠٠٠ دُونمٍ من الأراضي أو يَزيد. هذا أزْيَدُ بثلاثةِ كيلومتراتٍ مربّعة من المساحة الفِعْلِيّة لَمزارعِ شبعا... ويَعْلَمُ الجنوبيّون حَقَّ العلم أن المَخفِيَّ القديمَ أعظَمُ من الظاهرِ الجديد.

هل مِنْ مُقاوَمة؟

١٢ كانون الأوّل

لا أبرعَ من ابن آدم في استدعاء الهموم لنفسه والمَضْيَعاتِ لوقته.

أضعتُ قبل مدّةٍ مِشْطًا صغيرًا كان يتنقّل بين جيوبي من عقود. وقد أحزنني فِراقُه فلم أترُك صيدليّةً أو محلًّا يبيع أدواتِ التزيين إلا وعرّجْتُ عليه محاولًا أن أعثرَ على مشطٍ مماثلٍ تمامًا لمشطي الضائع. ولكن وقتي ضاع هباءً إذ يبدو أن المعامل والمحترَفات كفّتْ من عهدٍ لا أعرفه عن صنع نظائرَ للفقيد.

اليومَ وجدتُ شبيهًا للراحل. وجدت مشطًا ليس مثيلًا له ولكنّني اعتبرتُه أجْملَ وأمثل وسَلّمتُ به خليفةً أو وكيلًا خيرًا من الأصيل.

قبل ذلك، كنتُ قد أتلفتُ من سلامة مزاجي ومن عُمْر حذائي مَقاديرَ لا يُسْتهانُ بها.

يُذْكرُ،أخيرًا، أن أسبوعًا بتمامه قد يمضي ولا أَسْتَعْمل فيه المشط. أستعملُه بلا ضرورةٍ لاستعماله. فإنّ زَحْفَ الصَلَع المُظَفَّر قد أغناني عن هذه الأداة من أعوامٍ عدتُ لا أحصيها.

١٥ كانون الأوّل

عظُمَت المصائبُ كلُّها، في ما أسمّيه بلادَ «الربيع الفائت»، فباتَ عَبَثًا السؤالُ أيُّها العُظْمى؟

من زمنٍ طويل نحتاجُ إلى اعتماد اللامركزية في القضايا. فلا يفرض أحدٌ على أحدٍ تنحيةَ قضيّةٍ للعناية بأخرى بل تكون العنايةُ متبادَلَةً والاهتمامُ طوعيًّا.

على الدَوامِ، كان القولُ بمركزيّة القضيّة الفلسطينية بوّابةَ الحكّام العرب إلى الطغيان. وهذا من غير جدْوىً تجنيها القضيّة الفلسطينية.

كان مؤدّى هذا القولِ أن تنسى الشعوبُ ما تعانيه في دواخل بلادها. وهذه دواخلُ لم يَكُن الحكّامُ يَنْسونها. ولكنْ كان المطلوبُ أن يتفرّغَ

لاستغلالِ هذه الدواخل وينفردَ به زبانيةُ الحكم وحواشيه والمتسيّدون عليه وعليهم.

اليومَ بات ممجوجًا السؤالُ عن القضيّة الأهمّ: أَهِيَ الفلسطينيةُ أم السورية؟ أهي العراقيةُ أم المصرية؟ أهي الليبيةُ أم اليمنية؟ أهي البحرينيةُ أم اللبنانية؟ إلخ.

قد لا يكونُ في النكبة المُعَمّمة شيءٌ يُحْمد سوى إخراجِ دواخل البلاد بما فيها إلى الضوء وإبرازِ حاجةِ كلٍّ منها إلى جهود أهله وتضحياتهم أوّلًا وإلى مؤازرة الشعوب القريبة، بلا ريبٍ، وتلك البعيدةِ أيضًا.

ظهرت للْعِيان هذه الحاجةُ إلى لامركزيةِ القضايا وإلى تصويبِ منطقِ التضامن بين أهلها. فهل يكون لظهور الحاجة ذاكَ معنى التوجّه نحو تَلْبِيَتِها؟ أم إنّ هذه قضيةٌ أخرى؟

١٦ كانون الأوّل

تشهد صحافتنا، في هذه الأيّام، تعاظمًا لظاهرة «الجَقْجَقة» (وقد سبقت الإشارة إليها ههنا وتجوز تسميتها «اللَقْلَقة» أيضًا) في السجال بين المثقّفين. هذه ظاهرة موعودة – في تخميني – بمزيد من الطغيان بعد هزائمَ كبرى لَحِقَت بحركات التغيير العربية التي كان هؤلاء يتماهون بها. لا يجد المثقّفون ما يفعلونه، بعدَ أن غارت القوى التي كانوا ينتصرون لها، سوى الإمساك بعضهم بخناق بعض. وهم يعظّمون، شأنهم دائمًا، أدوارهم الزهيدة فيتشاتمون وكأن النصر كان في يد هذا منهم لو أطاعه ذاك أو كأن الهزيمة صنعها ذاك بمخالفتها هذا.

هذا الخلوّ الكلّي، لا من التواضع وحسب، بل من الشعور بواقع الحال، يحتاج إليه أناس يدارون الحيرة بالتخبّط. وهو أمارة إفلاس

مؤسف قد تحتاج مباشرةُ الخروج منه إلى انتظارٍ طويل... إلى ظهورِ جيلٍ جديد مثلًا. وهذا إن ظهر...

١٦ كانون الأوّل

ثمّة عيوبٌ فادحة في ما تَصُحّ تسميتُه «خريطةً شعوريّة للعالم» نَحْمِلها في دواخلنا، نحن آهِلي هذا المَشْرق. هي مختلفةٌ إلى درجةٍ مَعِيبة عن خريطة العالم الواقعية.

إلى الغرب، نقفز فوق أوروبا الشرقية لنهتمّ بما يجري في الوسطى وفي الغربية. من ثمّ نجتاز الأطلسي لنتحسّس أيَّ حدثٍ ذي وقعٍ يشهده بعضُ أميركا الشمالية. اهتمامُنا لأميركا الجنوبية أضعفُ بكثير. ولا تَسَلْنا عن إفريقيا السوداء. روسيا وسيبيريا بلادُ صقيعٍ في نفوسنا وموقفُنا من أحداثهما جليدي، على الرغم من جهودٍ يبذلها بوتين لاستفزازنا. ولكن الحَرّ الغالب على الطقس في شبه القارّة الهندية لم يَشْفَع اليومَ في مَشاعرنا لتلامذةٍ صغارٍ سقطوا بالعشرات في بيشاور...

وما هذه كلّها سوى أمثلة..

هذه عيوبٌ في خريطتنا الشعورية. وهي جديرة جدًّا بجهودٍ يتعيّن أن نَبْذلها لإصلاح علاقتنا بالإنسانية.

هذا عيبٌ والسلام.

١٨ كانون الأوّل

لِلَّذِين لا يمسكون أنفسهم عن التهييص عند كلّ «انتصارٍ» للنُصْرة أو لداعش على قوّات النظام الأسدي،

ولأولئك الذين يهيّصون كلّما حصل العكس أيضًا،

أقول أنه لا يُعْتبر لِزامًا على المثقّف (ولا على غيره) أن ينحازَ إلى طرفٍ من أيّ طرفين يجدهما في حالة صدام... وذلك من غير سؤالٍ عمّن يكون كلّ من الطرفين.

وأضيف أن عدم الانحياز هذا ليس حيادًا ولا هو يشبه الحياد بالضرورة. وإنما هو إدراكٌ لكون ضحايا البغي الحاصل من الطرفين هم أصحاب الحقّ (وإن لم يظهر لهم تمثيلٌ سياسيّ جامع) في تضامُنِ مثقّفين يعرفون ماهية صفتهم هذه وقِيَمها (وفي تضامُنِ غير المثقّفين أيضًا).

٢٠ كانون الأوّل

يوحي انتصابُ أُذُنَيّ الحمار أنه يصغي بانتباهٍ زائدٍ إلى كلّ ما يقال على مَسْمَع منه. وهذا مع أن الرأي السائد بشأن مَلكة الفهم عنده يعفيه كلّيًا من هذا الواجب.

لهذا السبب، على الأرجح، يُعَدُّ العنادُ أيضًا نوعًا من أنواع الحَمْرنة.

٢١ كانون الأول

إذا كان اللهُ نفسُه قد اختارَ أن يَنْسخ هذا العددَ المعتبَرَ من الآيات مبدِّلًا أَحْكامَه تبَعًا لتبَدُّل الظروف والأحوال بعد سنةٍ أو سنواتٍ قليلة من تبليغها، فما الذي يجعل الحُكْمَ الناسخ غيرَ قابلٍ للتبديل بِدَوْره ولا للتعديل عَبْرَ هذه القرونِ كلّها؟ هل كَفَّت الظروفُ والأحوالُ عن التبدّل بعد اكتمال النزول؟

أليس الأَوْلى أن يُقالَ أن الله قد أراد، بإرسائه مبدأَ النَسْخ (الواردِ بحُروفِهِ في النَصّ القرآني)، أن يُوحِيَ بوجوبِ تبديلِ الأحكامِ كلّما فُقِدَت مناسبتُها للظروفِ والأحوالِ وذلك رَحْمةً منه بالعالَمِين؟

٢٢ كانون الأول

مثَّلَت السُعوديةُ وقَطَر هدفًا سهلًا للمندوب السوري بشّار الجعفري حين تقدّمتا من الجمعية العمومية للأمم المتّحدة بمشروعِ قَرارٍ (أقرَّتْه الجمعية) يَدِينُ انتهاكَ النظام السوري حقوقَ الإنسان من وجوهٍ عديدة. وكان بين ما استَدْرج سخريةَ الجعفري ما وَرَد في مشروع القَرار من ذِكْرٍ لحقوق المرأة ولاستبعاد التمييز على أساس الدين (ناهيك بغيره). وهاتان مسألتان تتفاوت حالُ النظامِ السُعودي وحالُ النظام القَطَري معهما ولكن يبقى معلومًا أنّ كِلَيْهما لا تَسُرّ القلب.

يبقى أيضًا أن ما جاءَ في القَرار من تَعْدادٍ لجرائم النظام السوري قد استَحَقّه هذا النظامُ كلّه بل هو قد استَنْفَد لائحةَ المُوبِقات كلَّها: ما ذكَرَه القرارُ منها وما لم يَذْكُرْه.

لا يَمْنَع هذا الاستحقاقُ الأخير أن يكون مَصْدَرُ المبادرةِ قد جَعَل منها ومن الأمم المتّحدة مَسْخَرةً تامّةَ الأوصاف. ويُذَكِّر حالُ الجمعيةِ العمومية ههنا بحالِ مجلسِ الأمن حين يَحُول الفيتو الأميركي بينه وبين دَيْنِ إسرائيل وحُمولةِ احتلالِها وحروبِها من الجرائم.

يحْصُل التذكيرُ من بابٍ يُشْبِه «إظهارَ الضِدِّ حُسْنَ الضدّ». ففي الحالة الأميركية تَمْنَعُ إنفاذَ «الإعلانِ العالميّ لحقوق الإنسان» والمواثيقِ المتفرّعة عنه دولةٌ كبرى كانت صاحبةَ المبادرة الرئيسة إلى وَضْعِ هذا الإعلان وإقرارِه. وفي الحالة السُعودية القَطَرية يبدو إقرارُ الدولتَيْن بهذا الإعلان من أَصْلِه مَوْضِعَ سؤال.

والواقِعُ أنّ السُعوديةَ كانت قد أبْدَت تحفُّظاتٍ أساسيةً على «الإعلان» عند إقراره في مِثْلِ هذه الأيّام من سنة ١٩٤٨. وأما دولةُ قَطَر فكانت لا تَزالُ حِينذاك في طَيِّ الغَيْبِ البريطاني.

٢٢ كانون الأول

في القرن السابع عشر، نَظَر بْليز باسكال في التاريخ فرأى أن شَطْرًا منه كان معلّقَ الوجهةِ على حصاةٍ صغيرة استقرّت في مَجْرى بَوْلِ كرومويل وأن شَطْرًا آخَرَ حَكَم وُجْهَتَه أنفُ كليوباترا الذي لم يكن قصيرًا إلى الحدّ المطلوب.

اليومَ يقال أن وجهةَ تاريخنا، نحن أهالي غرب آسيا، مَنُوطةٌ بسُلوكِ الخلايا المتمرّدة في بروستات السيد علي خامنئي. أَبْشِروا!

٢٣ كانون الأول

مع أن الزمنَ الحاضرَ لا يُزَكّي خلْطَ عبّاسٍ بدبّاسةٍ، افتتحَ جاري مُزَيِّنُ النساءِ رُكْنًا في دُكّانِه الضيّقِ مخَصَّصًا لتزيين الرجال. ولكن الرجالَ لا يحضُرون والنساءَ ما زِلْنَ متغيّبات. فلا يبقى إلا أن يَجِدَ جاري حَلًّا وَسَطًا... جِنْسًا ثالثًا، إذا أمْكَن، عسى أن يَجيءَ الفَرَج.

وذاك أن الجنسَيْن المعلومَيْن حَذَفا البَنْدَ المتعلّقَ بالمزيّن – على ما يَظْهر – أو كادا يَحْذِفانِه من بينِ أبوابِ الإنفاقِ الملحوظة في الميزانيّات.

وأما جاري فلا يبدو حاذقًا في رَصْدِ علامات الساعةِ ولا عالِمًا أن التحوّلَ الذي طرأَ على دكّانه قد يَكُونُ إحدى هذه العلامات.

٢٤ كانون الأول

يَتوجّهُ خادمُ الحَرَمَيْن الشريفَيْن من الرياض إلى رَوْضة خريم (وهي تَبْعُد ١٠٠ كلم عن العاصمة) فـ«يودِّعُه» (بِحَسَب البَيان الرسمي) وليُّ العهد ووليُّ وليِّه ورسميّونَ آخرون.

في السِنّ التي بلغَها المَلِكُ والحالِ التي آلَ إليها، يبدو «الوَداعُ» احتياطًا واجبًا، مَهْما تَكُن الرَحْلةُ قصيرةً. ولا يُسْتَبعد أن تصحَبَ الوَداعَ أُمْنِيةٌ مكتومة: أن يَثْبُت واقعًا أنّه كان في مَحلّه.

عند وُصولِ المَلِك، «يَسْتَقْبله» رسميّونَ آخَرون أيضًا (يذْكُرهم البيان). ولا يقول البيانُ مَنْ بيْنَ هؤلاء استَنْكَرَ وُصولَ القادمِ مُعافىً ومَنْ بَيْنَهُم تَنفَّس الصُعَداء...

٢٤ كانون الأول

تحيّةً إلى مولودِ هذه الليلة. عسى أن يَكْبُرَ بيننا ويُفْلِحَ في مَسْعاه.

كلَّ يسوعٍ وأنتم بخير!

٢٥ كانون الأول

في الفيسبوك قُبْحٌ لا يُحْصى وفيه جَمالٌ أيضًا. ولعلّ أجْمَلَ ما فيه الأولادُ الذين يُظْهِرونَ شيئًا ما: ابتسامةً حُلْوةً، مَثَلًا، أو نظرةً ألْمَعِيّةً أو شيئًا أنْجَزوه... ومعهم يَظْهَر فرحُ أهْلِهِم بهم.

٢٦ كانون الأول

في هذا الشَرْقِ، قد تَكْفي سَجْعةٌ باليةٌ أو طِباقٌ أكَلَه الغُبارُ وُقودًا نَفْسيًّا لحَرْبٍ لا تُبقي ولا تَذَر.

قد لا يَخْطُرُ لأَحَدٍ أن يَسْأَل: ما أهَمِّيةُ هذا؟ ومن قد يَسْأَل قد لا يَسْمَعُه أَحَدٌ.

وهذا مع أنّ حَقائقَ المُواجهَة تَكُونُ في عالَمٍ آخَر.

٢٧ كانون الأول

الكلامُ الإبادَنْتِحاريّ (إبادة + انتِحار):

١- هو، مَهْما تَكُن الظَواهِرُ، مَحَطّةُ إفْلاسٍ من السِياسةِ وَصَدىً يَتجاوَبُ لارْتِطامِ مَنْ يَمْشُون القَهْقَرى بالحائط.

٢- هو، مِنْ حَيْثُ أتى، زُومٌ لِغَسيلِ الأَدْمِغة.

٣- هو، في كُلِّ حالٍ، مَرَضٌ يَسَعُه أن يُصْبِحَ وَبائيًّا، للعَقائدِ وللبَشَر.

٢٩ كانون الأول

شاعَ أن دولةَ قَطَر (وليس قناة الجزيرة وحدها) قد انسَحَبت من سورية. هذا نبأٌ سارّ!

فلا الدورُ القَطَريّ ولا أضْرابُه حملَت إلى السوريين شيئًا غيْرَ البؤس والموت.

العُقْبى للآخرين، إذن، من أطرافِ البَغْيِ الخارجيّين الذين رَعوا خَرابَ سورية أو اشتَرَكوا فيه مباشرةً.

العقبى أيضًا لِقُوى الخَراب السورية التي اصْطَنَعَها هؤلاء أو رَعوها يتقدّمُها النظامُ الأسدي. العقبى للذين حَموا هذا النظام ولِخُصومِهم الذين اصْطنَعوا منه نُسَخًا صغيرةً معدَّلة.

هذه أمنيةٌ للعام الجديد تُشْبِه أمانينا الأخرى التي لا تُقدِّم ولا تُؤَخِّر. ولكنّ لنا أن نُخمِّن، مُسْتَلهِمينَ خِبْرَتنا اللبنانية، أنّها الأمنيةُ الأعمقُ للكَثْرةِ الكاثِرةِ من السوريين.

٢٩ كانون الأول

لا أُدْعى ليلى ولكنْ كان والدي يُدْعى عبد اللطيف.

لذا يَسَعُني أن أتنبّأَ بأنّ صحافيًّا أَعْرِفُه سيتَمَكّن من رَفْعِ المُضافِ إليه مِرارًا في سنة ٢٠١٥.

٣١ كانون الأول

ما أكثَرَهم غيرَ بعيدٍ عنّا أولئك الذين يتردّدون في القول أن السنةَ المنصرمة كانت أسوأَ سنواتِ عمْرِهِم. يَخْشَوْن أن يكونَ هذا القولُ إفراطًا في التفاؤلِ بخيرٍ تأتي به السنةُ المقبلة.

عسى أن تأتي السنةُ الجديدة بالخير للمخذولين ظُلْمًا...

عسى أن تَطيبَ فيها أيّامُ الطَيِّبين أيْنَما كانوا.

٢٠١٥

٤ كانون الثاني

قلّما اجْتَزْنا ظَرْفًا كَثُرَ فيه حديثُ «الأخلاق» في مَعْرِض النقدِ السياسي كَثْرَتَه في الأعوام القليلة الماضية...

هذا حديثٌ صعبٌ قد يَشي الاستكثارُ منه بخفّةٍ في المُقْبِلين عليه وبالجهل بوُعُورةِ مَسالِكه. وهذا في أحْسَنِ احتمال...

فالحالُ أن مسألةَ الأخلاقِ والسياسة هذه هي أَوْعَرُ المَسائلِ المطروحةِ على كلّ فاعلٍ سياسي منذ أن وُلِدَت دَعاوى رِعايةِ القوّة مُثُلًا تتعدّى أطماعَ المُمْسِكين بمَقاليدِها...

ولكن لا بأْسَ! لا بأْسَ تحت طائلةِ امتحانٍ يوجِبُ بقاءَ المتكلِّمين على كَلامِهِم حين تَنْفُخ رياحُ البَطْش في أشْرِعتِهِم لا في أَشْرِعَة خُصومِهم!

٥ كانون الثاني

ما لَكَ لا تَنْبَحُ يا كَلْبَ الدَوْمْ قد كنتَ نبّاحًا فما لَكَ اليَوْمْ

(شعرٌ قديمٌ تَتَجدَّدُ مناسَبَتُه بين وقتٍ وآخَر).

٦ كانون الثاني

دخل التريليون (أَلْفُ مليار) من أوسع الأبواب في مُصْطَلَح المحاسَبة الحكومية العربية. فقد بلَغَت الموازنةُ العراقية لهذا العام ١٢٣ تريليون دينار عراقي وبلغت الموازنةُ الجزائرية نحو ٩ تريليونات دينار جزائري. وأما الحكومة اللبنانية فتُنْفِق ما في الجيب وما في الغيب من غير حاجةٍ إلى موازنةٍ أصلًا.

كلُّ هذه الأصفارِ ولا تتوقّف الشعوبُ عن النَقّ ولا تَحْمَد أولياءَ النِعَم على نِعَمِهِم!

عَجَبي!!

٦ كانون الثاني

جريدة «النهار» التي فتحنا عيوننا عليها من يومِ أن أصبحنا قرّاءً للجرائد لم تكن لها يومًا طهارة الإنجيل. ولكنها تتجاوز نفسها، في هذه الأيّام، وتسبق توقّعات خصومها في جَمْع الانحطاط من أطرافه!

تنسى اللحظاتِ العظيمةَ في تاريخها وتنحو نحو تهميش الأقلام الكبيرة التي لا تزال تَعْهَد إليها بكرامةٍ عليها أن تصونَها... وتترك لموقعها على الشبكة أن يجرّها ومعه الصِبْيَةُ الذين ارتَجَلَتْهم صحافيين نحو المثال الذي رَسَمَت معالِمَه، في ما مضى، جريدة «صوت العدالة» ومجلّة «السينما والعجائب».

ولكنها تتّجه إلى تجسيد هذا المثال مجرّدًا من بعض خفّة الظلّ... من بعضِ براءةِ اللعب الذي كان القارئ يلتقيه، إذا واتاه الحظّ، هنا أو هناك.

ما كنتُ أحْسَبُها تحيا إلى زمنٍ... تصبح فيه مَعْلَمًا آخر من مَعالِم هذه البلاد يَنْزِل في سجلّ الخسائر.

٧ كانون الثاني

من وحي العاصفة «زينة»: تَصَوَّرْ بيتًا لبنانيًا تراثيًا يَسْهُل الانتقال فيه من تحت الدلف إلى تحت المزراب: هل ترضاه لأختك؟

٧ كانون الثاني

أمس أرسلتُ إلى «القدس العربي» مقالةً عنوانها «الضحِك»! (تُنْشَر الأحد). لم أكن أعلم أن اغتيال الرسّامِين الساخرين في باريس سيَجْعل البحثَ في الضحك مُلِحًّا إلى درجة الفجيعة.

٧ كانون الثاني

من سَلْمان رُشْدي إلى رسّامي شارلي إيبدو: نحْنُ معَ حرّيةِ العِبارة وضِدّ الديّانينَ الأدْعِياء.

نحْنُ مع العِبارةِ الحُرّة أخطأَتْ أم أصابَتْ لأنّنا بَشَرٌ أحرارٌ نُخْطِئُ ونُصِيب.

٨ كانون الثاني

أصبحنا محتاجين إلى القول، مع شديدِ الأسف، أن الذين أَقْدَموا على جريمة باريس مُسْلِمون ولكنهم ليسوا أيَّ مسلمين ولا هم جمهورُ المسلمين.

ليس المسلمون كُتْلةً مُصْمَتةً أصلًا: هم مذاهبُ ونِحَلٌ كثيرة في المذاهب وتَمْتَحِنُهم في هذه الأيّام حروبٌ شنيعة يواجه فيها بعضُهم بعضًا.

مجرمو باريس الذين يزْعُمون الدفاعَ عن حُرْمة دينهم هم أنفسهم الذين بَلَغ من «احترامهم» لأديان الغير أنهم باعوا الإيزيديات جَوارِيَ بحُجّةِ اختلافِ الدين.

لنا في هذه البلاد معرفةٌ أصبحت مديدةً بأخلاق السلاح في التنازع الأهليّ. العقوبةُ تَنْحُو نحوَ الوَحْدة: للخلاف على أفضلية المرور وللمقالة المرفوضة وللاعتداء بالرصاص. والعقوبة الموحّدة هي القتلُ: القتلُ بالرصاص أو بغَيْرِه.

لم ينفع مجرمو باريس النبيَّ ولا محبّيه بل أنزلوا به وبهم أفدحَ الضرر. لجأوا إلى عقوبتهم الموحّدة في حينٍ كان فيه بابُ الردّ على الرسوم المُسيئة وعلى غيرها ولا يزالُ مفتوحًا بما يناسِب ويُشرّف أهْلَه: أن يُرَدَّ على الرَسْم بالرسم وبالكلمة وبالتظاهر في الساحات حيث يَلْزَم وبالمقاضاة في المحاكم عند الاقتضاء.

وأما رصاصُ باريس فقد أُطْلِقَ، في ما يتعدّى ضحاياه المغدورين، على الملايين من مُسْلِمي أوروبا وعلى مسلمي العالم.

مسلمو العالم، اليوم، ليسوا كتلةً واحدة إلا في هذه الإساءات التي تُنْزِلها بهم، بين حينٍ وحين، قُوىً مُحْكَمةُ التنظيم (لا أفرادٌ أخذَتْهُم الحَمِيّة)... قوىً خَرَجَت من بين صفوفهم وتجذّرت في مجتمعاتهم وهي وجهُ الداء الذي يَنْهَشُهم. قوىً تَضرِبهم من الخارج وكأن ما هم فيه، في دواخلهم، لا يَكْفيهم.

هذه القُوى تريد رأسَ الحُرّية أينما وُجِدت لأن الحرّيةَ تُدينها، تامّةً كانت أَمْ ناقصةً، ولو من أبعدِ نقطةٍ في الأرض. ولو كانت مجتمعاتُ

الغرب تَسُوس نفسها كما ترغب هذه القوى في سياسة مجتمعاتها لما بقيَتْ بين هذه القوى وبين دولِ الغرب مشكلةٌ يستعصي حلُّها، على الأرجح. وهذا على الرغم من جسامة المشكلات ومن تنوّعها...

١٠ كانون الثاني

هذه نادرةٌ أَرْويها من الذاكرة ولا أَضْمَن دقّةَ روايتي لها ولا أَذْكُر في أيِّ كتابٍ قرأْتُها:

«الولد: كم عُمْرُكَ يا عَمّ؟

الشيخ: الأعمارُ بيد الله، يا بُنَيّ!

الولد: أقولُ... ما عُمْرُك؟

الشيخ: مِقدارُ بَقائي في هذه الدنيا.

الولد: ليس هذا ما أَرَدْتُ... ابْنُ كَمْ أنتَ؟

الشيخ: ابنُ اثْنَيْنِ: رجُلٍ وامرأة.

الولد: قَصَدْتُ: كَمْ سِنّك؟

الشيخ: اثنتانِ وثلاثون منها سِتَّ عَشْرةَ في الأَعْلى ومِثْلُها في الأَسْفَل.

الولد: ليس هذا ما قَصَدْتُ... ما سِنُّك؟

الشيخ: عَظْمٌ ولُبّ.

الولد: أقولُ: كَمْ أَتى عليك؟

الشيخ: لو أَتى عليَّ شيءٌ لأَهْلَكَني.

الولد: فما أقول؟

الشيخ: تقولُ: كَمْ مَضى من عُمْرِك؟»

قد يَجِدُ البعضُ في هذا الحوار دليلًا على عُسْرِ العربية. وليسَ الأمرُ كذلك. فما يَتعلَّمُه الولَدُ هنا ليس قاعدةً من قواعدِ اللغة ولا مُفْرَدَةً أو

عبارةً لم يكن يعرفها. وإنما يَتَعلَّمُ إحكامَ العبارة أي ضَبْطَها بالقَصْد. وهذا متّصلٌ بالفَصاحة أي بالبيان الجَلِيّ وبالمَنْطِق أيّةً كانت اللغة. فما تُظْهِرُه العربيةُ هنا ليس عُسْرَها ولا يُسْرَها وإنما هو قدرتُها على هذا الإحكام أي غِناها ودقّةُ معانيها.

١٠ كانون الثاني

بلا رَيْبٍ... بلُغَتِنا وبكلّ لغةٍ نعرفها... نحن جبل محسن! نحن طرابلس!

١١ كانون الثاني

إلهي! أُحِبُّكَ حُبًّا حنونًا.

لو انّكَ صَبِيٌّ بائعُ صُحُفٍ لناديتُ عليها معكَ في الشوارع

(أبياتٌ للشاعر المَجَري أتيلا يوسف تُلِيَت على جثمان الاقتصادي النمساوي كارل بولانيي عند تشييعه في نيسان ١٩٦٤)

١١ كانون الثاني

قلّما يوجَد شيءٌ في هذا العالم لا تَخُونه واجِهتُه فيبدو أحسنَ مما هو أو أسوأَ. مسيرةُ باريس اليوم [بعد المقتلة في شارلي إيبدو] شاهدٌ لهذه القاعدة.

١٢ كانون الثاني

كان «الصبا والجمال» ثوبًا لها... أليسَ حَرامًا أن تكونَ قد شاخت؟ أليسَ حَرامًا أن تكون قد رحَلَت؟ أنيتا أكبرغ...

١٤ كانون الثاني

من وَحْيِ خِبْرَتي، في اليومين الماضيين، أنّك حين تَعْمِدُ إلى تثبيتِ خَطّك الهاتِفيّ الجَوّال يُصْبح لكَ هاتِفٌ جوّالٌ ثابت! أي إن الشيءَ الخَدومَ الذي في جَيْبِك تَضْرِبُه أزْمةُ هُويّة (موضوعُها: هل أنا جَوّالٌ أم ثابِت؟) فيَنْقلِبُ إلى مُعْضِلةٍ مَنْطِقيّة. ولَمّا كان يُطْلَب إليك أن تُوطّن خَطّك هذا في مَصْرِفٍ لِيُصارَ إلى تَثْبيتِه فإنّ هاتِفَك الجَوّالَ يصبح مُوَطَّنًا، فَضْلًا عن ثَباتِه، أي إن المُعْضِلةَ تتضاعَف.

هذا ولا بُدَّ من الإشارة هَهُنا إلى أن مقدِّمةَ الدُسْتور اللبناني قد صَرَّحَت برَفْضِ التوطين. ولَمّا لم يَكُن الدستورُ قد حَدَّدَ ماهيّةَ التوطين الذي حَرَّمَه فإن التحريمَ يَصُحّ أن يُعْتَبَر شاملًا الفلسطينيين والسوريين والهواتف الجوّالة، على سبيل المِثالِ لا الحَصْر.

عليهِ يُصْبح ما في جَيْبِك هاتفًا ثابتًا ومُوَطَّنًا ومُخالِفًا للدستور مع بَقائه جوّالًا.

يُذْكَر، في الخِتامِ، أن هذا النوعَ من المَصائبِ المَنْطِقيّة لا يَضْرِب إلا مَنْ كان مُصابًا سَلَفًا بنَوْعٍ بِعَيْنِهِ من الحَسّاسية هو الحَسّاسية لِمَعاني الألفاظ. وهي علّة يَصْعُب اسْتِئْصالُها.

جُنون!

١٥ كانون الثاني

إذا صَحَّ - والعِياذُ باللهِ! - أن السعوديةَ أصبحَتْ مستَقْبَلَ تركيا، رَجَحَ - والعِوَضُ باللهِ! - أن إيرانَ الحاضرِ أو الماضي القريبِ أصبَحَت مستَقْبَلُ نَفْسِها.

واللهُ المُسْتَعانُ على ما تَصِفُون!

١٥ كانون الثاني

أيّهما عينُ الاعتبار: اليُمْنى أَم اليُسْرى؟ كثيرًا ما ظَهَر لي أن الثِنْتَيْنِ مَعًا لا تَكْفِيان!

١٧ كانون الثاني

فاتن حمامة!!!

واأسَفاه! واأسَفاه!

١٨ كانون الثاني

من بين أدوارِ فاتن حمامة، ترَكَ في نفسي شَغَفًا لا يزول دورُها في «يوم حلو يوم مرّ» لخيري بشارة (١٩٨٨).

هذا وكانَ «أريدُ حلًّا» لسعيد مرزوق (١٩٧٥) (ودورُ فاتن فيه لا يُنْسى أيضًا) آخرَ فيلم تمكّنّا من مشاهدته في صالات وسط بيروت قبل أن تغلقها الحرب. وقد بقي الإعلانُ عنه صامدًا على واجهةِ سينما ريفولي في ساحة الشهداء سنينَ كثيرة. وكان مَنْظرُه هناك يبدو ناطقًا بلسانِ حالِ من يراه أو يرى صورتَه من اللبنانيين. كنّا في حرب وكنّا «نريد حلًّا»...

٢٠ كانون الثاني

بين مَغازي الحَدَث الجولاني [الغارة الإسرائيلية على وفد عسكري إيراني] أن الدولةَ السوريّة انضمّت، على الأرجح، إلى جارَتها اللبنانية في مخزن المفقودات الإيراني.

٢١ كانون الثاني

هل يجبُ اعتبارُ الجينز الممزَّق، عندما نشاهده على البعض من ذوي (أو من ذواتِ) النعمةِ، علامةَ تَمَثُّلٍ بالفقراء وشعورٍ بقيمتهم أم مطارَدَةً لهم لتَجْريدِهم من أيّ شَيْءٍ يدُلُّ على وجودِهم أو يُوجَد لهم فيه أثر؟

٢١ كانون الثاني

... وهذه من غَزَل الفسابكة... وكان صاحبُنا الزين شعيب يصيح إذا اشتدّت حماسَتُه: «ياللللـه!!!»:

أَبْدَيْتَيْتي شْتاتُوسِـك قُمْنـا أَبْـدَيْـتَيْنـالِـكْ
شو فَسْبوكة يا نُوسِـكْ عَمْ بِـنْلَـيِّكْ لـخْيالِـكْ
ظَلّي انتِبْهي عذْروسِكْ شو ما كَمْنَـتْنا قبالِـكْ
بْعِيدة وما فيـنا نْبوسِـكْ تْـصَـوَّرْنا وشَيَّـرْنالِـكْ

يالللللـــــــــــه!

٢٣ كانون الثاني

ماتَ المَلِكُ! عاشَ الملك! ولكن... مرّةً بعد مرّةٍ، ترتفع نسبةُ الموت في عيش الملك الجديد! هذا يسمّى «النظام»! [هذه المرّة سارعَت العائلة المالكة السعودية إلى ما بدا معالجةً لمشكلة الحياة والموت هذه!]

٢٣ كانون الثاني

بيّنٌ أن اللبنانيين من ذوي الاختصاص لا يعتمدون في صنع المناقيش على عشبة الصعتر الهزيلة بل على الأشجار العظيمة التي يسلّطون عليها

الطائر المعروف عند والت ديزني بـ«نقّار الخشب» أو الدودة المعروفة عندنا بـ«البعَّيْنة» فيحوّلان جذوعها إلى ما يشبه النخالة. ويقال أن بعض مربّي الديدان أصبح مصمّمًا على عرض «البعّينة» على غينس بالنظر إلى قدرة الدودة الواحدة على تقديم مادّة كافية لصنع ألوف المناقيش.

#لا_حدود_للطموح_اللبناني

٢٣ كانون الثاني

بعد مَلِكين أو ثلاثة قد تصبح حالُ وليّ العهد السعودي مشابِهةً لحال الناخب اللبناني: «ميّت منذ أكثر من عشر سنوات»! [جَرى تداركُ هذا الاحتمال بعد حين!]

٢٣ كانون الثاني

بَعْدَ بو تفليقة والباجي السبسي وسلمان كَبُرَت حظوظُ العماد عون عندنا. لا أتهكّمُ بكبار السنّ وقد أصبحتُ أحدَهم. ولكنّني راضٍ بالتقاعد ولا مَطْمَع لي في العرش البريطاني.

٢٥ كانون الثاني

[هذه صورة] شيماء الصبّاغ ووراءها النيل.

٢٦ كانون الثاني

أَكْثَرُ الناس يَكْتفون بالنظر إلى القاتل ليرَوا إن كان ينبغي تثقيلُ الجُرْمِ عليه أم التِماسُ العُذْرِ له. فهُم يَكْرهون قاتلًا ويحبّون آخر ولا يُهمّهم أن يكونَ الجُرْمُ هو نفسه.

أيّها السادةُ! لا بدَّ من نظرةٍ تُلْقُونَها على القتيل!

٢٦ كانون الثاني

شعارٌ مقترَح لمستقبَلِ حنّا غريب:

Left or leftovers? That is the question!

٢٧ كانون الثاني

[في موضوع الزيجات المدنية، نعاين] الوزير والموظّف حين يتّخذان لنفسيهما صفةَ الشارع وكأنّما يُعثر عليها في الشارع...

٢٨ كانون الثاني

لِذَوِي الجندي الإسباني الذي قُتِلَ اليومَ على حدودنا الجنوبية أُسْوَةٌ بأَسَرِنا. نحن كَبْشٌ مُدْمِنٌ للمَحارِق القريبة والبعيدة.

#كَبْشٌ_بقُرونٍ_كثيرة

٢٨ كانون الثاني

أعْرِفُ ما تعني أ.د. (الأستاذ الدكتور). اليومَ وقعتُ لأوّل مرّةٍ في حياتي على أ.م.د. فوقعتُ في حِيصَ بِيصَ. هل أقولُ «الأستاذ المُحنَّك الدكتور» أمْ «الأستاذ المُفَدّى الدكتور»؟ أم هذه الميمُ شيءٌ آخر كَبَتْ دونَه مخيّلتي؟ النجدة!

٣٠ كانون الثاني

كثيرًا ما نقَعُ في كلام معاصرينا على قولهم «بالكادِ». ولا توجَد هذه العبارة في ثَبَتٍ من أثْباتِ اللغة. وقد سألَ عنها سائلون على الشبكة وراجعتُ الأجوبةَ فلم أجد فيها ما يروي غُلّةً. وأوّلُ ما يخطر للمتأمل ردُّها إلى فعلِ المقاربة «كادَ، يكادُ». وليس ذلك بشيءٍ. فإن مَصْدرَ

هذا الفعل هو «كَيْدٌ» في بعض الأقوال و«كَوْدٌ» في أخرى ولا وجودَ لـ«كادٍ» بصيغة المصدر ولا الاسم. هذا والمصدران المشارُ إليهما غيرُ مستعملَيْن، على قول بعضهم، فلا يوجَدان إلا في المعاجم. والفعل هو الوحيد المستعمل، في ظاهر الحال، من هذه المادّة.

ويرْجَح عندي أشَدَّ الرجَحان أن الأصلَ الفصيح للعبارةِ المُشْكِلة هو «بالكأْدِ». فإن في الأصل الثلاثي «ك أ د» معنى الشِدّة والمَشَقّة وفيه أيضًا معنى الكآبة والحُزن. ونقعُ في المعاجم على «كأَدَ كأْدًا» بهذا المعنى. فإذا قلتَ «بالكأْدِ سَبَقْتُك» كان معناها «سبقتُك بشِقّ النفس». ومن ذلك «العقبة الكَؤود» أو «الكَأْداء».

يبقى أن الهمزةَ التي في وسط «كأْد» حرفٌ صحيح وأن هذا المصدر ثلاثيٌّ صحيحٌ لا علّةَ فيه. فلا وجهَ مقبولًا (من قبيل السجع أو الضرورة العروضية) لتخفيف هذه الهمزة. ويبقى الأصوب (في ما أرى) أن نقول «بالكأْدِ» وليس «بالكادِ». ويشبه ذلك قولُك «وأْدُ البنات» ولا تقولُ «وادُهُنّ» و«رأْدُ الضحى» ولا تقولُ «رادُهُ». ولكن معاصرينا استَثْقَلوا الهمزةَ الساكنة في وسط «كأْد» – على ما يظهر – فأطاحوها. وقد شاعَ ذلك وذاع. فيبقى لك أن تَرْجِع بالعبارة إلى أصلها أو أن تُحَوقِلَ ثم تقول كما يقولون.

٣١ كانون الثاني

ما يستفادُ من الاستماع إلى الملك السعودي الجديد وإلى الملك الراحل قبْلَه وإلى وزير الخارجية قبْلَهما أن القسمةَ المشهورة التي يقال أن المملكةَ السعودية تأسّسَت عليها قد أَلْزَمَت آلَ سعود بالتخلّي عن مَخارج الحروف لآلِ الشيخ.

١ شباط

لطالما اعتقدتُ أن الأنظمة السياسية والثورات تكتفي باستخدام المثقّفين، وعلى الأخصّ منهم من يوصفون بـ«المفكّرين»، مأجورين أو متطوّعين. ولكن لا الأنظمة السياسية ولا الثورات تطيع هؤلاء أو تعمل بهَدْيِهم. يصحّ هذا في الأحياء منهم ويصحّ أيضًا في الأموات بمقدار ما تقبل أفكارهم التزييف ليمكن استعمالها في تبييض الأفعال.

ولكن هؤلاء القوم قلّما يرون في أنفسهم هذا الرأي. فلا يلاحظون، عادةً، أنهم يطيعون أكثر بكثيرٍ ممّا يُطاعون ويَسْتهدون أكثرَ بكثيرٍ ممّا يَهْدون. بل يطيب لهم أن ينسبوا إلى أنفسهم ما في سِيَر الأنظمة والثورات من خيرٍ ومن شرّ، من فشلٍ ومن نجاح. عليه يتحوّل البحث في مصيرِ هذا النظام أو تلك الثورة عندهم إلى سجالٍ بينهم مداره طاعة النظام أو الثورة هذا أو ذاك من بينهم وعصيانه أو عصيانها ذاك أو هذا.

هذا اللَغْو سَمادٌ ملائمٌ لزهر النَرْجِس الفردي والفئوي، بطبيعة الحال. ولكنه يفيض، في واقع الحال، من كلّ جانبٍ، عن طاقة هؤلاء الكرام وحقيقة أمرهم...

٢ شباط

بالقياس إلى ابنِ جَريرٍ الطَبَري أو إلى عزمي بشارة، يُعْتبر اللهُ مؤلّفًا مُقِلًّا. فهو قد أمْلى كتابًا واحدًا متوسّطَ الحجم وترك للحُفّاظ والكَتَبة جَمْعَ المخطوط بعد أن تفرّقت أجزاؤه بين البيوت والقلوب.

قَبْلَ ذلك بزمنٍ طويل، كان قد عزّ على الله اختلافُ الروايات الكثيرة التي حظيت بها سيرةُ ابنه الوحيد فأَوْعَز بمراجعتها واعتمادِ ما يناسب منها. عليه حَظِيَ الابنُ الشهيدُ بعطفٍ مديدٍ واسعِ النطاق على

الرغم من بُعْدِ الشَبَه بينه وبين باسلٍ أو بينه وبين عُدَيّ أو قُصَيّ.

قَبْلَ ذلك أيضًا بزمنٍ أطول، كان الله قد وضع توقيعه، متسلّحًا بما نسمّيه «الإشراف» أو «التحرير» (على غِرارِ ما يفعل مُسْتَعْجِلو الترقيةِ من أساتذة الجامعات في أيّامنا) على كتابٍ ثالثٍ ألّفَه آخرون كثيرون. وقد بقي الكتابُ الجماعيّ المذكور إلى اليوم محتاجًا أشدّ الاحتياج إلى تحرير.

أَوْرَثَتْ هذه الاستهانةُ بجماهير القرّاء، من جانبِ مؤلّفٍ وصفَ نفْسَه بالتعالي، خلافاتٍ لا حصْرَ لها في فهمِ مَقاصده ورَغَباته. وهو قد ترك الأمورَ تَسوءُ كثيرًا بين مُريديه المتحمّسين من القرّاء مئاتٍ كثيرةً من السنين كان الوقتُ فيها متّسِعًا للإدلاء بما يَلْزَم من إيضاحات. وذلك أن نيتشه لم يُعْلِن وفاةَ هذا المؤلّف إلا قبل نيّفٍ ومائةِ سنة. وهذا إعلانٌ تعذّرَ التثبّتُ من صحّته فلم يَزِدْ المشاحناتِ وسَفْكَ الدماء ونَشْرَ الخَراب بين الورثة من القرّاء وغيرهم إلا طغيانًا وسوءًا.

وأمّا الطبعاتُ التي صدَرَت من كتبِ المؤلّف فلا تُحْصى. ولا يُحْصى ما جمَعَه الناشرون والمُحيطون بهم من أرباح. والمؤسفُ أن صمْتَ المؤلّفِ لا يُبيح أن توضَعَ على الطبعات المُتوالية تلك العبارةُ التي يضعها مؤلّفو الكتبِ المدرسية على كُتُبهم: «طبعةٌ جديدة مزيدة ومنقّحة».

٢ شباط

الإقدامُ الذي هو صفةٌ محمودةٌ في الإنسان الفرد ليس قرينةً كافية، في السياسة، على الوقوف في جهة الحقّ أو في جهة الصواب. هو لا يقفلُ، بحدّ ذاته، أيّ بابٍ من أبواب النقد. بل تبقى الأسئلةُ المطروحةُ قَبْلَه مطروحةً بَعْدَه وقد يُزاد عليها غيرُها.

الشُبّانُ الذين يفجّرون أنفسَهم في طول هذا «الهلال الخصيب» وعَرْضه، وقد بلَغ عددُهم مئاتٍ كثيرة في السنين العشر الماضية، شُبّانٌ مِقْدامونَ جدًّا: مِقْدامونَ إلى حَدّ التضحية بالنفس.

ولكن معظمَهم فجَّرَ نفْسَه ليَقْتُلَ مواطنين لهُ لا يُعْرَف لهم ذنبٌ سوى انتمائهم الطائفي أو ما شاكَل ذلك.

كلّ عدوٍّ يَسَعُه أن يكون شجاعًا أيضًا وإن يَكُنْ معتدِيًا.

فمَنْ أرادَ دليلًا إلى الحقّ أو إلى الصواب في السياسة فليَبْحَثْ عنه في غير هذه الدائرة.

٣ شباط

أَخْشى، إذا تيسَّرَ مَن يَنْظر إلينا من كوكبٍ آخَر، أن نبدو له هَزْليّين إلى دَرَجةٍ لا تُطاق.

ملاحظة: لا أَسْتَثْني الحَرْبَ المَذْهبيّة ولا مُؤَخّرة كيم كارديشيان.

٣ شباط

ما جرى لـ[الطيّار الأردني الأسير الذي أحرقته «داعش»] معاذ الكساسبة يقلع الرغبة في الكلام من أصلها.

٤ شباط

شيخُ الأزهر[في دعوته إلى قَتْل الإرهابيين وصَلْبهم وتقطيع أيديهم وأرجلهم] أرادَ أن يُكَحِّلها فأَعْماها.

جيّد جدًّا!

هذا يبدّد شيئًا من طوَفانِ الكذبِ المعسول الذي يَسْبح فيه جمهورُ المسلمين.

هذا يُسْعِف في إخراج المشكلة إلى النور بما هي عليه من عُمْقٍ وسَعَة!

٦ شباط

أُزيلت الصور والشعارات الحزبية في المدن اللبنانية «بمواكبة» التنظيمات المعنية.

اللي قال «ابليس ما بيخرب بيتو بإيدو» ييجي يشوف!

٧ شباط

في الشعرية اللبنانية التي تتوالى نَماذِجُها على حيطان الفيسبوك وفي الزوايا المعدّة لاستقبالها من الصحف تطغى مؤثّراتٌ حسيّةٌ بالغة العنف تُستعار عادةً من مصادر الطاقة الكونية. فإذا شموسٌ تتساقط من سقفٍ وبراكينُ تتفجّر تحت لحافٍ وأمطارُ نجومٍ تهطل من عينين، إلخ.، إلخ. هذا ناهيك بما هو أرضيّ من قبيل الورود التي تتفتّح أطنانًا أو كوكتيل التراب والدم والنيران الذي تسقي أنهارُه الولاداتِ والغابات والعواطفَ أو الجثثِ والصخور والغيوم السود التي تحتلّ الأحلام وترزح على الأيام.

يشبه هذا الطوفانُ، من جهةٍ ما، أفلامَ موجةٍ أميركية مدارُها حربُ النجوم أو المخلوقاتُ الخرافيةُ الأحجامِ والقوّة التي تَعيثُ دَمارًا في المدن أو البشرُ الخارقون الذين يواجهون مؤامراتٍ تُسْنِدها دولٌ وجيوشٌ وأساطيلُ ويأتون بالمعجزات، إلخ. غير أن موجتنا تُعْوِزها الدُرْبةُ التقنية فتستمدّ ما تحتاج إليه من مَشاع الطبيعة.

في الحالتين، يظهر بجلاء فقرُ المخيلة وسيادةُ البلادة وتظهر، على الخصوص، جسامة العنف السائد، على اختلاف أنواعه، تُقابله ضحالةُ الحياة العاديّة وقد أصبحَت عاجزةً عن توليد الشعر.

٩ شباط

بَلَغ الانحيازُ إلى الذكور مبلغًا من الفقهاء جَعَلهم لا يَصِفون المرأةَ التي تُقْدِم على الزنا بـ«الزانية». فـ«الزانية» اسمُ فاعلٍ والمرأةُ عندهم لا تكون في هذا المَعْرِض إلّا مفعولًا بها. لذا يقولون دائمًا: «امرأةٌ مَزْنيٌّ بها»!!

١١ شباط

المزيدُ من القتل يقتُل فظاعةَ القتل.

هذا ما يقوله دمارُ دوما ويعرفه الطاغيةُ ومُشارِكوه.

قبل سنتينِ أو ثلاثٍ، كان يقالُ أن العرضَ المباشرَ للفظائع ساعةً بساعة أمامَ أبصارِ العالَم بات يجعلُ من المُحالِ أن يَمضيَ الطغاةُ فيها قُدُمًا وأن يصمُدوا طويلًا.

اليوم نَعْلَم أن هذا القولَ كان فيه سوءُ تقديرٍ لمخزونِ الوقاحةِ عند بعض الطغاة ولمنسوبِ السفالةِ والبلادةِ في سلوك العالَم.

١٢ شباط

لو صحَّ أن الناسَ يَقْنَعُون بأَهْوَنِ الشُرور (أو الشَرَّين) في كلِّ حينٍ لتَجَمَّد التاريخُ من أَوَّلِه وامتَنَع التَوْقُ إلى الجديد الأفضل والسَعْيُ إلى تحقيقه.

١٣ شباط

الذين يَخْلُدون في مواقعهم رؤساءَ دولٍ أو زعماءَ أحزابٍ عشراتٍ من السنين يبعثون إلى شعبهم أو إلى جمهورهم رسالةً كلّية الصراحة هي أنه عقيم لا يستأهل غير الاستبداد. وحين يكون هذا النوع من الخلود

تقليدًا متّبعًا من قرونٍ، على اختلاف المواقع والأوضاع، لا يُسْتَغرب أن يسلّمَ بدعواهُم هذه كثيرٌ من الناس.

١٣ شباط

على حدّ علمي (وهو علمٌ ناقصٌ، لا ريب!)،لا يبذل مثقّفو الثورة السورية جهدًا يذكر للتعريف الاجتماعي السياسي بالقيادات التي تقلّبت على هذه الثورة: في الداخل وفي الخارج، في المضمارين السياسي والعسكري.

لا نَعْرف من أعمال المثقفين من أين خَرَجَت هذه القيادات ولا كيف فَرَضت نفسها وكيف تشكّلت قواعدُها ولا كيف استأثرت اللغةُ الإسلامية بخطابها بعد حينٍ وكيف تفرّعت هذه اللغة. ولا تبدو مُقْنِعةً نسبةُ هذا التردّي وهذا التزمّت بأَسْرِهما إلى الأثر السعودي والقطري، على الرغم من القبح المؤكّد لهذا الأثر. ولا يبدو كافيًا تفسيرُ البؤس الذي ميّز هذه القيادات بعباراتٍ من قبيل «شَلَل الحياة السياسية في ظلّ النظام الأسدي» وما نَتَج عن هذا الشلل من «فقدان الخبرة السياسية».

تحتاج المسألةُ كلّها إلى درسٍ استقصائي قد يَصُحّ أن ينطلق، قَبْلَ الطموح إلى صورةٍ جامعة، من حالاتٍ جزئية (أي من مُدُنٍ أو من أحياء، من مناطقَ أو من تشكيلاتٍ، من هيئاتٍ أو من... أشخاصٍ، إذا احتاج الأمر).

مسألة القيادات هذه حاسمةٌ لأن الواجهةَ السياسية للثورة السورية قد تكونُ أسوأَ واجهةٍ عَرَفَتْها ثورةٌ في هذا العصر. وقد كان نكبةً لهذه الثورة-الملحمة أنه لم يَظْهَر، في أيّ وقتٍ، جوابٌ معلّل شافٍ للسؤال: «من يقودُ سورية بَعْدَ نظام الأسد وكيف تُدار؟»

١٥ شباط

من أبو ظبي، وَعَدَ «مجلسُ حُكَماء المسلمين»، يومَ أمس، بنشر «صحيح الإسلام»... ودعا إلى «تَلاقُح الثقافات».

لا جِدالَ في أن الدعوةَ إلى التلاقح، أيًّا يَكُنْ، جاءت في أوانِها يومَ فالنتاين.

ولكن يُلاحَظُ أن «المجلس» لا يَضُمّ بين أعضائه سوى امرأةٍ واحدة (لفت نظري إلى وجودها بعض أصحابنا وبقيتُ في شكٍّ من أَمْرِها بسببِ وَصْفِها بـ«الأستاذ» في الخبر وتَعَذُّرِ الجَزْم بظُهورِها في الصورة).

لم تُدْعَ إلى عضويّة «المجلس»، مثلًا، حركةُ «مساواة» العالمية التي تسعى المجتهداتُ من عُضْواتها إلى تقديم قراءةٍ نسويّة للقرآن والسُنّة...

مع ذلك، بدا فألًا حسنًا أن تجوالَ النساء لم يُمْنَع في دائرةٍ قُطْرُها نصفُ ميلٍ حَوْلَ مكان الاجتماع تَفادِيًا من نَقْضِ وُضوءِ المجتمعين.

على أن هذه الحالَ بقيَت تشي بنقصِ الإدراك لأَدْنى شُروطِ التلاقحِ مِنْ أيِّ نوعٍ كان.

١٦ شباط

ليس في بحر ليبيا متّسعٌ لهذا الدم.

من أين ينبع طوفانُ العار الذي تلْطُم أمواجُه وجوهَنا؟

١٦ شباط

إذا صَحَّ أن المستقبلَ هو للإسلام السياسي كان معنى ذلك أن الشُعوبَ الإسلامية لا مستقبلَ لها. لا أحتاجُ إلى القول أن هذا الرأي لا يستثني

مَذْهبًا أو فَرْعًا من مذهبٍ ولا نظامًا أو تنظيمًا مذهبيًا: رَجْعيًّا كان النظام أو التنظيم (في اعتبارنا) أمْ ثَوْريًا (في اعتباره لنفسه). وذلك أنه يستحيل استحالةً أصلية أن تَقْرُن مذهبًا من مذاهب الدين بسُلطةٍ، في عالَمنا الإسلاميّ هذا، دون التأسيس لنارٍ «وُقودُها الناسُ والحجارة».

١٧ شباط

نَتَّخِذ كَبِدَ الحقيقة هَدَفًا كلَّ يومٍ ونقول «أَصَبْناها». فلا عَجَبَ أن تكونَ الحقيقةُ قد تُوُفِّيَت في ديارِنا متأثّرةً بجِراحِها.

١٨ شباط

أصبحتُ كلّما قرأتُ كلمةَ «تفكيك» أتحسَّسُ مسدّسي.

(أتحسَّسُه لأفكّكَه فلا أجدُ أثرًا لمسدّس وأكتفي بحَكٍّ موضعِ الحِزام).

لا أُحبُّ جاك دريدا! القليلُ الذي صبرتُ على قراءته منه أقنعَني بأنه يُتْقِن قولَ الأشياءِ البسيطة بقَدْرٍ من التعقيدِ يَفوقُ احتمالَها ويَقْطَع الشهيّةَ لفَهْمِها. وهذا مع أنّني أَقْبَل أن تكونَ النصوصُ صعبةً. بل أستطيبُ صعوبتَها إذا كان في الحَصادِ أو في مُجَرَّد المِراسِ ما يُسَوِّغ الصعوبة.

وأمّا «التفكيك» العربيّ فلا يكفيه أنه لم يَحْمِل معه المضمونَ الاصطلاحيَّ للمصطلحِ الفرنسي وإنّما أَفْقَدَ التكرارُ الكلمةَ العربيةَ معناها اللغويَّ أيضًا.

٢٠ شباط

سألَ فَسْبوكيٌّ فِرِنْدًا له:

أتَعْلَمُ مَن أشْعَرُ العرب اليوم؟
قال: هو القائل:
«يا فْـرِنْـدَة الجَنَّنتيني أُوعـي تْـأنّـفْرِنْـدِيـنـي»

قال: خَسِئتَ! بل هو صاحب أُغْنية «أبدَيْتَيْتي سْتاتُوسِكْ!»
غُورْ من وِشّي يا هذا، لأُمِّكَ الهَبَل!
قال هذا ومَضى في سبيله وهو يَحْلُم بلقاءٍ أو لقاءات تعينه على فَهْمِ نظامِ العلاقات بين ما يجري على أَلْسِنَتِنا من غريب اللغات!
من ٢٦ إلى ٢٨ الجاري تنظّم جمعية «أشكال ألوان» ورشة عمل يَتداول فيها عددٌ من أصحاب الخبرة موضوع «اللغة العربية وشبكات التواصل». إشراف: أحمد بيضون ومَنال خضر. للاطّلاع على مزيد من التفاصيل، انظُرْ على الفيسبوك:
اللغة العربية اليوم

٢٠ شباط

نحن بانتظار بشير هلال. طال تأخّره عن مواعيدَ كثيرة، وهذا لا يُعْجِبنا!

٢١ شباط

لا يزيدُني مرورُ السنين إلا إعجابًا بقولِ رئيسِ الجمهورية اللبنانية شارل حلو لوفدٍ من الصحافيين اللبنانيين حَضَر لزيارتِه في القصر الجمهوري ذاتَ يومٍ: «أهلًا بكم في وطنكم الثاني لبنان!»

٢١ شباط

كان الشاعرُ الفرنسي جاك بريفير يُحِبّ قَوْلَةَ سَلَفِه جيرار دو نرفال: «الجَهْلُ لا يُتعَلَّم!»

لو كان هذا يَصُحُّ في أيّامِنا هذه ودِيارِنا هذه فما الداعي إلى هذا الإنفاقِ المَهول على تعليمِ الجَهْل بالاستكثارِ المَحْموم من المَعابدِ ومن الفضائيّات، من الجَرائدِ ومن الإذاعات، من المَدارسِ ومن الجامعات، من الكُتُبِ ومن المَجلّاتِ، من الأَحْزابِ ومن الجَمْعيّاتِ، من العَمائم ومن القَلَنْسُوات، إلخ.، إلخ.؟

٢٢ شباط

لنا ابنُ عمٍّ معروفٌ بظُرْفه كان يَحْضُر لزيارتنا في بنت جبيل، بين حينٍ وآخر، قَبْلَ الحربِ والاحتلال وقَبْلَ هجرته البعيدة الطويلة. وكان ما إن يستقرّ به المقامُ بيْننا في غرفة العائلة حتى يشعل سيجارتَه ويباشر نفضَ رمادِها على الأرض. فكانت والدتي تقول له: «المنفضة قدّامك يا سمير!». وكان يجيبها: «وَلَوْ يا مْراة عمّي شو أنا غريب؟»...

٢٣ شباط

بَيْنَ أصحابِ هذه الصفحةِ ومُتابِعيها (وهم بضعةُ آلافٍ) ١٠ إلى ١٥ فردًا لا يحظى برضاهم إلا الكلامُ الذي فيه نقدٌ لآلِ سُعودٍ أو لآل ثاني ولأشْباهِهِم. وبينهم ١٠ إلى ١٥ فردًا آخرين لا يُبْدون استحسانًا للنقد إلا حين يَتَناولُ الخُمَيْنيّين وأشْياعَهُم. ويُخْفي الأوّلون وجوهَهم حين يُنْتَقد الطرَفُ الذي يُوالونه ويفعلُ الآخِرون الشيءَ نفسه.

الأمرُ نَفْسُه يقُالُ حين يَتَناولُ الكلامُ النظامين السوري والعراقي، من جهة، أو داعش وأضرابَها من الجهة الأخرى.

وقد يُجْمِع الطرفان - مشكورَيْن - (ولكن دونَ استغناءٍ عن التناكُد) على كلامٍ يتعلّق بإسرائيل والفلسطينيين. غيرَ أن كلَّ مالكٍ لقُواهُ العقلية يُدْرِك أن الأمرَ لا يتعلّق، من حيثُ الأساس، بإسرائيل ولا بالفلسطينيين. فإن مطلوبَ الفريقين الراعِيَيْن هو السيطرةُ الرمزية أو المعنوية على «فلسطينٍ بلا فلسطينيّين». وذلك باعتبار هذه السيطرة (التي لا يزالُ يُسْفَك من أجْلِها دمُ فلسطينيّ لم يَبْرَأْ من سَفْكِه أيُّ من الفريقين) مدخلًا رئيسًا - فَضْلًا عن مَزاياها الإستراتيجية - إلى الاغتصاب الرمزي أو المعنوي لزعامة العالم العربي وإلى التصرّف، من ثَمَّ، برأسِ المال هذا في مُقايَضاتٍ لا صالِحَ فيها لشعوب هذا العالم.

هذا كلُّه من قَبيل المِثالِ لا الحَصْر.

هؤلاء السادةُ والسيداتُ مخطئون جدًّا إن كانوا يظنّون أن ثمّة طَرَفًا يُنْتَقدُ ههنا إرضاءً لآخر. فالواقع أن من يُتَناوَلُ بالنقد إنّما يُنْتَقد باسم قِيَمٍ وحقوقٍ ومَصالحَ للبَشَر لا يَرْعاها. وهي قِيَمٌ وحقوقٌ ومصالحُ تبتغي هذه الصفحةُ رعايتَها وتَنْتَقِد كلَّ من لا يَرْعاها. هذا في الحقوق.

في السياسة، يرى صاحبُ هذه الصفحة أن كلّ مجتمعٍ يَحْكُمه مذهبٌ من مذاهب الدين أو تَسُودُ سياستَه المواجَهةُ المذهبية إنما يَحْكُمه الاستبدادُ والفسادُ ويتّجه نحو حربٍ أهلية يصعُبُ كثيرًا أن تقومَ له قائمةٌ بعدَها. هذا إن لم تكن هذه الحرب قد بدأَت فعلًا وظهرَت عواقبُها.

وأمّا المَنافعُ الكبيرةُ والصغيرة، المادّيةُ والمعنويةُ، التي تَحْصُدها جماعةٌ من الجماعات من جرّاء اعتناق السياسة المذهبية والولاءِ لِمَصْدَرِها فإنّما هي الإبرةُ التي يَذْكُرُها المأثورُ الشعبي وتأتي بَعْدَها المِسَلّة.

فمن كان يُبْدي الرِضا مفترِضًا أن في نَقْدِ من يُعاديهم هنا مَكْسَبًا لمن يُواليهِم من أَهْلِ المَذْهَبية المُقابِلة أخطأَ الهدَفَ ووَقَعَ رِضاه في غيرِ

مَحلّه. فيُسْتَحسن أن يوفّرَ جُهْدَه لما هو أقربُ إلى دَعْواه وأنفعُ لقَضِيّته.

٢٣ شباط

يغيب كثيرٌ من الأُنس عن صحبة المثقّفين العرب في باريس وكثيرٌ من الصدق في الانتصار للحرّية إذ يغيب بشير هلال. ما كان هذا أملنا فيه وهو الذي كان حاضرًا حيث يحلو الحضور وحيث يدعو الشرف.

٢٥ شباط

قبل أعوامٍ كثيرة، كانت فيروز تعبّر عن التصميم على البقاء بقَوْلَتِها: «بنْكَمِّل بِللي بِقْيو!»

بعد «جبال الصوّان»، حصَلَت في البلاد حروبٌ وتشعّبَت دروب... إلى أن تمادى التخبّط في ما يشبه اللعنةَ أو المأزق الذي لا منفذَ له. وبدا أن الشِعارَ يوشكُ أن يحوِّرَه خَلَلٌ قاهرٌ في ذاكرة القوم فيُمْسي أشبهَ بالوعيد منه بالوعد: «بنْكَمِّل عللي بقيو»!

ولا من يرعوي...

٢٦ شباط

نجا سعدٌ [إذ عاوَدَ السفرَ بعد زيارةٍ خاطفة للبلاد...] وقد بقيَ سُعَيْد!

٢٧ شباط

يُسْدِلُ أوباشُ داعش بيننا وبين أنفسِنا ستارًا أسود. ليست التماثيل أصنامًا. التماثيل صُوَرُنا الداخلية وهي، بكثرتها وتنوّعها، وجوهٌ وطبقاتٌ من أنفسنا أو هي احتمالاتٌ حرّة لصُوَرِنا عن أنفسنا. ولمّا كانت قد

برَزَت لنا مجسّمةً متصدّرةً قبل أن تتكاثر معها الصُوَر والنصوص ثم بقيَت تتكاثر مع النصوص والصُوَر، فهي أكثر الروايات استمرارًا لوجودنا وإيحاءً بوجوهه.

وحين يُتْلِفها أوباش داعش وهم يلْبَسون، بخلافِ عادتهم، ثيابًا بيضًا، يموّهون السوادَ الذي يسدلونه على نفوسنا ويستُرون الرغبةَ التي هي رغبتُهم في أن نصبحَ مخلوقاتٍ بلا عمقٍ ولا ملامح، مصابةً بعَمى النَفْس المطبق.

٢٨ شباط

من سنتين أو ثلاثٍ أغالب شعورًا متفاقمًا، وأنا أراقب الحوادث، بأنني أتحوّل من ناقدٍ أو باحثٍ إلى أثَرٍ أو وثيقة!

٤ آذار

معضلةُ الإصلاح الديني أنه «لا يَجُبُّ ما قبلَهُ»، أي: لا يملك أن يَحُولَ دون العودةِ إلى تغليب المذهبِ أو التوجُّهِ الذي يحسَب أنه أزاحَهُ أو أزالَهُ. وذلك أن مذاهبَ الدين تَرَى أنها لا أزمنةَ لها. فهي، لفرْطِ إنكارها للزمن وشدّة ادّعائها الصلاحَ الأبدي، تبدو لنفسها وكأنها ماثلةٌ جنبًا إلى جنبٍ في زمنٍ أو لازمنٍ واحد. لذا يسَعُ «العهدَ البائد» من عهود الدين أن يعود إلى التصدّر وكأنه لم يَنْقَضِ أصلًا. يعود في أيّ وقتٍ تُوْجَد فيه قوّةٌ ذاتُ مصلحةٍ في إحيائه وقدرةٍ عليه. غير أن العائدَ، وإن كان يزعم الأمانةَ المطلقة لصورته، بالضرورة، يأتي مختلفًا، بالضرورة أيضًا، عمّا كانَه في الماضي. وذاك أن الزمنَ الذي يأمُره الدينُ بالتنحّي يهزُّ رأسه ساخرًا ويواصلُ تيّارُه التصرّفَ بالدِّين تصرُّفَهُ بكلِّ شَيْءٍ آخر.

٦ آذار

أظْرَفُ إطراءٍ حَظِيَ به كتابٌ لي جاءَ من هشام عيسى الذي أبْلَغني أن قراءةَ «دفتر الفَسْبَكة» خَفَّضت مُعَدّلَ السُكَّر في دمه... ثمّ راحَ يؤكِّدُ أن قوْلَه هذا ليس مُزاحًا بل هو مُثْبَتٌ بالتحليل المخْبَري!!

أُحاولُ إقناعَ الناشر بعَرْضِ الكتابِ في الصيدليات: مع اتّباعِ الحِمْيَةِ المناسِبة وتناوُلِ الدواءِ في أوقاته ودُعاءِ الوالدَين تُحَصِّلون أحْسَنَ النتائج!

٧ آذار

في ندوةٍ كنتُ فيها مؤخَّرًا، ذكَرَ متحدّثٌ ما سمّاه «الانفجار الشعري على الفيسبوك». سألتُه إن كان قد سَقط ضحايا.

١٠ آذار

من كلام لابن فارس في معجم مقاييس اللغة، مادّة د ي ن، أقتطف أن «المَدينةَ الأَمَةُ» (أي الأُنْثى من الرَقِيق) وأن المَدِينةَ بمعنى البَلَد «سُمّيَت بذلك لأنها تُقامُ فيها طاعةُ ذَوي الأمر».

لو صَحّ هذا لوَجَب على الحُرّ الفِرارُ إلى أبْعَدِ ضَيْعةٍ قبْلَ طلوع النهار!

غير أن ابن منظور يقول:

«مَدَنَ بالمكان: أَقام به، فِعْلٌ مُمات، ومنه المَدِينة، وهي فَعِيلة، وتُجْمَع على مَدائن، بالهَمْز، ومُدْنٍ ومُدُن بالتخفيف والتثقيل؛ وفيه قولٌ آخر: أَنه مَفْعِلة من دِنْتُ أَي مُلِكْتُ؛ قال ابن بَرِّي: لو كانت الميم في مدينة زائدة لم يجز جمعها على مُدْنٍ.» (...)

عليه يكون ابن بَرِّي (وهو أستاذٌ غير «الأستاذ») قد أنقذَ أهْلَ المدن من الشَبَه بالرقيق... أو هو قد حاول مجتهداً،على الأقلّ! فشكرًا له...

١١ آذار

أين يَسَعُ ابنَ آدَمَ أن يَجِدَ لنَفْسِه لَحْظَةَ استِرْخاءٍ، بَعْدَ اليومِ، بينما تُؤْخَذُ لهُ كلُّ هذه الصُوَر؟

١١ آذار

انهارَتْ أسعارُ النفطِ وتدهوَرَ سعرُ صرفِ اليورو وطُمِرَت سلسلةُ الرُتَبِ والرواتب وتغيَّبَ السيّاحُ وامتَنَع المغتربون عن زيارة البلاد... مع ذلك لا تَجِدُ في أسواق بيروت رأسَ بطاطا أو فنجانَ قهوةٍ يطأطئ سعرَه قليلًا... ولا تشتري دواءً إلا ويكون ثَمَنُه قد ارْتَفَع عمّا كانَ في الشهر السابق.

لا يكفي اللبنانيّين أن يتَحَدّوا قانونَ السير أو مُدّةَ صَلاحيةِ السِلَعِ للاستهلاك. هم أيضًا مُرَوِّضو قوانينِ السُوق وقاهِرو العَرْضِ والطَلَب.

١١ آذار

قد تكونُ مسألةُ الإمبراطورية الإيرانية في مُخَيّلةِ أصحابِها مسألةَ فُرْسٍ وغيرِ فُرْس. لكنّها، على الأرض، مسألةٌ مذهبيّة أوّلًا وآخِرًا. هي كذلك ما دامت إيران هي إيران نظامًا وتكوينًا.

لذا لا تستطيع طهران ان تحْكُمَ ما بدأَتْ تُسَمّيه «الشرق الأوسط الإيراني» إلا بالحروب الأهليّة أي بالخراب المعمّم (بمعنَيي العُموم والعَمائم)، وهذا نوعٌ من الخراب لا أُفُقَ له.

يزيد هذا الأُسْلوبَ حَتْميّةً أن إيران لا تَمْلِك القوّةَ ولا المواردَ لاعتمادِ أسلوبِ السيطرةِ المباشِرة وفَرْضِ السِلْمِ فرضًا في الأقطار المَعْنيّة.

الشعوبُ هي الخاسرةُ في هذا المشروع وبينها الشعبُ الإيراني الذي يتحمّلُ أكلافَ نَشْرِه وإدارته.

وأمّا الإمبرياليةُ وإسرائيل فلا يَظْهَر ما قد يُزْعِجُهما فيه.

١٢ آذار

من الذكريات ما يعود في صيغة الحالات لا في صيغة الصور. فلا يكون رأسك محلًّا للتخييل بل يستوي كرةً خَدِرَةً أو شيئًا من هذا القبيل. تسقط الكرة على صدرك فتنفتح أجفانك الثقيلة قليلًا ثم تردّ رأسك بِشَيْءٍ من اللهفة إلى ما تحسبه وضعًا صحيحًا له.

هذا ما كان يَحْصُل لي في البرهة الوجيزة التي استغرقَتْها رحلةُ التاكسي من أمام منزلي إلى مطار بيروت صباح هذا اليوم. ولكن كان يخالط نعاسي شعورٌ بأن هذا الذي يَحْصُل لا يحصل الآن بل هو ما حَصَل في ذلك المطعم من مطاعم واشنطن في تلك الأمسية التي مضى عليها ربع قرنٍ.

كنّا قد وصلنا توًّا إلى الفندق مدعوّين إلى مؤتمر لبناني كبير هناك. كانت الساعة هناك نحو التاسعة ولكن ساعة شبكتي العصبية كانت نحو الرابعة صباحًا. وكان التعب والنعاس قد استحكما في مفاصلي كلّها. مع ذلك خضعتُ وخضع معي أربعةٌ أو خمسةٌ آخرون لإغراءٍ من أحدنا، وكان قد أَلِف العاصمة الأميركية طالبًا، فقادنا راجلِين إلى مطعمٍ غير بعيدٍ عن الفندق.

كانت أضواء المطعم تنعكس لمعانًا هادئًا على الخشب الصقيل القاتم الذي يبطّن الجدران. وقد اتّخذتُ مجلسًا لي بين زميلين على صُفّةٍ طويلة وظهورنا إلى الحائط. كنت أُسْبِل أجفاني فيَسْقُط رأسي على صدري فأنْتبِه وأَرْفَعُه وقد أتناول لقمةً أو رشفةً من الكأس قبل أن يَسْقُطَ رأسي سقطةً أخرى. وكنت أَسْمَع ضَحِكَ جلسائي وأَفْهَم بعض ما يقولون

فأَبْتَسِم ولا أَفُوه بكلمة. لم يقل لي أيّ منهم شيئًا وبدا أنهم لا يعبأون بحالي. ولكنّ نُعاسي هناك كان، على الأرجح، أَهْنَأَ نعاسٍ حصلت عليه في حياتي.

هذا الصباح لم أتذكّر ذلك النعاسَ بالمعنى المألوف للتذكّر وإنما استعَدْتُه دقائقَ قليلةً في التاكسي...

ما الذي حَمَلني الآن على كتابة هذا الذي كتَبْتُه؟ أهو الضَجَرُ في مطار روما أم هي حرفة الأدب؟ الأدب الذي ينشئ حَدَثًا من أيّ لاحدثٍ والذي أعلم أننا نسمِّيه الإنشاء أحيانًا لسببٍ قد يكون أقلّ وجاهةً من هذا السبب بكثير. فإنما هو إنشاءٌ لأنه يُنْشِئ وقائعَ من كلامٍ أو ينشئ الكلامَ وقائعَ.

١٢ آذار

أنا الآن في ليفورنو على الشاطئ التوسكاني. هي ندوةٌ صغيرة هنا أزور بعدها فلورنسا التي أَحْلُم بزيارتها من دهرٍ. لن أسأل هناك عن فخر الدين بل عن مضيفيه من آل مديتشي وعن ميكيل أنجلو.

غير أنني أغتنم هذه الرحلة لأفتتحَ بها أيضًا عطلةً فسبوكية أرجو أن تطول. سأبقي هذا الحائط واقفًا لأعلّق عليه ما قد يُنْشَر لي في مواضعَ أخرى. هذا كل شَيْءٍ بعد السلام.

(أوقفتُ هذه الفسبكة إذن... ولكن بقيت ترِدُ خواطرُ من القبيل الذي أَمْلَت الفسبكةُ أوصافَه فيكاد لا يَصْلُح لشيءٍ إلا لها. دَوَّنْتُ ما يلي من هذه الخواطر على حِدَةٍ ولم أنشرها على الجدار. وضاع بعضٌ آخر من ذاكرتي لأن غيابَ نية النشر كان يجعلني أؤجّل التدوين فينتهي هذا التَكاسُلُ أحيانًا إلى تغييب الخاطرة).

خواطرُ من وراء الحائط ٢ :

٢٠ آذار

... هكذا مَضَيْنا قُدُمًا في قراءة أعمال الجابري لا نُبالي بالأخطار... إلى أن قالت الحداثةُ للتُراث: «زَعَلي طَوَّلْ أنا ويّاكْ...!»

٢٢ آذار

يتراءى لي أن الولاياتِ المتحدة ماضيةٌ، هي أيضًا، في طريق اللَبْننة الذائعة الصيت. فإن طائفة الجمهوريين فيها تستقوي بنظام إسرائيل العنصري على طائفة الديمقراطيين. هذا بينما تلجأ هذه الأخيرة إلى نظام إيران المذهبي فتستثمر اضطرارَه إلى تفريج أَزْمَته الداخلية حروبًا في المحيط لا تزيد الأزمة إلا تفاقمًا. هذه الحروب قد تفلح في إقناع المهدي بالظهور حين تَفْرُغ من مَلْء المحيط ظلمًا وجورًا. وهذا مع العلم أن فَرَجَ المهدي سوف يتوجّه في هذه الحالة إلى غيرِ مَن يستعجلونه. وقد يستنكفُ المهدي عن الظهور أصلًا لعِلْمه أن هذه المِنْطَقة من العالم طالما مُلِئَت ظلمًا وجورًا في غيبتيه الصغرى والكبرى. فلا جديدَ يوجب ظهوره في الزمن الحاضر.

٣ نيسان

على جاري العادة، يَنْشُر مقاولو الخراب بضاعتهم شرقًا وغربًا ويروّج هذا منهم بضاعةَ ذاك. يصدّرونها حتّى لا يموتوا بها. ويتقاتلون على أراضي الغير لِيُبْعِدوا عن أنفسهم كأس الصدام بينهم ولِيَضَعوا أيديهم على ما يجعلونه نفوسًا وديارًا خَرِبة. استتمّوا نشر الخراب في الشمال الشرقي وهاهم يستتمّونه في الجنوب الغربي بعد تلكّؤ. يتخفّفون من حُمولة الخراب في المحيط حيث أوشكوا أن لا يَدَعوا حَجَرًا على حجر. لا غنى

لهم عن هذا لمعرفتهم أن تفرّغ الداخل لهم بلاءٌ لا يحتملونه. ولكن من لا يصدّر غير الخراب تُرَدّ بضاعته إليه ولو بعدَ حين. تردّ إليه مهما تَطُل المهلة. هذه أيضًا عادةٌ من عادات التاريخ. ومن الجِهَتين سيقول كلٌّ إن البادي أظلم. ولكن لا يُقبل حصرُ البشر بين البَصْم على جريمةٍ أولى والبصم على ردٍّ يُبطن جريمةً أخرى. ولو كان هذا النوع من الأَشْراك يقابَل بالتسليم التلقائي لما تحرّك التاريخ من موضعه في أيّ وقتٍ أو موضع.

مَن البادئُ، من بَعْدُ، إن لم يكن وجودُكم نفسه أي وجودُ الدولة المذهبية في الجِهَتين؟

٤ نيسان

مِن الناسِ عندنا (ومن المثقّفين بينهم بخاصّة) كثرةٌ لا يَرَوْن لنا نجاةً من الإمبريالية السائدة إلا بالتبعية لإمبرياليةٍ مُسْتَجَدّة. من رُبْعِ قَرْنٍ أصبح هؤلاء أيتامًا لإمبريالية كبرى قضت نَحْبَها هي الاتّحاد السوفياتي. ومن يومها أصابَهُم نوعٌ من التَصابي في التبعية فراحوا يُوازنون عَداءَهم للإمبريالية الشائخة بمَيْلٍ إلى أخرى ناشئة لا تزال دون سنّ البلوغ. يُؤْثِرون هذه البيدوفيليا الإمبريالية، بما تنطوي عليه من رضًا بقهرٍ للبشر ظاهرٍ في ديار الإمبراطورية البديلة نفسها، على النظر في احتمال الحرّية لأنفسهم ولبلادهم.

قد يكون هذا الخوف من الحرّية إرثًا لقرون بقيت فيها عَظَمةُ السلطان والدولة مشروطةً بِذُلّ بَشَرٍ كان سلامُهم على السلطان تقبيلَ الأرض بين يديه. فهم قد وَجدوا ضالّتهم في «نائب الإمام» المعصوم الذي استوى خليفةً لأباطرةٍ كان الواحد منهم يلقّب نفسه بـ«ظلّ الله على الأرض».

في زمنٍ يظهر فيه جليًّا إلى أيّ قاعٍ يسع السلاطين الذين هم منّا وفينا أن يجرّونا، يراد الانتقال من سلطان الأَباعِد إلى سلطان الأَقارِب. يُسْتَبْعَد النظرُ في أحوال دولٍ كثيرة أصبح لها قَدْرٌ معتبَرٌ من الاستقلال بأمورها وبقيَت أو تحصّلت لمواطنيها حرّياتٌ معتبرةٌ أيضًا. عوض النظر في هذا الاحتمال، يرادُ أيُّ شيءٍ يَسْتَبْعِد الرغبةَ في الحرّية.

هذا وكان الراحل أريك فروم قد ألّف كتابًا بحاله في ما سمّاه «الخوف من الحرّية».

٥ نيسان

كلّ بلادٍ تَطيب فيها الإقامةُ للحرب الأهلية ينتهي بها الدَمارُ والتنازعُ إلى بلادٍ معروضة للاستِتْباع أو للبَيْع، فضلًا عن احتمال تبدُّدها شَذَرَ مَذَر.

وذاك أنها تُقايِض وَحْدتَها، في الحرب، بعطايا الخارج المتقابلة، المُزَكّية للتنازع والخراب، ثم تبيع استقلالَها، بعد الحرب، بالحماية وإعادة الإعمار.

هذا ويزداد الأفق ظُلْمَةً في حالة الدولة الصغيرة الفقيرة أو تلك التي يُحيلُها الدَمارُ والتفكّك إلى وَحَداتٍ كلّها فقيرٌ صغير.

٥ نيسان

ستَبْقى المعارضةُ شديدةً في الصفوف الإسلامية لإقرار المِثْليّين على حقوقهم. وذاك أن الفَصْلَ بين الجنسين هو الرايةُ الكبرى الظاهرة لسُلْطة الفقهاء. لذا كان حَجْبُ النساء أوّلَ ما يَفْعَله المتشدّدون للإعلان عن وَضْع يدِهم على الجماعة كلّها. وأمّا ما يفعلونه بالنساء خلف الحجاب فلا يَقْبلون عنه سؤالًا.

الذين يزوِّجون الطفلةَ ويُفخِّذون الرضيعةَ ويَختِنون الفتاةَ ويَضْرِبون الزوجةَ ويُجيزون اغتصابَها ويتقبّلون جرائمَ الشرف الأسفل ويَهُونُ عندهم الأعلى ويقرّون السَبْيَ ومُلْكَ اليمين: هؤلاء يَرُوعهم اشتهاءُ الذكر للذكر أو الأنثى للأنثى. والذين يزْعُمون الانتصارَ لأقلّياتٍ قومية يمكن الشكّ في انتماء أفرادها إليها ولأخرى مذهبية يمكن الطعن في ولاء أفرادها لمعتقدها يأبَوْن تقبّلَ أقلّيةٍ لا تريد شرًّا بغيرها ولا يدَ لها أصلاً في ما هي عليه ... وإنما ينبغي – إذا اعتمدنا لغةَ الدين – أن يُسأل عن وجهة شهوتها خالقُها.

المشكلةُ أنك إذا أقررتَ هذه الأقلية على ميلها فمن تفصل بعد ذلك عمّن؟ وعن أيّ «جنسين» تتحدّث لتبقى سالمةً هيمنةُ الفقهاء وما يليها من امتيازات، منتشرةً في مسامّ المجتمع كلّها من فراش الزوجية وملحقاته إلى المحاكم الشرعية فإلى رئاسة الدولة وإلى الكامخ بين هذا كلّه؟

٦ نيسان

من سينتفع بنَقْدكم الذاتي، بعد سنين، حين لا يبقى في بلادكم ما يصْلُح للتدمير وتشعرون بوطأة النَعْل الخَصيف على رقابكم؟ سيكون من ماتَ قد ماتَ وما خَرِب قد خَرِب... ولن تكونَ لكم براءة.

٧ نيسان

بِخِلاف ما يزْعُم جيمس بوند، لا تعيش المجلات إلّا ثلاثةَ أعمار. عليه نَنْعى إليكم فصليةَ «كَلِمُنْ» البيروتية التي توفّيت مرّةً ثانية عن اثني عشر عددًا (صفر+١١). هذه مناسبةٌ للقول «عظّمَ الله أجوركم!».

فإن الكتّاب والمحرّرين الذين حَمَلوا هذه المطبوعة الجميلة على راحاتهم

مدّة خمس سنوات تقريبًا وأقاموها من الموت بعد أن أعلنوا رحيلها أوّلَ مرّة قبلَ سنتين كانت أجورهم صفرًا مكعبًا. وَحْدَه، كان الإنتاج الماديّ للمجلّة (أي الطباعة والتصحيح والإخراج) يكلّف مالًا. ولكن بدا متعذّرًا بعد هذه السنين أن تستمرّ هيئة التحرير في اعتبار الكتابة «خُوّةً» تفرض على الكُتّاب. ولم يَثْبُت أن المجلّة وجدت لها مكانًا واضحَ المَعالم تحت الشمس... فآثرت الانتحارَ على الموت بنَفاد العافية.

٩ نيسان

قُلْ لي يا صاحِ ما هو الحَلّ المناسب للمشكلة. طالما أنت مثابرٌ على القول: «هذا الحلّ دخيلٌ وذاك الحلّ أصيل» أو «هذا الحلّ عصريٌّ وذاك الحلّ أكلَ الدهرُ عليه»... ما دمتَ لا ترى أن حلّك الأصيل قد لا يكون سوى إنكارٍ لأصل المشكلة وأن حلّك المتناهي الحداثة قد لا يجاوز زيادة المشكلة استعصاءً...، سأثابر، من جهتي، على القول أنك حمار. متى تدرِكُ أن تغليبَ البحث في أصل الحلّ وفصله قد يكون هو المشكلة أو جانبًا منها وأن الحلّ يُنْظر إلى كونه صالحًا أو غير صالح وأن كلّ صفةٍ أخرى تُنسب إليه لا يَعْتدّ بها إلا الحميرُ أمثالُك؟

١٠ نيسان

في مَساق الحرب المذهبية الجارية بين ظَهْرانَيْنا، مثّلَت الفتوى المتعلّقة بأَكْلِ الزوجة [وقد نُسِبَت إلى المفتي السعودي] فرصةً للذين لفّقوها ليتفوّقوا في السَفاهة على جوقة المُفْتين التي «ضَحِكَت من جهلها الأمم» في السنوات القليلة الماضية... ويقضي الإنصاف بين المذاهب بالإشارة إلى تفوّقهم في الهذيان أيضًا على جوقةِ قرّاء المجالس الحسينية المُتَلْفَزين.

١١ نيسان

يُشْبِه منتدى موسكو السوري – وقد انتهى إلى فَشَلٍ يُعْوِزه الدويّ – لُعْبَةً تُدعى لعبة «عمّي عثمان» كنّا نلعبها ونحن صغار. وهي تقوم على التصافُق بالأيدي مع ذِكْرٍ موزونٍ مقفّى لخبر العمّ المذكور ينتهي بالقول: «عَيَّطْ عَيْطة/هَدّ الحَيْطة/إيدْ مينْ من فوق؟».

وليس مَنْشأُ الشَبَه الأوّل بين المنتدى ولعبة الأطفال وجود «العيطة» في الحالتين. بل هو، قبل ذلك، السؤالُ الذي ينتهي إليه كلٌّ منهما: «إيد مين من فوق؟».

١٦ نيسان

لبنان أصغرْ ولايتي؟...

١٧ نيسان

يستعدّ المشرق والمغرب للاحتفال، بعد أشهر، بالذكرى الثمانين لولادة نُهاد حدّاد التي أصبحَت تُعْرَف بفيروز. ومع أن الرغبة في إخفاء التقدّم في العمر منسوبةٌ إلى النساء، في العادة، فإن العماد ميشال عون هو الذي يبدو راغبًا في إخفاء الثمانين التي بلَغَها فعلاً عن مُواطنيه الفُضوليين.

أقول: هلاّأَتْنيّي، إذا كان عون وفيروز قد ولِدا في سنةٍ واحدة فما الذي يؤخّر تفرّغَ العِماد للغِناء؟

١٩ نيسان

إذا أنْعمْتَ النظر في الناس، واحدًا بعد واحد، تَبيّنَ لك أن أشكالَهم عَجَب. وهو ما يتبين لك أيضًا، بجُهْدٍ أقلّ، إذا أنعمتَ النظرَ في المرآة.

٢٠ نيسان

يبدو ربُّ المسلمين وَلوعًا جدًّا بالحرب في هذه الأيّام. فهو يقاتل على جِهَتي الجبهة معًا في كلّ من الحروب الدائرة بين عباده المؤمنين. وتوحي مَشاهد الحَصائل أنه – سُبْحانَه! – لا يخاف الله!

٢١ نيسان

الذين يَلْفِتوننا كلّما احْتَجَجْنا على دمارِ حمص إلى أن دمار هيروشيما كان أفظع وكلّما ذَكَرنا مجزرةً من مجازر داعش إلى أن الاستعمار الأبيض لأميركا كان أدهى تبدو رغبتُهم عارمةً في أن يستدرك المسلمون تخلّفَهم في هذا المِضْمار أيضًا. هم يطرحون مرّةً أخرى سؤالَ النهضة الثانية المشهور: «لماذا تأخّر المسلمون وتقدَّم غيرُهم؟». وكأنّما يعتمل في نفوسهم حزنٌ دفين لعَجْز بشّار الأسد عن مَحْق حلبٍ ببرميلٍ واحد! بأمثالكم تَعْمُر البلادُ وتُحْفَظ الحقوقُ، أيّها الكرام!

٢٤ نيسان

يُسْتفاد من إشاراتٍ نقع عليها عند طه حسين وآخرين من مُعاصرينا أنهم يرون في قَتْلِ سعدِ بن عُبادة كبيرِ الخَزْرَج والمقدَّم بين الأنصار، في عهد الرسول، افتتاحًا لنوعٍ من الاغتيال السياسيّ في الإسلام. وكان سعد الذي طَلَب الخلافة لنفسه قد أبدى معارضة لبَيْعة السقيفة ثم لاستخلاف أبي بكرٍ عمرًا بن الخطّاب وقُتل في مطلع خلافة هذا الأخير. وفي بعض الروايات أن مَقْتلَ سعد كان في عهد أبي بكر وأنه اغتيل وهو في حوران وقيلَ في حوارين بنواحي حمص. وفي كلّ حال، تُبْرز رواياتُ القدماء من المؤرّخين، ومنهم ابنُ سعد والبخاري، شدّةَ الخلاف بين سعد وعمر.

وقد اتَّهَم مصطفى صادق الرافعي طه حسين بالغَمْز من قناة عمر في كلامه على مقتل سعد. وهذا مع أن طه حسين لا يصرّح بما تصرّح به روايةٌ ينقلها البلاذري وغيره من القدماء ومفادُها أن عمرًا بَعَث برسولٍ إلى سعد وهو في الشام يطالبه بالبيعة ويقْتُله إذا امتنَع. وقد ذهب بعض الشيعة المذهبَ نفسه فردّ بعض أهل السنّة بالقول أن طلَبَ سعد الخلافةَ لنفسه يومَ السقيفة يُثْبت أن الرسول لم يكن أوصى لعليّ. فإن سعدًا كان يعْتَدّ في سعيه إلى المنصب بمكانته عند الرسول ولم يكن ليجرؤ على ما أقدم عليه هو وأصحابه لو وُجد «النصّ» الذي يذكره الشيعة.

على أن ما أُشيع، غداةَ العثور على سعدٍ ميّتًا، كان أن الجِنَّ قتلوه لأنهم وجدوه يَبُول قائمًا خلافًا للسُنّة. ولم يكتم الجنّ فِعْلتهم بل أعلموا بها بعض أهل المدينة في شعرٍ أنشده أحدهم على مسمعٍ من هؤلاء:

قد قَتَلْنا سيّدَ الخزرج سعدَ بنَ عُبادَهْ

إذ رميناهُ بسَهْمَين فلم نخطئ فؤادَهْ

هذا فيما ذهب شاعرٌ من الإنْس مذهبًا آخر إذ قال:

وما ذنبُ سعدٍ أنه بالَ قائمًا ولكنّ سعدًا لم يبايعْ أبا بَكْرِ

❖❖❖

أسوقُ هذا الكلام لأمرين. أوّلهما أن من اغتيلوا في لبنان من ساسةٍ وصحافيين، في الأعوام الأخيرة، كانوا كلّهم، في أرجح الظن، يبولون واقفين. إذ لولا هذا لم تُقْدِم الجنّ على قتلهم، وهو ما قد يتبين لمحكمة لاهاي بعد رحيل رستم غزالي الذي يبدو أنه كان يبولُ وهو قائمٌ أيضًا.

الأمر الثاني أن آل بيضون يَنْسِبون أنفسهم إلى بني بَياضة وهم بطنٌ من الخزرج قبيلةِ سعد. وهو ما يدعوني إلى إنكار ما يزْعُمه ابنُ خلدون

من أن النَسَب «وهمٌ لا حقيقة له» إذ لا مصلحةَ لي في تصديقه. ولا يُستبعد أن يغريني هذا النسب (إذا وجدتُ قميصًا من شُغْل تايوان يصلُحُ لسعد) بمطالبة مُعاصِرِينا من عشيرةِ عمر بن الخطّاب بديّة الرجل: يؤدّونها لي بعد أن يزيدوا عليها ما استحقّ لها من أضعافٍ في أربعة عشر قرنًا بحسب نظام المرابحة الشرعي.

فإن أبرزتُ القميص ولم يستجيبوا فيا لثاراتِ سعد!

٢٤ نيسان

غلطٌ غلطٌ! كلّ شيءٍ غلطٌ

Enfin! ... ما عدا القليل!

٢٦ نيسان

يُشَبّه لنا أحيانًا أن صِدامًا وقَع بين حضارتين ولم يحْضُر الخبيرُ ولم تكن الحضارتان مؤمّنًا عليهما.

٢٦ نيسان

أنهيتُ اليومَ مراجعةً شاقّة لكتاب السنهوري الضخم في الخلافة، وهو إحدى أطروحتين وضعهما (بالفرنسية) حين كان يتدكتر في جامعة ليون. وقد نشرَه في باريس سنة ١٩٢٦. جاءت المراجعةُ طويلة لا تصلح لـ«القدس العربي». فلا أدري أين سأنشرها بعد أن التحقَت فصلية «كلمن» بالمغفور له السنهوري...

بين أنواع الكتابة، أَجِدُ مراجعةَ الكتب واحدًا من أعْسَرها. تعتبره المجلّات عادةً نوعًا ثانويًّا تعْهَد به إلى من يكْتُب عن ظهرِ قلبٍ وقد لا

يقرأ. أتحاشى الإقدامَ على مراجعة كتابٍ أقرأه لعلمي بمقدار ما في العمل من المشقّة. ولكنني أعاود الوقوعَ في التَجْربة مرّةً بعد مرّة وأُسَرُّ كثيرًا حين أبلغ من المهمّة تمامها. التوتُّر في هذا العمل شديدٌ وكُلفته من الوقت مفْرطة. ولكن من لا يعاني هذا النوع من «القراءة»، بينَ حينٍ وآخر، يَخْسَر ما لا تعوّضه كثرةُ الكتب التي يقرأ.

مرّةً أمضيتُ شهرين تامّين لأَكْتبَ مراجعةً من اثنتين وعشرين صفحة لكتابٍ يقع في ستمائة من الصفحات تقريبًا. لم أبدإ الكتابة إلا بعدما ملأتُ دفترًا كبيرًا بملاحظاتٍ محمومة. كنت قد تورّطتُ في وعدٍ قطعْتُه دون رَوِيّة... وحين أنجزتُ المقالة سُرِرْتُ بها كثيرًا ولكنّ عطلة الصيف كانت قد ذهبت أدراجَ المقالة...

٢٦ نيسان

بلا حاجةٍ إلى مَيْلٍ نازيّ (يكفي تذكّر «أسفارجوليفر»)، توحي أطوارُ الهاتف الخَلَوي في عَقْدين من الزمن أن ربّنا كان يسَعُه أن يختصر حجمَ الآدميّ إلى عُشْره مع مضاعفة طاقاته مِرارًا... وذلك دونما مشكلٍ يُذْكر. كم كان ذلك سيطيل في عمر الكوكب وأعمار سكّانه على أنواعهم كلّها!

#لا_اعتراض_على_حكمك_يا_رب!

٢٧ نيسان

غيرُ مرجَّحٍ أن تُجدَّد رخصةُ سَيْرِنا بعدَ اليوم. أشْعُر أنّهم باعونا للكَسْر فعْلاً!

[انتهت الفسبكات من وراء الحائط...]

٣ أيّار

يكْثُر كثيرًا أن نَقَع على من يأْمُرُنا بالنظر إلى مرحلةٍ طويلة عريضة من التاريخ الذي نَنْسِب أنفسنا إليه أو من التاريخ المنسوب إلى غيرنا على أنها كانت كذا وليس كذا.

ويَنْدُر كثيرًا أن يجد مُصْدر الأمر من يسألُه إن كان حضرَتُه قد «نَظَر» بمعنى النظر الفعلي في ما يدعو إلى تغيير النظر فيه. أم هو قد رأى طريقةً بعينها في النظر مناسِبةً لهواه الراهن فأمَرَ الناس باعتمادها؟

٥ أيّار

لعلّ المرحلةَ المملوكية أكثرُ عهود التاريخ الإسلامي استفزازًا للتفكير... كيف أَمْكَن لجماعةٍ من الرقيق المستورَد أن تحْكُم قَلْبَ العالَم الإسلامي (مصر والشام) قرنين ونصفَ قرن وأن تستبقي نفوذًا بارزًا في مصر مدّةَ ثلاثة قرون (عثمانية) لاحقة؟ كيف أَمكن لهذه الجماعة أن تُعوِّل في حِفْظ سلطانها على جيش من الرقيق أيضًا مُكوَّن من أسرى الحروب ومن عبيدٍ كانت تستوردهم مثلما استُورِد الجيلُ الأول مِنْها من قبل؟ كيف أمكن أن يَهْزِم هذا الجيشُ المَغولَ والفَرَنْجةَ معًا؟ كيف أمكن أن يكون هذا العهد، بعد ذلك، واحدًا من أَزْهرِ العهود الإسلامية في التأليف اللغوي والتاريخي وفي سائر علوم الإسلام وفي العمارة الدينية والعسكرية؟

يستحقّ هذا كلّه أعمارَ مؤرّخين تكرّس له... شرطَ أن لا يخرج من بينهم من يَسْتأْنِف البحث عن مملوك جرجي زيدان «الشارد» لتَنْصيبه سلطانًا علينا...

٥ أيّار

الجماعةُ المؤهَّلة للحياة هي تلك التي تدرِكُ أنّ أوّلَ ما ينبغي لها تعلُّمُه من تاريخها هو ما يجب ألّا تفعلَه.

٥ أيّار

في اللغةِ أن المَكانَ مَفْعَلٌ من الكَوْن كما أنّ المَلْعَب مَفْعَلٌ من اللعِب. أي أن المَكانَ هو ما يُكانُ فيه أو هو حيث يحصُل الكَوْن! أليس هذا جميلًا ؟!

٦ أيّار

تَساوى في فضيحة التاريخ البشري التي هي الرِقّ أديانٌ وحضاراتٌ عديدة، مع اختلافٍ بينها في أنظمته. ومن ذلك أن المسلمين لم يفضّلوا، في استِرْقاقهم البشر، أبيضًا على أسود، فاسترقّوا من النوعين. وبلَغَ الأمرُ بالجاحظ أنه ألّفَ رسالةً في «فَخْر السُودان على البِيضان». وكان المسلمون لا يَشْرِطون على الأسير ليستَرِقُّوه أو على العبد ليشتروه إلا أن يكون غير مسلم. فإذا أسلم بعد استرقاقه لم يكن لزامًا عليهم عَتْقه... والراجح أن العرب، وهم أصل الإسلام، لم يكونوا يعرفون أبِيضٌ هم أمْ سودٌ؟ وكانوا يصِفُون أنفُسَهم بالحُمْرة أحيانًا للخُلوص من ورطة التصنيف هذه.

والمهمّ أن اقتناءَ الرقيق في الإسلام كان منزَّهًا عمّا أصبحنا نسمِّيه «التمييز العنصري». فكانت المساواة مصونةً وكان العبد عبدًا والحُرّ حرًّا والسلام. وكان معنى القَوْلة العُمَرية (الذي نحبّ أن يَفُوتَنا) أن بعضَ الناس تلِدُهم أمّهاتُهم عبيدًا بالفعل أو بالقوّة.

اليوم تشترط علينا إسلاموفوبيا الغربيين أن تميل بَشَرتُنا إلى السُمْرة، على الأقلّ، ليبقى كرْهُ البيضِ إيّانا بمَنْجاةٍ من شُبْهةِ الوقوع على الأَشْباه.

ويسألون، بعد ذلك، لماذا نكرههم؟ ذاك، لَعَمْرُ أبيك، ظلْمٌ ما بعده ظلم. فليُنْصِفوا في كُرْهنا، هم أوّلًا، كما أَنْصفْنا في الرقيق منهم ومن غيرهم. ليَكْرَهونا قاطبةً بلا تمييزٍ بين أسودٍ وأبيض، ما داموا يُعْلِنون النفورَ من التمييز... فتستقيمَ الأمورُ بيننا وبينهم إذّاكَ ويأخذَ كلٌّ من الفريقين يحبّ الآخرَ حبًّا جمًّا!

٦ أيّار

هذا الصباح، وضعَت الأميرة ديانا مولودَتها الأولى في جريدة النهار!

هذا ورئيس التحرير والمحرّر في صحّةٍ ممتازة.

٦ أيّار

تَعلّم الترجمةَ بلا مُعلّم: «ما بين قتيلٍ وجريح» معناها في الإعلام المُقاتل «لا قتيل ولا جريح» أي «بخيرٍ والحمدُ لله»!

٧ أيّار

نعرِفُ من خبرة الحرب اللبنانية كم هو سهلٌ جرُّ الناس، في الحرب، بسرابٍ بعدَ سرابٍ بعدَ سراب...

وذاك أن الأعداءَ يتواطؤون في الحرب الأهلية على أمورٍ كثيرة بين أهمِّها إيهامُ الناس، كلّ مدّةٍ، بأن الحربَ أشرفَت على نهاية... ذاك نوعٌ من التوسُّل يتوجّه به المحاربون ومَن وراءَهم إلى الجموع المنهَكة: أن تواصلَ قبولَهم وقبولَ استمرار الحرب...

٧ أيّار

في القرآن: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]

وفي الشعر القديم كثيرٌ من الشواهد التي تجري هذا المَجرى فتَنْسِب العقلَ والشعور إلى القلب ولا تَذْكُر الدماغَ في هذا المَعْرِض. مثالُ ذلك قولُ عنترة:

سَلا القلب عَمّا كان يهْوى ويطْلبُ وأصبحَ لا يشْكو ولا يتعتّبُ
صحا بعدَ سُكْرٍ وانتخى بعد ذِلَّةٍ وقلبُ الذي يهوى العُلى يتقلّبُ

هذا وما زلنا إلى اليوم نميل إلى تحميل القلب ما لا يَحْتَمِل. مثالُ ذلك من كلام المُحْدَثين قولُ شوقي:

حيرانُ القلبِ مُعَذَّبُهُ مقروحُ الجفنِ مُسَهَّدُهُ

ولكنّ كلامَنا في هذا الصدد أصبح يدخُل في باب المَجاز. وذلك لعِلْمٍ كَسَبناه في قرونٍ قليلة مضت مؤدّاه أن القلبَ ما هو إلا مِضخّةٌ لتبديل الدم في الجسم وأن الدماغ هو المُمْسِك بدفّة الفكر والشعور والحركة...

وأمّا كلام القدماء فلم يكن فيه للمَجاز نصيب. بل كان وعاءً لما كانت حدودُ معرفتهم تُظْهره لهم على أنه الحقيقة.

قُلْ: «لله الأمرُ من قبلُ ومن بعدُ ويومئذٍ يفرح المؤمنون» [الروم: ٤].

٧ أيّار

في أن الأبَدَ دخيلٌ على معنى الدولة في اللسان العربي:

عُبَيْلَةُ أيّـامُ الجَمالِ قليلةٌ لها دولةٌ معلومةٌ ثم تَذْهَبُ
(عنترة بن شدّاد)

٧ أيّار

في اللغة أن «الشَمْطاء» هي المرأةُ التي شابَ شعرُها، لا أكثر ولا أقلّ.

غيِّروا رأيَكم إذن: أشهى النساء الشمطاوات!

٩ أيّار

في روايةٍ يُسألُ عنها أصحابُها أن الإمامَ عليًّا كان، في خلافته، يَعْمِد إلى بيت المال مساءَ كلّ خميس فيَقْسِم ما فيه بين المستحِقّين ثم «يَنْضَحه بالماء» ويتْرُكه فارغًا نظيفًا...

لعلّ في هذا ما يفسّر بقاءَ الدولة اللبنانية بلا موازنةٍ عامّة من سنواتٍ عديدة... فإن الميزانيةَ السنوية والخُططَ الخمسية ومالَ الاحتياط أيضًا كلّها بِدَعٌ أدْخَلَها على شَرْع الإسلام معاوية بن أبي سَنْيورة اقتداءً بسيّده قيصر الروم.

وأمّا زيادةُ الدين العام التي تُقسّم على الفور بين المستحقّين وغيرهم فهي سُنّةٌ صحيحة اتّبَعَها معاوية المذكور وثابَر عليها خلفاؤه من أشياع كسرى الفُرْس بهمّةٍ لا تعرِف الفُتور...

٩ أيّار

في جريدةٍ أتابعُها، ثلاثةُ مذيِّلين أو أربعة تظهر أسماؤهم هي نفسها كلَّ يومٍ في أسفلِ موادِّ الجريدة كلّها تقريبًا. هم عيّنوا أنفسَهم هيئةَ تحريرٍ مُوازِية يكتُبون كلَّ يومٍ ما قد يزيد عن الجريدة الأصلية طولًا.

أرى أن تتّخذهم الجريدةُ هيئةَ تحرير أصيلةً لها بعد أن تَصْرِف هيئةَ التحرير الحالية تاركةً لأعضائها أن يذيّلوا بدورهم ما شاؤوا.

هذا يقلّص النفقات كثيرًا لأن المذيّلين يعمَلون، في الظاهر، لوجه الله ومُرادُهم إصلاحُ الأمّة.

أو أن أجهزة الاستخبارات تتحمّل الكلفة المترتّبة على التذييل، في بعض الحالات، مستعينةً الله على هذا العِبْء الزائد (عبءِ العسكر الإلكتروني) الذي لم يكن له وجودٌ قبل عهد الإنترنت.

...ثمّ إننا إذا عمّمنا إجراء التبديل هذا على صحفنا كلّها ارتفع فيها - لا ريب! - منسوبُ البَذاءة التي أصبحت مطلوبةً بما هي بديل للكَفاءة، في هذا العهد الأنْوَر، عند كثرةٍ من الصحف والصحافيين وخصوصًا ما كان مَواقعَ غرّاء ومعلّقين نَحاريرَ على الشبكة.

٩ أيّار

«نَحْنُ نقُصُّ علَيْكَ أَحْسَنَ القَصَصِ» [يُوسُف: ٣].

الشُكْرُ لكَ يا رَبّ! خيرًا تَفْعَلُ والله! فإنّ ضَجَري عظيم!

٩ أيّار

كثيرون يَتّخذون مُسَوّغًا لحياتهم بُغْضَهم دولةً واحدةً أو أُسْرةً واحدة أو شخصًا واحدًا، إلخ. يُبْغِضون من يبغضونه ليلًا ونهارًا، صيفًا وشتاءً... فيَفْقُدون القدرة على التنفّس إن لم يكن شخيرًا في وجه هذا الخصم.

هؤلاء يُخْشى عليهم الانتحار إذا أدركوا كم هو ضيّقٌ عيشُهم: قاعدةً وأفقًا.

تَكْرَه إسرائيل؟ ممتاز! إمْنَحْ نفسك فرصةَ الوقوع في حبّ سعاد حسني على الأقلّ!

على ألّا تحبّها لأنها هي أيضًا كانت تكره إسرائيل...

١٠ أيّار

الظَنّ أن الوَحْدة المبدئية للمَصْلحة الطَبَقية كافيةٌ بذاتها، أو هي كافية بعد وَعْيِها، لتحقيق الوحدة السياسية للطبقة في وجه الخَصْم الطبقي المحدّد مبدئيًا أيضًا ظنٌّ ساذَج يسَعُه، حيث لا تتوافر شروطٌ أخرى، أن ينتهي إلى لا شيءٍ أو أن ينتهي إلى كارثة. الزَعْم الطَبَقي المبدئي الذي لا يَكْترث لصورة المجتمع الكُلّي بعِلاقاتها القائمة وديناميّتها الفعلية إنما يَسْتَوحي، في ما وراء الدعوى المادية، تصوّرًا للطبقة كلّيَّ المِثالية.

كلّ فردٍ أو مجموع (على اختلاف الأصناف) في الطبقة يسَعُه التحسّب من النتيجة الحِسّية لأيّة خَطْوة يُقترح عليه القيام بها. يسعه التحسّبُ من ردٍّ ما يأتي من الجهة الأخرى ويتسبّب بأذىً خاصّ به أو بالمنتمين إليه أو بهزيمة عامّة للمعسكر الذي هو فيه. كلّ فردٍ أو مجموع يسعه أن يقدّر ما تقدّمه إليه انتماءات أخرى هي نفسها المتّهمة بتفتيت الطبقة وبنَشْر التناقض في صفوفها من منافعَ حيويةٍ وحماية حسية. لا يوجد من ليس عنده شيءٌ يخسره «غير القيود». توجد الحياة، على الأقلّ.

ويسع الفردَ أو الفئةَ المحدودة أن توازن بين ما هي حاصلةٌ عليه في مجتمع الاستغلال وما يعرّضها له طلب الخروج من الاستغلال وما يساويه الأمل في هذا الخروج حقيقةً. وكلّما ارتفع الوعي التاريخي ازدادت الحسابات تشعّبًا، بخلافِ ما يُظنّ، وأصبحت الوحدة المبتغاة أصعب منالًا.

وأكثرُ ما يَجُرّ الكوارثَ (أو لا يجرّ شيئًا يستحقّ الذكر) نظريّةٌ ثورية لا تأبه لما تُستطاع معرفته بوسائل العلوم الاجتماعية. المعرفة، لا النظرية،

هي التي يسعها أن تكون ثورية، في وقت من الأوقات، وأن تكون غير ثورية، في وقتٍ آخر، بما هي أمينةٌ لوقائع المجتمع الكُلّي وشبكة علاقاته بسواه ولإمكاناتها في الحالتين.

حاشية: التاريخ (أي معرفة ما في الأزمنة، وهو يشتمل على الأنثروبولوجيا بهذا المعنى) هو المُشْتَمِل على سائر المعارف المتعلقة بالبشر والمجتمعات والمبنيّ عليها في آن. وفي التاريخ يجب احترام «الموضوع» باجتناب ردّه سلفًا إلى غيره. وأما القوانين فيجب أن تبقى فَرْضيات وأن يبقى الباب مفتوحًا أمام الفرضية الجديدة أو المخالفة. والتاريخ الذي يصبح «تطبيقًا» لقانون أو يُقْتَصر من المُعْطَيات على ما يُثْبِت القانونَ يميل حتمًا إلى الببّغاوية المُضِلّة (أي العقيمة والخَطِرة في آن).

١٠ أيّار

يتكاثرُ وَضْعُ «جَوْهَرانية» في المَقالات العربية بإزاء essentialism الإنكليزية. ليس هذا ما أرادَه أرسطو والقُدَماءُ العارفون بمَنْطِقه من مُتَرْجِميه العرب. الجوهر substance، عند أرسطو، هو مسمّى الاسم وحامل «الصفات». وأمّا essence فهو ما يفيده «الحَدّ» أو «التعريف» أي الصِفات مضافةً إلى الجوهر أو الجوهر، لا في ذاته، بل بما هو معرّفٌ بصفاته، وهو ما سمّاه فلاسفة الإسلام «الماهيّة».

عليه تكون «ماهَويّة» هي المُقابل الصحيح لـessentialism. وأما «جوهرانية» فـ«مشغولة» – بعبارة المُعْجَميين – بمقابَلتها substantialism التي هي شيء آخر!... فيكون استعمالُ «جوهرانية» لغرضٍ غير الغرض الذي هي «متفرّغة» له خطأً... خطأً تُفيد خبرتي أن أمثالي أصبحوا عاجزين عن تصحيحه بعد أن شاعَ وذاعَ...

١٠ أيّار

لا بَقاءَ في العَصْر لمن يُدير ظَهْره لكوبرنيكوس وغاليليو، لديكارت وكنط، لداروين وماركس، لنيتشه وفرويد، لأينشتاين وبيكاسو... ولاثنين أو ثلاثة آخرين يَسَعُ أيًّا منّا أن يضيفهم إلى هذه اللائحة المفتوحة.

لا بقاء في العصر لمن يختار البقاء على أرضٍ مسطّحة والإبقاءَ على قِنْديلَيْن يضيئانها في الليل وفي النهار وعلى عَقْلٍ لا استقلالَ له وعلى آدم وحوّاء وتفّاحة، إلخ، إلخ.

لا حداثةَ لمن يَظُنّ أنه يَخْلُص من هؤلاء بذريعةِ أن بونابرت وفيكتوريا، هتلر وستالين، الاستعمار والصهيونية، هم أيضًا أوروبا.

أركانُ العالَم الحديث هؤلاء – بمعارضةِ بَعْضِهم بعضًا – وَرَثةُ حَضاراتٍ وليسو أبناءً للعَدَم. ولكن إنكارَهم بداعي «التحرّرِ القَوْمي» أو «العالَمية البديلة» لا يجاوِزُ أن يجعلَ التحرّرَ والعالَمية موضوعًا للرثاء.

١٠ أيّار

عندما زارَ سارتر مصرَ في عشايا هزيمة حزيران، راحَت الصُحف تُردِّد أن الوجودية فلسفةٌ خُلاصتها أن «الوجودَ يَسْبُق الماهيّة». فظَنَّ القرّاءُ من نُزَلاءِ «قهوة النشاط» أن الرجُلَ يَنْصَحُهم بالقُدوم باكرًا إلى الشُبّاك، في آخِرِ الشهر، لقَبْض ماهيّاتهم دونَ تأخير. فأَخَذ بعضُهم يقول لبعض: «جَتُو نِيلَه الأفندي ده... هوّه احْنا يَعْني مُشْ عارْفين؟»

#حكاية_لَفَقتُها_الآن

١١ أيّار

باتَت استعادةُ حُلُمِ «الوَفْرة» الذي كان، لِنصْفِ قَرْنٍ خَلا، رايةَ المُصَمِّمين على تغيير العالَم تقتضي نَقْلَ البَشَرية إلى كَوْكَبٍ آخر.

هذا الكوكَبُ أنْهَكَه أهلُه ويريد أن ينام.

١١ أيّار

أوصلَتْني بَغْلَةُ الفيسبوك، قَبْلَ مُدّة، إلى جِدار الآلاف الخمسة من الأصحاب، فلم يَبْقَ لي من أَمَلٍ هنا في كَسْبِ أَصْحابٍ جُدُد. (أقول «أصحاب» ولا أقول «أَصْدِقاء» كَبْحًا للعَواطف وقَمْعًا للغِشّ من الجِهَتين).

من جهةٍ أخرى أوقَفْتُ مَقالتي التي كنت أُعِيدُ نَشْرَها هنا كلَّ أَحَد.

فما الذي أَفْعَلُه هنا من بَعْدُ؟

إلى اللِقاء في المَقْهى!

على سبيل الختام
الشيخوخة*

يزدادُ واحِدُنا إيغالًا في الشَيْخُوخة كلّما تكاثَرَت الأشياءُ التي يتعذّر تَكْرارها أو يصبح غير محتمَلٍ في ما نفترض أنه قد تبقّى لنا من العمر.

قبل سَنةٍ من اليوم، كنت أتمشّى مصحوبًا ببعض الأهل على ضِفّةِ بُحَيْرة ميشيغان في مدينة شيكاغو. كان كلّ شيءٍ يبدو رائعًا حين خطَرَت لي خاطرةٌ متّصلة بي وبالمكان. فَطِنْتُ إلى أنني زُرْتُ شيكاغو مَرّتين في ما مضى من عمري وجئت في كلٍّ منهما إلى هذا المكان نفسه أو إلى مَوْضع قريب منه. تدلّ على ذلك ناطحاتُ سَحابٍ ومَعالمُ أخرى كانت لا تزال أخْيِلَتها ماثلةً في ذاكرتي. كانت الزيارة الأولى في سنة ١٩٦٥ والثانية في سنة ١٩٨٨. ولما كنت أستعيد صورًا من تينك الزيارتين وأنا أتنزّه على الضفّة نفسها في سنة ٢٠١٣، فقد كان سهلًا أن أنتبه إلى

* مقالةٌ ظهرت في صحيفة القدس العربي، عدد ١٦ تشرين الثاني ٢٠١٤.

أن رُبْعَ قرنٍ تقريبًا قد فَصَل بين كلّ من زياراتي لهذه المدينة وتاليتها. هو إذن ربع قرن! فمن أين لي، وقد بلغت السبعين في سنة ٢٠١٣ الميمونة، أن أتدبّر ربع قرن مقبلاً يغدو محتملاً بعده أن أعيد نزهتي هذه؟ وهل يبدو محتملاً إذا طال بقائي حتى سنّ الخامسة والتسعين (وهذا أمرٌ تَسْتَبْعده نُذُرٌ مختلفة) أن أجعلَ هَمّي في ما يفترض أن تكون عليه حالي وأنا في تلك السنّ المتقدّمة أن أُحْمَل إلى ذلك الموقع لأَدِبّ فيه على العصا أو يجري بي على رصيفه كُرْسيٌّ دَرّاج؟ لا الهمّةُ ستسعف إذّاك، على الأرجح، ولا الرغبةُ ستتّجه بي نحو هذه القِبْلة ولا الوسائلُ ستكون متاحةً إذا أسعفت الهمّة وواتت الرغبة.

الشيخوخة، في واحدٍ من وجوهها، هي هذا: أن يصبحَ الزمن فجأةً غير كافٍ لأشياءٍ كثيرة: لأشياءٍ تروح تتكاثر سنةً بعد سنة.

أَدْهى ما في الأَمْر أن هذا الشعور باستبعاد التَكْرار تتسرّب منه نكهةٌ حزينة إلى حوادثَ ووقائعَ تُعْتَبر «فريدةٍ» في بابها فلا يُفْتَرَض تكرارها أصلاً. في صيف السنة الجارية، كنت في سياحةٍ (عائلية أيضًا) في البرتغال. وكان للبَهْجَة مَصادرُ كثيرة: جَمْعُ الشمل وجمال الطبيعة وثَراءُ التاريخ وجَوْدة الطعام والشراب ولُطْف الأهلين... ولم أَكُن قد افترَضْت أو افترض أحدٌ من صُحْبَتي أن علينا أن نعود إلى هذه البلاد مرّةً أخرى. كانت هذه الزيارة، بطبيعتها، فريضةً تُؤَدّى مرّةً واحدة. فإذا رغبنا في السياحة، في عامٍ مقبل، فلن يَصْعُب علينا أن نجد بلادًا أخرى، رائعةً أيضًا، يَقْتَرحها بعضُنا على بعضٍ ونكتشف أننا نَجْترّ الرغبةَ في زيارتها من أعوامٍ كثيرة.

على الرُغْم من حالة «الفَرادة» هذه التي اتّشَحت بها، من تلقاء نفسها، زيارةُ البرتغال، تَسرّبَ إلى شعوري بوقائعها حُزْنٌ هادئ غريب: حزنٌ

لم يعترض المُتعة ولكنه خالَطها بأُلْفةٍ غير منتظرة. كان مَنْظَر الأَمْكِنة وحوادثُ الرحلة من القصر الملكي في سِنْترا إلى العشاء في مطعمٍ لشبونيّ قريب من الفندق، مَصْدَرًا لشُعورٍ بالوَداع... مصدرًا لإدراكٍ مباغتٍ لماهيّة الزمن بما هو محلّ لتعذّر التكرار. لن يحصُل هذا نفسه مرّةً أخرى. حين نتقدّم في العمر، يصبح الوداع الذي هو مستحقٌّ لكلّ حَدَثٍ أَمْرًا مقترِنًا بغيابٍ آخر هو غيابنا نحن. صورةُ الغياب هذه، إذ تصبح خلفيةً للحوادث، بما فيها، على التخصيص، تلك التي لا نرجو استعادتَها أصلًا، هي مَنْفَذٌ من المَنافذ التي يَغْزُونا منها الشُعورُ بالشيخوخة.

منفذٌ آخرُ لهذا الشعور نفسه أختَبِرُ وقْعَ ما ينبثق منه من سنينٍ كثيرة هو أن تُدْرِك أنك أصبحتَ أكبرَ سِنًّا من أهل السلطة كلّهم تقريبًا على اختلاف المواقع. حين تكون موظّفًا وتبلغ سنّ التقاعد يَفْرِض الأمر نفسه: أنت مذّاك فصاعدًا أسنُّ من كلّ من يتوجّه إليك بمطلبٍ أو أمرٍ باسم السلطة العامّة. هذه واقعةٌ لها أهمّيتها في مجتمع لم يَنْبُذ الاقترانَ بين التقدّم في السِنّ والهيبة ووجوبِ الطاعة. وما هو أدهى من تقدّمك في السنّ على الموظّفين أن تجد نفسك وقد أصبحت أسنَّ من الكثرة الكاثرة من الوزراء والنوّاب وحتى من رئيس الجمهورية... إذا وُجِد! فبِقَطْع النظر عن أخْذِك بصُدور السلطة العامّة، وما تتّخذه من أنظمة وقوانين، عن الإرادة الشعبية، ستشعر، عند التأمّل، بغَبْنٍ عميقِ الغور في موروثنا الجماعي وأنت تلاحظ أن من عليك طاعَتُهم إنما هم أُناسٌ في سنّ أولادك أو هم، في أحسن الأحوال، في سنّ إخوتك الصغار.

فإن كانت هذه حال المُسِنّ مع الدولة وأركانها فما بالُك بحاله مع مُولَجين بتنفيذ النظام والقانون شبابهم بيّنٌ إلى حدٍّ يبدو لك مبالغًا فيه: شرطة السير مثلًا أو العسكريين الذين يدقّقون في الهُويّات عند الحواجز؟

وما بالك أن يكون المدقّق وحاجزه مجرّدين من كلّ سَنَد من نِظامٍ أو قانون؟.. أن يكون عنصرًا في ميليشيا غير موافقةٍ لِمزاجك قَطْعًا. لا يُسْتبعد إذّاك أن تَشْعُر بالشيخوخة تجتاحُك اجتياحًا وبتقاعُدِك يتضاعَف إذ تدرك أن الأمور قد أَفْلَتَت من يدك: كلّها دفعةً واحدة.

الجسم أيضًا – بل أوّلًا – مصدر شعورٍ بالشيخوخة. تدنّي الثِقْلِ الذي يسَعُك حَمْلُه والصعودُ به إلى بيتك وقد شَلَّ المصعدُ بسبب انقطاع التيار، قدرتك على الجَرْي أو على مجرّد السير مقارنةً بما كانت عليه، هي نفسها، قبْلَ عشرين سنة، حُسْنُ بَلائك في الفِراش، إلخ.، إلخ. ولكن هذا المَصْدَر يكون مُخاتِلًا أحيانًا فيجعل الكثيرَ قليلًا والقليل كثيرًا تَبعًا لِموازين تَدْخل فيها الإرادةُ والطبع والعادة والمحيط، إلخ. ولا أرجو الإتيانَ بجديدٍ من طَرْق هذا الباب. فأكتفي بالقول، مستوحيًا ما سَبَق بَيانُه، أن ذِكْر السِياحةِ والسُلْطة في مَعْرِض التأمّل في انكشاف الشيخوخة لم يكن أمرًا عارضًا. فإذا كانت الشيخوخة لا تَسْتَبين بهذا الجَلاء في مَحلّ إقامتنا ومَسْرَح حياتنا المعتادة وإذا كان انكشافُها تُسَهّله السلطةُ أو الغُرْبة أي ما هو متفوّقٌ على أشخاصنا أو مُخِلٌّ بنظام حياتنا فمَرَدُّ ذلك إلى كَوْن الشيخوخة، وإن تكوّنَت عَوامِلُها على مَهْل، إنما هي، لِجِهة الشعور بها واستبطانها، قَطِيعةٌ واقتلاع وليست حالًا يستبقي لنا سويّتنا التي نَعْهَدها لأنفسنا.

مع ذلك، يبقى سبيلُ العِناد سالكًا لمن ارتضاه إلى أن يَقْطَعه الموت.

للمؤلّف

بالعربية:

- **ديوان الأخلاط والأمزجة**، شعر، المؤسّسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٤.
- **بيروت اللقاء**، سيناريو، دار الباحث، بيروت ١٩٨٤.
- **مداخل ومخارج: مشاركات نقدية**، المؤسّسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٥.
- **الصراع على تاريخ لبنان**، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت ١٩٨٩.
- **بنت جبيل- ميشيغان**، دار العربية، بيروت ١٩٨٩.
- **ما علمتم وذقتم: مسالك في الحرب اللبنانية**، المركز الثقافي العربي، بيروت- الدار البيضاء ١٩٩٠.
- **كلمن: من مفردات اللغة إلى مركّبات الثقافة**، دار الجديد، بيروت ١٩٩٧.

- **تسع عشرة فرقة ناجية: اللبنانيون في معركة الزواج المدني**، دار النهار، بيروت ١٩٩٩.
- **الجمهورية المتقطّعة: مصائر الصيغة اللبنانية بعد اتفاق الطائف**، دار النهار، بيروت ١٩٩٩.
- (إشراف أ. ب.): **اتجاهات البحث في العلوم الاجتماعية وحاجات المجتمع اللبناني**، اللجنة الوطنية اللبنانية لليونسكو، بيروت ٢٠٠٠.
- **الصيغة، الميثاق، الدستور**، دار النهار، بيروت ٢٠٠٣ (بالعربية والفرنسية).
- **مغامرات المغايرة: اللبنانيون طوائف وعربًا وفينيقيين**، دار النهار، بيروت ٢٠٠٥.
- **معاني المباني: في أحوال اللغة وأعمال المثقّفين**، دار النهار واللجنة الوطنية اللبنانية لليونسكو، بيروت ٢٠٠٦.
- (تحرير أ. ب.): **هذه الحرب: محنة لبنان المتمادية في بيانين**، دار الساقي، بيروت ٢٠٠٧.
- **أشياع السنّة وأسنان الشيعة: كيف حلّ بلبنان هذا البلاء؟**، المركز اللبناني للدراسات، بيروت ٢٠٠٧.
- **رياض الصلح في زمانه**، دار النهار، بيروت ٢٠١١.
- **لبنان: الإصلاح المردود والخراب المنشود**، دار الساقي، بيروت ٢٠١٢.
- **دفترُ الفَسْبَكة، نُتَفٌ من سيرة البال والخاطر**، شرق الكتاب، بيروت ٢٠١٣.

بالفرنسية:

- **Identité confessionnelle et Temps social chez les Historiens libanais contemporains**, Publications de l'Université Libanaise, Beyrouth 1984.
- **Le Liban: Itinéraires dans une Guerre incivile**, Karthala-Cermoc, Paris 1993.
- **La Dégénérescence du Liban ou la Réforme orpheline**, Actes Sud, Paris 2009.

ترجمة:

- ميشال شيحا، **لبنان اليوم**، دار النهار ومؤسّسة ميشال شيحا، بيروت ١٩٩٤.
- ميشال شيحا، **في السياسة الداخلية**، دار النهار ومؤسسة ميشال شيحا، بيروت ٢٠٠٥.
- المنظّمة الفرنكوفونية الدولية، **المساواة بين الجنسين والتنمية**، معدٌّ للنشر.